موسوعة

شعائر العبادة في الإسلام

(١)

(٢) الصلاة

(٣) الزكاة

(٤) الصيام

شعيرة الطهارة

الأستاذ الدكتور
السعيد عاشور

دار غريب

موسوعة

شعائر العبادة فى الإسلام

(1)

شعيرة الطهارة

الأستاذ الدكتور

السعيد عاشور

أستاذ الهندسة الصناعية والإدارية وبحوث العمليات

عميد كلية الهندسة الأسبق

جامعة المنصورة

دار غريب

للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة

الكتاب : شعيرة الطهارة

المؤلف : أ. د / السعيد عاشور

رقم الإيداع : ٣٣٣٨

تاريخ النشر : ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 -493 -5

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع : دار غريب ٣,١ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول

ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الإهداء

إلى زوجتى وأم أولادى، أهديها كتاب «شعيرة الطهارة» وهو الكتاب الأول من موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام»، فهى تستحق عن جدارة الإهداء، لأنها بنزعتها الدينية، أنارت لى الطريق، وشجعتنى على الدراسة والبحث فى الأمور الدينية، وشاركتنى فى مناقشة المسائل الفقهية، ومنحتنى من وقت الأسرة الكثير لتحقيق الهدف السامى، ألا وهو إصدار هذه الموسوعة الدينية.

اللهم ارزقها علم الحياة وحياة العلم، وامنحها نعيم الحياة وحياة النعيم، واغمرها بفضل من النور ونور من الفضل، اللهم آمين يارب العالمين.

السعيد عاشور

القاهرة فى { 28 ربيع ثانى 1420 هـ
10 أغسطس 1999 م }

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فلا مُضل له، ومن يضل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله عليه الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد: فقد غنى القرآن الكريم بالحديث عن مسيرة الإنسان فى جميع أطواره، وهى آية من آيات الله تعالى فى خلقه، إذ تتجلى فيها حكمة الخالق البارئ وكمال قدرته فى تعهده لهذا المخلوق بالعناية والرعاية من قبل أن يُخلق يوم أن كان فى عالم الذَّر، حيث أخذ عليه العهد بالإيمان به عز وجل؛ وفى خَلْق هذا المخلوق من تراب الأرض فى أحسن تقويم، وفى نفخ الروح الإلهية فى كيانه، ثم جعله بشرًا سويًا، حتى يقوم بخلافة الله تعالى فى أرضه ليعمرها بما أمده الخالق به من قوى عاقله مدركة مدبرة، وعيون الخَلْق كلها ناظرة إليه وهو يقوم بأمر هذه الخلافة، وبما حمل من أمانة لتشهد له أو عليه، ولتراه أيظل دابة من دواب الأرض، يدب عليها كما تدب سائر الحيوانات، ويصبح من عباد الشيطان؛ أم أنه سيرفع هامته ليرتفع إلى الملأ الأعلى، ويصبح من عباد الرحمن.

والقرآن الكريم ينظر إلى الإنسان نظرة شمولية تكاملية. فالكيان البشرى هو ذلك التكوين البيولوجى والتكوين المعنوى بما يحتويان على رغبات وانفعالات وشهوات، وراء هذين التكوينين ومكوناتهما المعقدة مدركات ومشاعر وأحاسيس لا يعرف الإنسان لها موردًا.

والكيان البيولوجى له أجهزته الباطنة التى يعمل بعضها بغير إرادة الإنسان كالجهاز التنفسى، والجهاز الدورى، والجهاز الهضمى؛ كما له جوارحه

الظاهرة المعقدة فى التصميم، والمبسطة فى التشغيل، والتى تعمل بإرادة الإنسان كالعينين، والأذنين، واللسان، والأنف، واليدين، والرجلين. وقد خلقت هذه الجوارح لتعين الإنسان فى أداء وظائف معينة، وهى تطيع صاحبها بما يريده من طاعات أو معاصى. فالعينان يرى بهما غيره، والأذنان يسمع بهما ما حوله، واللسان يُعبِّر به عن مشاعره للآخرين، والأنف يشم به ما حوله، واليدان يمسك بهما حاجاته، والرجلان يمشى بهما إلى مكان يرغبه.

أما الكيان المعنوى فيتكون من مجموعة قوى متعددة وهى العقل والقلب والروح والنفس. فالعقل الذى يعتبر موطن القوة الواعية المدركة فى الإنسان، هو سر أودعه الله تعالى فى كيانه، فكان مبعث أفكاره فى الحياة، وقائد مسيرته فى الدنيا، مميزًا بين الخير والشر، والهدى والضلال. والقلب الذى يعتبر موطن الإيمان والإحسان أو الكفر والإلحاد ، هو سر أودعه الله تعالى فى كيانه، فكان مبعث فطرته ومركز معطياته فى الحياة، ومهيَّأً لقبول مسالك الخير ومواقع الهدى، ومهيَّأً أيضًا للضلال والغواية ووسوسة الشيطان. والروح التى تعتبر موطن الرباط المقدس بينه وبين الخالق، هى سر أودعه الله تعالى فى كيانه، فكانت مبعث حركته ومركز نشاطه فى الحياة، فترتقى به عن عالم الحيوان، وتجعل له فى الحياة رسالة يعرفها ويعى أعباءها وتبعاتها، وينهض بها. والنفس التى تعتبر موطن الشخصية التى يفرق بها بين إنسان وآخر، هى الكيان الإنسانى الذى صار به الإنسان إنسانًا ، وهى جوهره ولبابه، وبها يكون صلاح الإنسان أو فساده، وهداه أو ضلاله، ونعيمه أو شقاؤه، واستقامته أو اعوجاجه. ومحصلة هذه القوى تشكل الذات الإنسانية، إذ إن الإنسان يعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بقلبه، ويعلو على قلبه بروحه، فيتصل من جانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية، ودوافع المطالب البدنية، ويتصل من جانب الروح بعالم البقاء، وسر الوجود.

وقد احتل الكيان البيولوجي للإنسان مكانة خاصة فى القرآن الكريم. ففى هذا الكيان كانت النفخة الإلهية التى هى الرباط المقدس الذى يربط الإنسان

بخالقه، وهو ذلك الوعاء الذى تصب فيه الذات الإنسانية. وقد وقف العلماء مبهورين وحائرين أمام خَلْق الإنسان بيولوجيًا ومعنويًا ؛ لأنه ينطوى على أسرار كثير من التنظيمات المذهلة، وألغاز عديد من التوافقات المدهشة التى تعتبر آية من آيات الخالق البارئ، ومعجزة من معجزات القادر المصور.

والإنسان الذى رسم القرآن الكريم أطوار حياته منذ مولده حتى مماته، يعيش فى هذه الدنيا لتحقيق الغاية وهى عبادة الخالق ، والرسالة وهى تعمير الأرض. والعبادة الحقة تشمل صلة الإنسان بنفسه وبربه وبجماعته، وفى ذلك يحتاج الإنسان إلى ما يقوى هذه الصلات، ويوطد هذه العلاقات على أسس منهجية سليمة، ولا يتحقق هذا إلا باتباع أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، وهذا هو المنهج الربانى الذى أنزله الله تعالى مع آدم عندما أمره بالهبوط إلى الأرض، ليعيش هو وذريته على هداه فى الحياة الدنيا حتى تنتهى بقيام الساعة.

فالمنهج الربانى يُوحِّد القوى والطاقات، ويمزج النزعات والرغبات، ليحقق جميع الاتجاهات، ويعترف بها وحدة متكاملة فى الكون، والدين، والإنسان، والحياة. فقد جاء المنهج الربانى ليحقق: الجمع بين الأرض والسماء فى نظام الكون؛ والجمع بين الدنيا والآخرة فى نظام الدين؛ والجمع بين الروح والجسد فى نظام الإنسان؛ والجمع بين العبادة والعمل فى نظام الحياة. هذا هو الطريق الإلهى الخالص لله تعالى وحده، وهو طريق المنهج الربانى.

ومن خلال هذا المنهج الربانى، أولى الله تعالى المسلم عناية فائقة بظاهره وباطنه، بحيث يصبح له شخصية مميزة يُعرف بها بين الناس . فتعهد الله تعالى الإنسان بطهارة ظاهره لتنظيف كيانه البيولوجى، وبطهارة باطنه لتطهير كيانه المعنوى، ولكل من هاتين الطهارتين مظاهر شتى.

فعندما أراد الله تعالى أن يكون المسلم حسن الهيئة، وجميل المنظر، أمره بالتخلص من فضلات الرأس والجسم، كقص الشعر وتسويته، وحف الشارب وتنظيفه، وإعفاء اللحية وتهذيبها، وتقليم الأظافر وغسلها، ونتف الإبطين

وتنظيفهما، وحلق العانة وغسلها، وغيرها من خصال الفطرة التى تعرف بطهارة الفضلات.

وعندما أراد الخالق البارئ أن يكون المسلم نظيف البدن، وعطر الرائحة، كلفه بالابتعاد عن القذارات والنجاسات الخبيثة، وتنظيف البدن والثياب والفراش والمساكن والمطاعم والمشارب والطرقات التى يستخدمها فى سعيه، وهى التى يشار إليها بطهارة الأخباث.

وعندما أراد الملأ الأعلى أن يكون المسلم طاهرًا للوقوف بين يدى المعبود موقف العابد الخاشع المترهب لإقامة شعائر العبادات التى كلفه الله تعالى بها، أوجب الوضوء على المسلم أى غسل أعضاء معينة بالماء لرفع الحدث الأصغر نتيجة خروج شىء من السبيلين، كما أوجب الغسل على الرجل والمرأة، أى تعميم البدن بالماء لرفع الحدث الأكبر للطهر من الجنابة، وعلى المرأة للطهر من الحيض والنفاس.فهذا الطهر هو استعداد نفسى وبدنى للعبادة، ويُعرف بطهارة الأحداث.

هذه هى الطهارة الظاهرة وأساسها نظافة الظاهر التى حرص عليها الإسلام، لما لها من آثار صحية واجتماعية ونفسية. والتاريخ الإسلامى يسجل بالفخر والإعزاز أن المسلمين كانوا فى عصور حضارتهم المزدهرة روادًا للنظافة فى كل من الشرق والغرب، فى حين كان القسيسون والرهبان فى العصور الوسطى يعتبرون الإهمال والقذارة من وسائل القربة إلى الخالق البارئ، كما كانوا يعدون النظافة والتجمل من عمل الشيطان الرجيم. وحينما كانت أوروبا فى تلك العصور يعمها الجهل والهمجية والأوبئة، تعلم المواطنون فى أسبانيا من المسلمين ألوانًا من علوم الدنيا وأساليب النظافة. ويكفى أن نذكر أن المسلمين كانت لهم فى العواصم المختلفة المساجد المزودة بوسائل النظافة، والحمامات المتعددة المنتشرة فى أنحاء المدينة. وكان فى مدينة قرطبة وحدها مثلاً ثلاثة آلاف مسجد وثلثمائة حمام.

وكما اهتم الإسلام بنظافة ظاهر الإنسان وطهارته، فقد عنى بطهارة الباطن، إذ هو الأساس لاستقامة الظاهر. والإنسان على ما يتصف به من الضعف والوهن، وعلى ما يقع منه من انحراف عن الفطرة والوجدان، فهو مخلوق له شأن عند خالق هذا الكون، ووزن فى نظام هذا الوجود. والمنهج الربانى الذى يزود الله تعالى به عباده ما هو إلا رسالة سامية فى إعداد الإنسان إعدادًا تربويًا يؤهله ليتبوأ مكانه على ظهر الأرض، وليطهر جوارحه من الموبقات المذمومة والمعاصى الآثمة، وليمده بزاد يصفى قلبه من الأخلاق الدنيئة والرذائل الممقوتة، وليسمو بنفسه من العقائد الفاسدة والشهوات المحرمة، فالإنسان إذا تراكمت ذنوبه، صار يتخبط فى ظلمات الباطل، ويفترى على رب العباد، ويظلم أخاه الإنسان.

فالحياة الإسلامية الصحيحة تتطلب لصلاحها عملاً صالحًا يملأ الحياة سعادة ورخاء وطمأنينة متبعًا أوامر الله تعالى. فإذا تمكن الإيمان من جوارح المؤمن، فإنه يتخلى عن الرذائل فى كل أموره الدنيوية كممارسة الأعمال المشروعة المصحوبة بالنية الخالصة، وأموره الاجتماعية كرعاية الأخوة وصيانة المحارم، وأموره الغريزية كأداء حق الزوجة وإحصان الفرج. فيعيش المسلم فى مجتمعه ينبوعًا يفيض بالخير والرحمة، ويتدفق بالنفع والبركة، ويفعل الخير ويدعو إليه، ويبذل المعروف ويدل عليه، فهو مفتاح للخير، مغلاق للشر. لذلك وجب عليه التحلى بالآداب الحميدة ، والتخلى عن المحرمات المرذولة فى كل أعماله الدنيوية والاجتماعية والغريزية، ويعرف هذا بطهارة الجوارح.

والحياة الإسلامية الصحيحة تتطلب لصلاحها إيمانًا راسخًا يملأ القلب مهابة ومحبة وخوفًا من الله تعالى. فإذا تمكن الإيمان من قلب المؤمن، فإنه يكف لسانه عن الخوض فى أعراض الناس، ويستعمله فيما يرضى الله تعالى، فتمتنع النفس عن الكذب والغيبة والنميمة والسخرية والهمز واللمز. ويتطهر القلب من الغل والحقد والحسد والعداوة والبغضاء والكِبْر والرياء والنفاق، ويمتنع المرء

عن المآكل والمشارب المحرمة التى تؤدى به إلى نار جهنم وبئس المصير. لذلك وجب عليه التحلِّى بالأخلاق الحميدة، والتخلى عن الأخلاق المرذولة، ويعرف هذا بطهارة القلب.

والحياة الإسلامية الصحيحة تتطلب لصلاحها أمنًا هادئًا، يملأ النفس راحة البال، وهدوء المشاعر، واستقامة التفكير تقربًا إلى الله تعالى. فإذا تمكن الإيمان من نفس المؤمن، فإنه يكف صاحبها عن فعل المنكرات واجتراح السيئات، وكبح الجماح عن الشهوات، وصد النفس عن سبل الضلال، ومحاربة الشرور والآثام والبغى والعدوان. فإذا نهج المنهاج القويم، وسلك الطريق المستقيم فى تربية نفسه، ووجَّهها وجهة الخير دائمًا، ومجاهدتها عن أهوائها ومرذول عاداتها، فإنه يقضى على نزعاتها الشريرة، ونزغاتها الشيطانية؛ لذلك وجب عليه التطهر من النفس الأمارة بالسوء، والنفس المسولة للشر، والنفس الموسوسة بالإثم، ويعرف هذا بطهارة السر.

والمجتمع الإسلامى أخطر ما أصابه فى هذه الأيام هو أن العبادة فيه قد تحولت إلى طقوس لاروح فيها، فأصبحت الطهارة مجرد صب الماء على أعضاء الوضوء؛ وتحولت الصلاة إلى مجرد همهمات وحركات وسكنات لا أثر لها فى تزكية النفس؛ وغدت الزكاة ضريبة ثقيلة يخرجها الناس مكرهين؛ وأصبح الصوم مجرد امتناع عن الطعام والشراب؛ واستحال الحج إلى رحلة للترفيه والتسويق. فأصبحت العبادات لا تحظى من المسلمين بما ينبغى لإقامتها، وفهم لمعانيها، ومعرفة لحقائقها. كما غدت معاملات الناس لا تشف عن نفوس تقف فى رحاب ربها، ليفيض عليها من أنواره ما يسمو بها عن التنافس الخسيس وراء ركام الحياة المادى الفانى. وقد دفعنى الحال الذى وصل إليه المسلمين إلى إصدار «موسوعة شعائر العبادة فى الإسلام» التى تضم شعائر الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

وأنى أحمد الله تعالى على توفيقه لى فى نشر الكتاب الأول من هذه

الموسوعة، وهو «شعيرة الطهارة»، فقد سرت فيه على المنهج والأسلوب الذى أتبعه دائمًا فى كتبى الدينية التى صدرت من قبل.

وموضوع الطهارة ربما يبدو سهلاً لأول وهلة، ولكنه فى الواقع صعب المرتقى، فلم يسبق لمؤلف أن جمع شتات موضوعى الطهارة الظاهرة والطهارة الباطنة، الشمولية المتكاملة، والإعداد المنطقى، والتفصيل الدقيق فى كتاب خاص، ولكن الدارس يجد موضوع الطهارة بشقيها، إما مقدمًا إجمالاً فى مختلف كتب العبادات الإسلامية، وبين ثنايا كتب الدين، أو موزعًا أجزاءً فى مختلف كتب الفقه الإسلامى، وبين ثنايا كتب التفسير.

أما هذا الكتاب فيعتبر كتابًا جامعًا شاملاً لمبحث شعيرة الطهارة بشقيها الظاهرة والباطنة، إذ بدأته بالتمهيد لهذه الموسوعة عن حقيقة العبادة فى الإسلام من دعائم وشعائر حتى يتفهم القارئ الغاية التى خلق لها الله تعالى الإنسان، ثم استعرضت موضوعات الطهارة فى جزءين رئيسيين : الجزء الأول يستعرض الطهارة الظاهرة، إذ يقدم طهارة الفضلات، وطهارة الأخباث، وطهارة الأحداث؛ والجزء الثانى يستعرض الطهارة الباطنة، إذ يقدم طهارة الجوارح، وطهارة القلب، وطهارة السِّر.

وقد اعتمدت فى إعداد هذا الكتاب على ما جاء فى القرآن الكريم، والسنة الشريفة، واستنرت بالمراجع الدينية والفقهية. كما راعيت فى تأليف هذا الكتاب الإعداد المنطقى والكتابة المقروءة، وتوخيت القصد الميسر والأسلوب المبسط، وتجنبت الإيجاز المخل والتفصيل الممل، لكى يصبح المحتوى سهل الاستيعاب، سريع الفهم، متفقًا مع روح العصر، دون الإخلال بالمضمون.

أرجو أن يجد القارئ فى هذا الكتاب ما يريح به قلبه، ويقر به فؤاده، وينشرح به صدره، وتأنس به روحه، ويفيد به عقله، ويصحح به منهجه، فتلك هى السعادة العظمى التى أتمناها من تأليف هذا الكتاب، آملاً من الله تعالى أن أكون قد أحسنت تقديمه، وأن يغفر لى إن لم أكن قد أحسنت تصويره.

إلى الله تعالى أقدم هذا العمل، أبتغى به وجهه أن يشملنى برحمته، ويتجلى على برضاه؛ لأنه وحده يعلم الجهد الذى بذلته، وأضرع إلى الله تعالى أن يجعل ذلك فى ميزان حسناتى.

وفى هذا الصدد لا يفوتنى أن أبالغ فى الشكر لكل من قدَّم لى العون فى إخراج هذا الكتاب، والله ولى التوفيق.

الأستاذ الدكتور

السعيد عاشور

القاهرة فى 08 . 06 . 99

الفهرس

الجداول

التمهيد للموسوعة

حقيقة العبادة فى الإسلام

الفصــل الأول : دعائم العبادة المشروعة

الـفصل الـثانى : شعائـر العبادة المشروعة

التمهيد للموسوعة

حقيقة العبادة فى الإسلام

المتأمل فى هذا الكون يرى أن كل شىء مخلوق لغاية. وفى سبيل هذه الغاية، فإنه يعمل لغيره: فالماء خلق لإحياء الأرض، والأرض خلقت لإنماء النبات، والنبات خلق لإطعام الحيوان، والحيوان خلق لخدمة الإنسان، والإنسان خلق لعبادة الله تعالى. وهذا ما ينادى به حكم الفطرة ومنطق الكون، وتنطق به مراتب الكائنات. فالإنسان خلق من أجل الخالق البارئ لمعرفته وعبادته وطاعته وتكبيره وتأليهه وتسبيحه وتحميده، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الذاريات (56) :

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ»

ولما كانت العبادة هى الغاية التى من أجلها خلق الإنسان، فلا عجب أن يكون النداء الأول فى بعثات الأنبياء والرسل، هو تذكير الناس بعبادة الله تعالى، وإزالة ما تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة أو الوثنية، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأعراف (59) :

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ . . .»

وبهذا النداء، دعا قومه كل من نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب عليهم السلام، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النحل (36) :

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . .»

وقول الله تعالى فى سورة الأنبياء (25) :

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ»

وقول الله تعالى فى سورة الأنبياء (92) :

«إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»

وأمر الله تعالى موسى بالعبادة، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة طه (13 و14) :

«وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي . . .»

وعلى لسان عيسى بن مريم، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (117) :

«مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ . . .»

وأمر الله تعالى خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بالعبادة، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحجر (99) :

«وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ»

يتضح من ذلك أن الأديان كلها تدعو بصراحة إلى عبادة الله تعالى وحده، والأنبياء والرسل جميعًا هم أول العابدين للخالق البارئ. فعبادة الله تعالى وحده هى إذن غاية الإنسان الرئيسية فى الوجود، كما بينت كل الرسالات السماوية.

ويعتبر الدين الإسلامى وهو دين الفطرة، هو أيضًا دين الأنبياء من لدن نوح إلى محمد عليهم جميعًا الصلاة والسلام. والمتأمل فى آيات القرآن الكريم، يجد أن كلمة «الإسلام» أطلقت على الدين الذى بعث به كل الأنبياء.

فلقد جاء على لسان نوح مخاطبًا قومه، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة يونس (72) :

«فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

وجاء على لسان إبراهيم وولده إسماعيل وهما يرفعان قواعد البيت الحرام، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (128) :

«رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنا مناسكنا وتُب علينا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»

وجاء على لسان يعقوب وهو يوصى بنيه، كما يفهم من قول الله تعالى فى سور البقرة (132) :

« . . . يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّين فلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون»

وجاء على لسان بنى يعقوب، كما يفهم من قوله الله تعالى فى سورة البقرة (133) :

« . . . إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبنيه ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نعبُد إلهك وإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيل وإِسْحاق إِلهًا واحدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون»

وجاء على لسان موسى مخاطباً قومه، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة يونس (84) :

«وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّه فَعَلَيْهِ توكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِين»

وجاء عن عيسى بن مريم كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة آل عمران (52) :

« . . . قالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّه آمَنَّا بِاللَّه واشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُون»

ثم ختم الله تعالى أنبياءه ورسله بمحمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأحزاب (40) :

«مَا كَانَ مُحمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجالِكُمْ وَلَكِن رَّسُول اللَّه وَخَاتَمَ النَّبِيِّين . . .»

وجعل دعوته رحمة للعالمين، أى لكافة الناس. وختم بالقرآن الكريم كتبه السماوية الذى كان وما يزال وسيظل معجزة الإنس والجن، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الإسراء (88) :

«قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»

ولم يصبه ما أصاب الكتب السماوية السابقة من التحريف والتبديل. وأتم نعمته على عباده بالدين الحنيف كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (3) :

«... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ...»

إذ كان دين الإسلام هو أصل الشرائع السماوية، فلا دين غير هذا الدين، كما يفهم من قوله الله تعالى فى سورة آل عمران (85) :

«وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين»

هذا هو الدين الإسلامى الحنيف: إيمان صادق بالله تعالى، والملائكة الكرام، والأنبياء والرسل، والكتب السماوية، واليوم الآخر، والقضاء والقدر؛ ومنهج ربانى واضح يتضمن أوامره ونواهيه، بمقتضى ما شرعه من أحكام وقوانين فى العبادات والمعاملات.

وعبادة الله تعالى على وجه شرعى صحيح، تتطلب التعرف على دعائم وشعائر العبادة الشرعية فى الفصول القادمة.

* * *

الفصل الأول: دعائم العبادة المشروعة

العبادة فى الإسلام تشمل الحياة كلها، وتستوعب كيان الإنسان كله. فقد ذكر الإمام ابن القيم فى كتابه «مدارج السالكين» شمول مراتب العبودية، وقدم خمسين مرتبة موزعة فى البدن على عشرة أشياء: القلب، واللسان، والسمع، والبصر، والأنف، والفم، واليد، والرجل، والفرج، والاستواء على ظهر الدابة، ولكل منها خمسة أحكام شرعية: الواجب، والمستحب، والمباح، والمكروه، والمحرم.

وقد أمكننا التوسع فى مراتب العبودية لتصل إلى سبعين مرتبة موزعة على أعضاء وجوارح الإنسان وغيرها. فالإنسان يعبد الله تعالى بالعقل عن طريق الفكر، وبالقلب عن طريق الإحساس، وباللسان عن طريق النطق، وبالفرج عن طريق النكاح، وبالنفس عن طريق البذل، وبالبدن عن طريق التحرك، وبالمال عن طريق الإنفاق، وبالعين عن طريق النظر، وبالأذن عن طريق السمع، وبالأنف عن طريق الشم، وبالفم عن طريق الذوق، وباليد عن طريق اللمس، وبالرجل عن طريق البطش، وبالتنقل عن طريق الركوب، ولمزيد من التعرف على مراتب العبودية هذه، يمكن الرجوع إلى الفصل الأول من الباب السادس فى كتاب «الإنسان فى القرآن الكريم» للمؤلف.

أما العبادة فهى تعنى فى اللغة التذلل والإذعان الكلى، والخنوع والخضوع الكامل، والانقياد والطاعة المطلقة. فهى الطاعة والانقياد للخالق البارئ اعترافًا بما له من فضل على الإنسان، حيث خلقه من العدم، وفضله على سائر المخلوقات، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض. والعبادة فى الشرع هى

ضرب من الخضوع والطاعة بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب عظمة ومحبة للمعبود.

والعبادات كلها وإن اختلفت صورها، تلتقى عند غاية واحدة، وهى تحقيق معنى العبودية لله تعالى، بالإخلاص فى طاعته، والتوجه إليه وحده، والاستعانة به وحده. فوحدانية الله تعالى التى هى الدعامة الأساسية فى الإسلام، تشمل الوحدة فى الوجود، فليس هناك تعدد فى الآلهة بأى صورة من الصور؛ والوحدة فى التركيب، فليس الله مكونًا من أجزاء؛ والوحدة فى العبادة، فليس هناك معبود إلا الله تعالى.

والتوحيد هو الإقرار بكلمة «لا إله إلا الله»، وتعنى أنه لا معبود بحق إلا الله تعالى، لأن العبادة يجب أن تكون خالصة لله تعالى لا شريك له. فهو جل شأنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله، بمعنى أنه ليس كمثله شيء، وهو الفرد الصمد، والخالق للوجود بقدرته وفق علمه وتقديره وحكمته، وهو مالك الملك يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء. فروح الدين الإسلامى هو التوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، الذى يعنى إفراد الله تعالى بالعبادة .

وقد لجأ القرآن الكريم للعقل يحكمه فى مسألة التوحيد، ويثبت بأسلوب منطقى أن خالق الكون ومدبره لابد أن يكون واحدًا، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأنبياء (22) :

«لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عمَّا يصفُون»

وقول الله تعالى فى سورة المؤمنون (91) :

«مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ولَعلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ»

وقول الله تعالى فى سورة القصص (88) :

«وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ»

وقول الله تعالى فى سورة الأنبياء (25) :

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ»

وقد جاءت سورة الإخلاص التى تبدأ بالآية: «قل هو الله أحد» مفسرة لكلمة التوحيد وموضحة لمقاصدها. كما أن سر فاتحة الكتاب، التى تسمى أيضاً أم القرآن أو السبع المثانى، يتلخص فى الآية الكريمة : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، أى لانعبد أحدًا غير الله تعالى، ولانستعين بأحد سوى الله تعالى.

وبالنظر فى آيات القرآن الكريم، نجد أن «لا إله إلا الله» هى أساس دعوة كل نبى ورسول لقومه منذ وجد آدم على ظهر الأرض إلى أن أكمل الله تعالى دينه، وأتم نعمته على الناس جميعاً بالإسلام، وختم أنبياءه بأشرف خلقه وأفضل رسله محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام. فكلمة «لا إله إلا الله» هى أساس الدعوات النبوية، كما هو على النحو التالى:

دعوة نوح عليه السلام إلى قومه، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة هود (25 و 26) :

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّه ...»

ودعوة هود إلى قومه عاد، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة هود (50) :

«وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...»

ودعوة صالح إلى قومه ثمود، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة هود (61) :

«وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...»

ودعوة شعيب إلى قومه مدين، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة هود (84) :

«وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ...»

ودعوة إبراهيم إلى قومه، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة العنكبوت (16) :

«وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ»

ودعوة موسى إلى قومه، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة طه (14) :

«إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي»

ودعوة عيسى إلى قومه، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (117) :

«مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ...»

ودعوة محمد عليه الصلاة والسلام إلى جميع الشعوب، كما يفهم من رسائله إلى قيصر والنجاشى وغيرهما من أصحاب الملك والإمارة، إذ كان يختمها بقول الله تعالى فى سورة آل عمران (64) :

«قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ...»

فقد دعا جميع الأنبياء والرسل إلى وحدانية الله تعالى، وحاربوا الشرك لأنه إثم عظيم، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة النساء (48) :

«إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا»

فكل ذنب يمكن أن يغفره الله تعالى بفضله وكرمه، ويمكن أن يقبل فيه شفاعة الشافعين، إلا الإشراك بالله تعالى.

والعبادة المأمور بها المعبود تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له. ويتبين من ذلك أن العبادة فى

الشرع تدل على دعامتين أساسيتين هما : الالتزام بشرع الله تعالى، والمحبة للمعبود جل شأنه. وفى ذلك يقول ابن تيمية : «الدين يتضمن معنى الخضوع لله مقروناً بمحبة العبد لخالقه، إذ إن الدين معناه العبادة والطاعة والخضوع، فالعبادة فى أصل معناها وإن عنت الأوصاف المتقدمة، إلا أنها لا تكون كاملة لله إن لم تكن تلك الأوصاف مقرونة بالحب للخالق، الحب الذى منبعه القلب الصافى، ومن باب المخالفة، فإذا أخضع إنسان لإنسان تحت عامل الإرهاب أو الخشية أو الخوف، فلا تكون تلك الطاعة عبادة لأنها خلت من عنصر المحبة». وبذلك ندرك أن العبادة المشروعة تضم دعامتين متلازمتين هما : الالتزام بشرع الله تعالى، والمحبة للمعبود جل شأنه، وذلك على النحو التالى :

دعامة الخضوع والطاعة :

الخضوع والطاعة لله تعالى هو الالتزام بما شرعه الخالق البارئ ودعا إليه رسله أمرًا ونهيًا، وتحليلاً وتحريمًا. فمن رفض الاستسلام لأوامر ونواهى الله تعالى، ورفض الانقياد لشرع ونهج الخالق البارئ، لايعتبر عبداً ولاعابداً له، وحتى إن أقر بأنه تعالى خالقه ورازقه. فلا يكفى خضوع الإقرار بالربوبية، كما لايكفى خضوع الاستغاثة فى الشدائد. فلابد إذن من خضوع العبد لله تعالى، والانقياد للخالق البارئ، والائتمار بما أمر القادر القاهر، والانتهاء عما نهى، وبهذا يتحقق عنصر الالتزام بشرع الله تعالى.

ومن أسس الخضوع لله تعالى، الشعور الواعى بوحدانيته، وتسليم العبد بأن خالقه قاهر لكل قوى الوجود، وأن جميع من فى الوجود عبيد لله تعالى، وفى قبضة يد الخالق البارئ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الرعد (15 و16) :

«وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا . . .»

فالخضوع لله تعالى هو الشعور الذاتى بالحاجة إلى من يملك الحياة والموت والنفع والضر، ومن بيده ملكوت كل شيء، فإذا أراد شيئاً قال له : «كُن فَيَكُونُ»، فهو الشعور بالضعف أمام من يملك القوة، والشعور بالجهل أمام من يعلم الغيب، والشعور بالعجز أمام من يملك القدرة، والشعور بالفقر أمام من يملك الغنى.

دعامة المحبة والعظمة :

المحبة والعظمة لله تعالى هو الالتزام بحب الله تعالى حبًّا جمًّا. فليس فى الوجود من هو أجدر من الله تعالى بالحب، فهو الذى خلق الإنسان ولم يكن شيئًا مذكورًا، وصوره فى أحسن صورة، وخلقه فى أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه، وأسبغ عليه نعمه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما فى كونه، وكرمه وفضله على كثير من خلقه، ورزقه من طيباته، وعلمه بيانه، واستخلفه فى أرضه. فمن الذى يستحق المحبة غير الله تعالى وحده !!

إن أساس محبة الله تعالى هو الشعور بفضله ونعمته وإحسانه ورحمته، والإحساس بجماله وكماله وأهليته للحب والتعظيم. فمن كان يحب الإنسان، فالله تعالى هو خالقه وواهبه، ومن كان يحب الجمال، فالله تعالى هو مصدره ومنبعه، ومن كان يحب الكمال، فلا كمال إلا كماله، ومن كان يحب ذاته، فالله تعالى هو معبوده .

هذه هى حقيقة العبادة، فهى بلا شك معنى مركب من عنصرين هما : غاية الخضوع والطاعة، مع غاية المحبة والعظمة للخالق البارئ. قال ابن القيم فى كتابه «مدارج السالكين» : «أصل العبادة محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله تعالى، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه». فالإذعان لله تعالى، والانقياد إليه، والأمل فى ثوابه، والخوف من عقابه هو الدين الخالص

الذى يتضمن العقائد الدينية، والأحكام الفقهية، والتكاليف الشرعية. والإسلام هو الدين الخالص الذى شرعه الله تعالى من قديم، وبعث به خاتم الأنبياء والمرسلين ليهدى إليه المنحرفين عن الفطرة التى فطر الخالق البارئ الناس عليها.

* * *

الفصل الثانى : شعائر العبادة المشروعة

العبادة هى الامتثال لله تعالى، والوفاء بحقه، ومع هذا فالمسلم يجب أن يفكر أن وراء العبادات آثارًا طيبة ومنافع جمة فى حياة الفرد والجماعة. أما ما يعود على الفرد من أثر العبادة فهو على النحو التالى :

* العبادات صلة روحية بين العبد وربه. فالمسلم فى حاجة إلى وقفات يستزيد فيها من التوجيه، حتى يستطيع مواصلة ركب الحياة التى هى صراع بين الحق والباطل.

* العبادات وسيلة إلى غفران الذنوب، وتكفير السيئات، وفتح باب التوبة أمام العبد حتى يرجع إلى ربه راجيًا العفو والمغفرة.

* العبادات وسيلة لإشعار العبد أن الله تعالى قريب منه ومعه فى كل مكان، فهى تربط الإنسان بخالقه.

وهكذا فالعبادات تؤدى ثمارها فى إيقاظ القلوب، وإحياء الضمائر، حتى يشعر العبد دائماً أن هناك رقيباً، يعلم سره ونجواه، وأنه سيحاسب على كل صغيرة وكبيرة.

والمسلم الذى يستطلع مظاهر العبادة وحقائقها، يجد فى الطهارة سمو الروح والنفس، وفى الصلاة لذة الخشوع والمناجاة، وفى الزكاة إشباع أريحية الجود والسخاء، وفى الصوم مقاومة للفطرة والوجدان، وفى الحج إشباع رغبة الانتقال وشوق الاتصال بالشعوب. ويجدر بنا أن نسرد نبذة مبسطة عن شعائر العبادة فى الإسلام التى ستكون محور كتب الموسوعة .

شعيرة الطهارة فى الإسلام :

المسلم فرضت عليه شعيرة الطهارة، وهى دعامة أساسية من الدعامات التى يرتكز عليها الدين الإسلامى. والآيات القرآنية الكريمة التى تذكر أن الطهارة هى دعوة إلى الطهر الظاهر الذى يظهر فى قول الله تعالى : «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ»، كما أنها دعوة إلى الطهر الباطن الذى يتجلَّى فى قول الخالق البارئ : «والرُّجْزَ فَاهْجُرْ». والطهارة فى اللغة تعنى النظافة من الأقذار سواء كانت مرئية أو معنوية. أما الطهارة فى الشرع، فهى تعتبر صفة اعتبارية قدَّرها الشارع شرطًا لصحة الصلاة، وهى تعنى التخلص من الفضلات، وإزالة الأخباث، ورفع الأحداث.

والطهارة لفظ يوحى بمعنيين جليلين : أولهما النظافة الحسية الظاهرة التى تزين وتجمل هيئة الإنسان بحيث يكون نظيفًا فى أعين الناس، وثانيهما النظافة المعنوية الباطنة التى يتحلَّى ويتجمَّل بها الإنسان الطاهر فى نظر خالقه. وكلا المعنيين مقصود تمامًا من الطهارة التى شرعها الله تعالى للمسلمين، وكلفهم بها حسيًا ومعنويًا. فالعبد المسلم ــ قبل أن يدخل فى صلاته ويقف خاشعًا بين يدى خالقه ــ لابد له من الاستعداد لهذه العبادة بتطهير ظاهره من كل ما هو قذر أو نجس، وتطهير باطنه من كل ما هو رجس أو دنس، ولن تقبل صلاة المسلم إلا إذا استجمعت طهارة الظاهر فى البدن والثوب والمكان، مع طهارة الباطن فى الجوارح والقلب والسِّر.

وقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه «إحياء علوم الدين» تقسيمًا بديعًا للطهارة، وهى أربع مراتب نوجزها ببعض التصرف وهى : المرتبة الأولى وتشمل تطهير البدن من الفضلات والأخباث والأحداث؛ والمرتبة الثانية وتشمل تطهير الجوارح من الموبقات والمحرمات والآثام والذنوب ؛ والمرتبة الثالثة وتشمل تصفية القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة ؛ والمرتبة

الرابعة وتشمل تخليص السر عما سوى الله تعالى . وتتدرج هذه المزاتب من أدنى وأقل منزلة وهى المرتبة الأولى إلى أسمى وأشرف منزلة وهى المرتبة الرابعة. وفى هذا التقسيم، نجد أن المرتبة الأولى تختص بالطهارة الظاهرة، فى حين أن المراتب الثلاث الأخرى تختص بالطهارة الباطنة.

ومراتب الطهارة الظاهرة تشمل طهارة الفضلات وطهارة الأخباث، وطهارة الأحداث ، وهى على النحو التالى :

طهارة الفضلات. وتكون بإزالة الزوائد فى رأس وأطراف وجسم الإنسان عن طريق الحلق، والقص، والتقليم، والنتف، والتنظيف، والختان، والحف، والسواك، والاستنشاق، والاستنثار، والمضمضة، والنمص، وغيرها. وقد اعتبرها الشارع خصال وسنن الفطرة، وهى واجبة للمظهر الحسن، والهيئة الجميلة، والنفس المشرقة.

طهارة الأخباث. وتكون بإزالة النجاسة الحكمية والعينية سواء أكانت فى البدن أو الثوب أو المكان الذى يصلى فيه، عن طريق الماء، أو التراب، أو الدابغ، أو التخلل. وقد اعتبرها الشارع طهارة من النجاسة، وهى واجبة لسلامة البدن، ونظافة الثوب، وطهارة المكان.

طهارة الأحداث. وتكون بإزالة النجاسة المعنوية فى البدن فقط، عن طريق الوضوء بمطهر مخصوص وهو الماء الطهور، لأعضاء مخصوصة من الجسم وهى الوجه واليدين والقدمين والرأس، لإزالة الحدث الأصغر، وهى النواقض الموجبة للوضوء؛ وكذا الغسل بمطهر مخصوص وهو الماء الطهور، لعموم البدن، لإزالة الحدث الأكبر وهو الجنابة عند الرجل والمرأة، ويعد انقطاع دم الحيض والنفاس عند المرأة، وهى النواقض الموجبة للغسل. وقد اعتبرها الشارع طهارة من الحدثين الأصغر والأكبر، وهى واجبة لصحة الصلاة، والطواف حول الكعبة، ومَسْ أو حمل المصحف .

أما مراتب الطهارة الباطنة، فهى تشمل طهارة الجوارح، وطهارة القلب، وطهارة السر، وهى على النحو التالى :

طهارة الجوارح. وتكون بالتخلى عن الجرائم والآثام فى كل من الأعمال الدنيوية التى تعتمد على أن يكون العمل مشروعًا، ومصحوبًا بالنية الخالصة، ومؤدى بإتقان للتقرب إلى الله تعالى؛ والأعمال الاجتماعية التى تختص برعاية الأخوة، وصيانة الحرمات؛ والأعمال الغريزية التى تعتمد على حسن أداء حق الزوجة وإحصان الفرج.

طهارة القلب. وتكون بالتخلص من الأدناس والأرجاس التى تلوث القلب وتسوده، وهى التى تضعفه وتميته إذا تراكمت عليه، وتجعل صاحبها ممقوتاً مرذولاً عند الرب وعند الناس، وذلك عن طريق البعد عن رذائل الكِبْر، والعُجبْ والغرور، والحقد، والحسد، والرياء، والنفاق، والغفلة، وغيرها.

طهارة السر. وتكون بمقاومة كل نوازع الشر والفتنة بقوة العزم والإرادة الأكيدة على طاعة الله تعالى، والرغبة فى مرضاته، وذلك بمحاربة النفس، ومخالفة الهوى عن طريق غسل النفس بماء التوبة، ودموع الندم.

وشعيرة الطهارة هى موضوع هذا الكتاب ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام» للمؤلف.

شعيرة الصلاة فى الإسلام :

المسلم فرضت عليه شعيرة الصلاة ليلة أُسرى بالرسول ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعُرج به إلى السماء لتكون صلة بينه وبين ربه، فهى الدعامة الثانية من دعامات الدين الإسلامى. والصلاة عبادة بدنية وروحية، يجب المحافظة على إقامتها فى أوقاتها سواء فى حالة الحضر والسفر، وفى وقت الأمن والخوف، وفى أثناء السلم والحرب.

فالصلاة هى العبادة التى يتحقق فيها الإخلاص المجرد لله تعالى، لأنه أمانة بين المخلوق والخالق، وسر خفى لايعلمه إلا الله تعالى، لهذا كان ثواب الصلاة عظيمًا. فهى تجمع بين التعظيم لخالق الكون العظيم وبين التكريم لإنسان القرآن الكريم.

فمن جانب التعظيم، نجد أن الناس عامة يحبون زملاءهم ورؤساءهم وملوكهم بأساليب متباينة : فمنهم من يعظمهم برفع الأيدى، ومنهم من يعظمهم بالقيام، ومنهم من يعظمهم بالانحناء أى الركوع، ومنهم من يعظمهم بالسجود أى الجلوس. وبالنظر إلى هيئات الصلاة التى تضم جميع صور التعظيم من رفع اليدين، والقيام، والركوع، والسجود، وغيرها، نجد أن العبد يقف أمام ربه فى الصلاة موقف العبودية الحقة، وأن تعظيمه لله تعالى إنما جاء مخالفاً لتعظيم الناس بعضهم لبعض.

ومن جانب التكريم، نجد أن الملائكة يكرمون الله تعالى بأشكال متباينة : فمنهم الرافع ليديه دائمًا، ومنهم الواقف على قدميه دائماً، ومنهم الراكع على ركبتيه دائمًا، ومنه الساجد على وجهه دائماً، ومنهم الجالس على إليته دائماً. وبالنظر إلى هيئات الصلاة التى تضم جميع صور التكريم من القيام، والركوع، والسجود، والجلوس، وغيرها، نجد أن العبد يقف أمام ربه فى الصلاة موقف العبودية، وأن تكريم الله تعالى له إنما جاء مخالفاً لتكريم الله تعالى للملائكة.

والحكمة فى شرعية الصلاة أنها تزكى النفس الإنسانية، وتوقظ الروح البشرية، وتؤهل الإنسان لمناجاة ربه فى دنياه، وتنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر. فالمصلى إذ يحس برهبة المثول بين يدى الحضرة الإلهية خمس مرات فى اليوم والليلة، لابد أن يرسخ الإيمان بالله فى تفكيره، وفى نظرته إلى العالم المادى، فيصبح إيمانه قوة فعالة فى حياته، فترتدع نفسه عن الشهوات، وتعدل عما كانت عليه من الآثام والمنكرات .

وبمتابعة النصوص الواردة عن الصلاة فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، يمكن التعرف على أحكام الصلاة وأسرارها ومكانتها وحكمتها بين شعائر مختلف العبادات، وهى على النحو التالى :

* الصلاة هى أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات، تولى إيجابها بمخاطبة الرسول ﷺ من غير واسطة. فعن أنس عن الرسول ﷺ أنه قال : «فرضت الصلاة على النبى ﷺ ليلة أسرى به خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمساً، ثم نودى يا محمد : إنه لايبدل القول لدى، وإن لك بهذه الخمس خمسين» [أخرجه الترمذى فى باب الصلاة وأحمد فى مسنده المكثرين] .

* الصلاة لها مكانة كبرى ومنزلة رفيعة من بين العبادات، فهى دعامة من دعائم الإيمان ومظهر الصلة القوية بين الرب والعباد، مصداقاً لقول الرسول ﷺ فى حديث له : «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» [أخرجه الترمذى وابن ماجه وأحمد عن معاذ بن جبل] .

* الصلاة هى آخر وصية من وصايا الرسول ﷺ لأمته عند رحيله إلى الرفيق الأعلى، فقد جعل يقول، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة : «الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم» [أخرجه الإمام أحمد فى مسند الأنصار عن أم سلمة] . فالصلاة هى آخر ما يفقد من الدين، فإن ضاعت ضاع الدين كله.

* الصلاة هى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله.

* الصلاة هى بمثابة رباط متين بين العبد والخالق، وترويض النفس على النظام والطاعة، وتعويد القلب على الخشوع والخضوع.

وشعيرة الصلاة هى موضوع الكتاب الثانى ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام» للمؤلف.

شعيرة الزكاة فى الإسلام :

المسلم فرضت عليه شعيرة الزكاة فى العام الثانى من الهجرة النبوية على أرجح الأقوال، فهى الدعامة الثالثة من دعامات الإسلام. والزكاة عبادة مالية، جاء القرآن الكريم بتأكيد وجوبها، وبيان مكانتها، وتفصيل بعض أحكامها، ثم تولت السنة النبوية الشريفة تفصيل ما أجمله القرآن الكريم، فقدَّرت أنصبتها، وبيَّنت مقاديرها، وفصَّلت حدودها، ورغَّبت فى أدائها، ورهَّبت من منعها.

وفريضة الزكاة بمثابة رابطة بين العبد وربه من ناحية، وبينه وبين المجتمع من ناحية أخرى. والزكاة بخصائصها ومميزاتها تعتبر نظاما مبتكرا، فهى أوسع مدى وأبعد أهدافا من نظم الإنفاق الأخرى. وبمتابعة النصوص الواردة عن الزكاة فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، يمكن التعرف على حكم الزكاة وأسرارها وخصائصها، وهى على النحو التالى :

* الزكاة حق معلوم، قدرت أنصبته ومقاديره، وحدوده وشروطه، ووقت أدائه وطريقة إخراجه، حتى يكون العبد على بينة من أمره، وعلى معرفة بواجباته ومسئولياته .

* الزكاة ضريبة تؤخذ ولاتمنح، فقد حُمِّلت الدولة الإسلامية مسئولية جبايتها بالعدل، ووجوب توزيعها بالحق.

* الزكاة حق قرره الله تعالى للفقراء فى أموال الأغنياء، وفرض على من استخلفهم من عباده فيه فهو مالك المال، يوزعه على من يشاء من عباده.

* الزكاة فريضة إذا امتنع عن أدائها فئة من المسلمين، وجب قتالهم وإعلان الحرب عليهم، حتى يؤدوا حق الله تعالى وحق الفقراء فى أموالهم.

* الزكاة عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، ويزكى بها نفسه وماله، فإذا فرطت الدولة فى جبايتها، أو تقاعس المجتمع عن رعايتها، فإن العبد مطالب بأدائها عل الوجه المشروع.

* الزكاة حددت الشريعة مصارفها ومستحقيها، إذ لم يترك حصيلتها لأهواء الحكام، ولالمطامع الطامعين من غير المستحقين، تنفقها كيف تشاء.

* الزكاة تهدف إلى القضاء على الفقر قضاء مبرما، وإغناء الفقراء إغناء دائماً، فهى ليست مجرد معونة وقتية، بل هى فريضة دائمة الموارد.

* الزكاة تعمل على تحقيق أهداف روحية وأخلاقية واجتماعية وسياسية، وذلك عند النظر إلى مصارفها التى حددها القرآن الكريم، وفصلتها السنة الشريفة.

والزكاة الشرعية تجب على المال التام الذى يقصد به كل ما فى حوزة صاحبه، ويكون التصرف فيه باختياره، والنماء الفعلى الذى يقصد به المال الذى يدر على صاحبه إيرادا أو ربحا. ويتضح من شرط النماء أن كل مال نام يصلح لأن يكون وعاء للزكاة كالثروة النفيسة وهى الذهب والفضة، والثروة المالية وهى العملات النقدية والأوراق المالية، والثروة التجارية وهى العروض التجارية والديون المالية، والثروة الزراعية وهى الزروع والثمار، والثروة الحيوانية وهى الإبل والبقر والغنم السوائم، والثروة الأرضية وهى المعادن والكنوز، والثروة البحرية وهى الجواهر الكريمة والحيوانات البحرية، والثروة المستحدثة وهى العروض الانتاجية، والعروض الإيجارية، والعروض الخدمية.

وقد أكدت السنة النبوية الشريفة عدم وجوب الزكاة فى الأموال المقتناة للاستعمال الشخصى لكونها غير نامية، وهى تخص حوائج الإنسان الأصلية.

وشعيرة الزكاة هى موضوع الكتاب الثالث ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام» للمؤلف.

شعيرة الصوم فى الإسلام :

المسلم فرضت عليه شعيرة الصوم فى العام الثانى من الهجرة النبوية، فهى الدعامة الرابعة من دعامات الإسلام. والصوم عبادة بدنية، إذ يتحقق فيها الإخلاص المجرد لله تعالى، لأنه أمانة بين الخالق والمخلوق، وسر خفى لايعلمه إلا الله تعالى.

وعبادة الصوم هى الإمساك عن شهوة البطن وهى الأكل والشرب، وشهوة الفرج وهى المداعبة والجماع، ابتغاء مرضاة الله تعالي، وذلك من طلوع الفجر الصادق المستطير فى الأفق، حتى غروب قرص الشمس الحقيقى وقد فرض الله تعالى الصوم على جميع القادرين فى شهر رمضان المبارك من كل عام. واختار الله تعالى هذا الشهر المعظم، لما له فى نفوس البشر من مكان كريم، فهو الشهر الذى سعدت فيه البشرية بإنزال الدستور الدائم وهو القرآن الكريم على خير البشرية، خاتم الأنبياء محمد ﷺ، حمله الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام.

والصوم وردت فى فضله أحاديث نبوية صحيحة. ويمكن سرد شرح كامل لفوائد الصوم الروحية والاجتماعية والأخلاقية والصحية، وهى على النحو التالى:

فالصوم روحيًا ودينيًا هو وسيلة لإطاعة الله تعالى والرسول ﷺ، وإحراز التقوى، وتربية ملكة الصبر، وجهاد النفس، وتنمية فضيلة الأمانة فى النفس والإخلاص فى العمل، وتهذيب النفوس وسمو الأرواح، وتطهير القلوب من دنس الحسد ودرن الأحقاد، وشفاء الأمراض النفسية، ونيل الصائم مغفرة الله تعالى ورحمته.

والصوم اجتماعيًا وأخلاقيًا هو وسيلة لرقابة الضمير، والمساواة بين الأغنياء والفقراء، والتعود على الجود والكرم، والعطف على المساكين، واكتساب الشفقة على الفقراء، والتوجه نحو الأخلاق الفاضلة مع الخلق، ومجابهة أهواء

الإنسان والحيلولة بينه وبين الانقياد لها، ووسيلة للقضاء على الحسد، وتعويد الصائم على تجنب المعاصى.

والصوم صحيًا وطبيًا هو وسيلة للعلاج من اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر فى المواد الزلالية والنشوية، والعلاج من زيادة الوزن الناشئ عن كثرة الأكل وقلة الحركة، والعلاج من زيادة الضغط الذاتى نتيجة الترف والانفعال، والعلاج من البول السكرى المصاحب لزيادة الوزن، والعلاج من التهاب الكلى المزمن المصحوب بارتشاح وتورم، والعلاج من التهابات المفاصل المزمنة.

وشعيرة الصوم هى موضوع الكتاب الرابع ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام» للمؤلف.

شعيرة الحج فى الإسلام :

المسلم فرضت عليه شعيرة الحج فى العام السادس من الهجرة النبوية ، وقيل فى العام التاسع على أرجح الأقوال، فهى الدعامة الخامسة من دعامات الإسلام. والحج عبادة جامعة لكل ما فى الطهارة والصلاة والزكاة والصوم. فالحج عبادة بدنية بما يتحمله الحاج من مشقات السفر والاغتراب عن الأهل والتحلل من المتع الدنيوية؛ وعبادة مالية بما ينفقه الحاج من نفقات السفر والإقامة فى سبيل طاعة الله تعالى؛ وعبادة روحية بما يتذلل ويخضع الحاج لله تعالى بخلع ثياب الدنيا ولبس ملابس الإحرام البيضاء البسيطة.

والحج هو أكثر العبادات اشتمالاً على الأمور التعبدية التى لاتعرف حكمتها معرفة تفصيلية على وجه التأكيد. والتعليل القرآنى لرحلة الحج المباركة التى يقطعها الناس ركبانًا ومشاة قادمين من كل فج عميق، يفتح الباب للتأمل فى هذه المنافع المشهودة.

فالحج شحنة روحية وعاطفية يتزود بها الحاج، فتملأ جوانحه خشية الله تعالى، وعزمًا على طاعته، وندمًا على معصيته. ففيه توسيع لأفقه الثقافى، وهو تدريب على ركوب الصعاب والصمود فى المشقات، ومفارقة الأهل، ومغادرة الوطن، وتضحية بالراحة فى الحياة الرتيبة بين الأهل والأصحاب.

والحج ماديًا يعتبر فرصة متاحة لتبادل المنافع التجارية على نطاق واسع. وهو أيضًا يعتبر تدريبًا عمليًا للحاج على المبادئ الإنسانية العليا، فقد ربط هذه المبادئ بعباداته وشعائره ربطًا وثيقًا، حتى تخط مجراها فى العقل والقلب فهمًا وشعورًا، ثم تخط مجراها فى حياته سلوكًا وتطبيقًا.

والحج له عدَّة أركان هى : الإحرام من الميقات ، والوقوف بعرفة ، وطواف الإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة ، أما أعمال مناسك الحج فهى كثيرة، وكل عمل من أعمال المناسك سر ينطوى عليه، ومعنى يرمز إليه. والحاج الذى يؤدى هذه المناسك، يجب أن يتذكر أسرارها ورموزها ومعانيها، وهى على سبيل المثال لا الحصر :

* الإحرام فى حقيقته ما هو إلا تجردًا من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل ما سوى الله تعالى، وعلى التفكير فى جلاله.

* التلبية فى حقيقتها ما هى إلا شهادة على النفس بهذا التجرد، وبالتزام الطاعة والامتثال .

* الطواف فى حقيقته ما هو إلا دوران القلب حول قدسية الله تعالى، صنع المحب الهائم مع المحبوب المنعم، الذى ترى نعمه، ولاتدرك ذاته.

* السعى فى حقيقته ما هو إلا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر، ونزعات النفس، ورمز مادى لصدق العزيمة فى طرد الهوى المفسد للأفراد والجماعات.

* الذبح فى حقيقته ما هو إلا إراقة دم الرذيلة بيد اشتد ساعدها فى بناء الفضيلة، ورمز للتضحية والفداء على مشهد من جند الله الأطهار الأبرار.

هذه هى معانى بعض مناسك الحج فى حقيقته فالحج هو أكثر العبادات اشتمالاً على الأمور التعبدية التى لايعرف حكمتها معرفة تفصيلية على وجه التأكيد، ولكن لعله أيضاً أوضح هذه العبادات أثرًا فى حياة المؤمنين أفرادًا وشعوبًا.

وشعيرة الحج هى موضوع الكتاب الخامس ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام» للمؤلف.

فالعبادات وسيلة لفتح باب التوبة أمام العبد حتى يرجع إلى ربه راجياً العفو والمغفرة. ففى شعيرة الطهارة، روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» [رواه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى واللفظ لمسلم]؛ وفى شعيرة الصلاة روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «إن لله ملكًا ينادى عند كل صلاة قوموا إلى نيرانكم التى أوقدتموها فأطفئوها»؛ وعن شعيرة الصوم، روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» [أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود وابن ماجه والترمذى وأحمد (متفق عليه)]؛ وعن شعيرة الزكاة، روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «تخرج الزكاة من مالك، فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق السائل والجار والمسكين» [أخرجه أحمد عن أنس بن مالك]؛ وعن شعيرة الحج، روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه» [أخرجه السته واللفظ للبخارى فى باب الحج].

* * *

الجزء الأول
الطهارة الظاهرة

الباب الأول : طهارة الفضلات

الباب الثانى : طهارة الأخباث

الباب الثالث : طهارة الأحداث

الطهارة هى دعامة أساسية من الدعامات التى يرتكز عليها الدين الإسلامى. والطهارة فى اللغة معناها النظافة من الأوساخ ، والنزاهة من الأقذار. أما الطهارة فى الشرع فمعناها النظافة من النجاسة الخبثية والنجاسة الحدثية. فقد خص الشارع الخبث بالأمور الحسية أى المرئية ، وهو كل مستقذر حسى كالدم والغائط والصديد الذى ما يتعلق عادة بالبدن أو الثوب أو المكان الذى يصلى فيه. كما خص الحدث بالأمور المعنوية أى غير المرئية ، وهو كل مستقذر معنوى كالريح والبول والمنى ودم الحيض والنفاس الذى يخرج عادة من القُبلْ أو الدُبرْ. ومبحث الطهارة فى الفقه الإسلامى متعدد المبادئ والأحكام التى يجب على المسلم أن يلم بها إلمامًا يقيه الخطأ والزلل فى أهم عمل يقوم به وهو عبادة الله تعالى على وجه شرعى سليم . فالطهارة هى المدخل الكريم للتقرب إلى الخالق البارئ .

والطهارة الظاهرة هى طهارة المسلم المرئية أو الحسية التى تزينه أمام أعين الناس بالهيئة الجميلة، والرائحة العطرة، والثياب النظيفة لصحة الظاهر؛ والتى تنظفه من الأقذار العفنة، والأخباث النجسة، لصحة الأبدان؛ والتى تطهره من الحدث الأصغر بالوضوء، والحدث الأكبر بالغسل، لصحة الصلاة.

والدين الإسلامى مرتبط ارتباطًا وثيقًا بطهارة الظاهر. كما أنها من شروط صحة الصلاة التى اشترط لها تطهير البدن والثوب والمكان الذى يُصلًى فيه من كل خبيث ومستقذر. فمفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الطهور. والنظافة التى حرص عليها الإسلام لها آثار صحية عظيمة، حيث تبعد الإنسان عن الأمراض، إذ هى طريق الصحة، والصحة طريق القوة.

فالإهمال فى نظافة الأسنان يسبّب تسوسها؛ والإهمال فى نظافة الفم يُسبّب زيادة الميكروبات التى تخرج مع السعال والعطاس؛ والإهمال فى نظافة الأنف يسبّب التهابات؛ والإهمال فى نظافة العينين يُسبّب مرض الرمد، والإهمال فى نظافة الجلد من الأتربة والغبار يسبّب سد المسام مما ينتج عنه التهابات مؤلمة، والإهمال فى نظافة اليدين يسبّب نقل عدوى أمراض التيفود والدوسنتاريا والكوليرا، والإهمال فى حفظ الطعام والشراب من الذباب والحشرات يُؤدّى إلى نقل عدوى أمراض البلهارسيا والإنكلستوما وكثير من الحميات، والإهمال فى نظافة المكان يُؤدّى إلى تناقل الحشرات والجراثيم والميكروبات ، مما ينتج عنه أمراض الحمى التيفوسية وغيرها.

وقد أوضحت السنه النبوية الشريفة أن هناك مظاهر كثيرة تدخل فى مبحث الطهارة ، منها ما يمكن إيجازها على النحو التالى :

* نهى الرسول ﷺ عن البصق فى الطريق ، لما يحمله البصق من ميكروبات ضارة تتناثر على الأرض ، إذ قال : «البصق على الأرض خطيئة وكفارتها ردمها» .

* نهى الرسول ﷺ عن ادخال المستيقظ يده فى الإناء قبل غسلها إذ قال : «إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثًا ، فإنه لا يدرى أين باتت يده» [أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما واللفظ لمسلم] .

* نهى الرسول ﷺ عن استعمال اليد اليمنى لإزالة النجاسة والأقذار ، وإن كان التطهير يشمل كلا اليدين ، إذ قال : «وإذا بال أحدكم فلا يمس ذكره بيمينه وإذا أتى أحدكم الخلاء ، فلا يتمسح بيمينه» [رواه البخارى ومسلم وغيرهما واللفظ لأبى داود].

* نهى الرسول ﷺ عن التنفس فى إناء الشرب ، وعن النفخ فيه خوفًا من نقل الميكروبات من إنسان لآخر .، إذ قال : «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس فى الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمنه ولا يتمسح بيمينه» [البخارى فى كتاب الوضوء].

* نهى الرسول ﷺ ترك الأوانى مكشوفة بدون أغطية خوفًا من سقوط أشياء نجسة فيها ، إذ قال فى حديث «أغلقوا الأبواب وأوكئو الاسقية وخمروا الإناء وأطفئوا السرج» [رواه أحمد وجابر والترمذى عن جابر] .

* نهى الرسول ﷺ عن الاغتسال فى الماء الراكد خوفًا من نقل الميكروبات العالقة بجسم إنسان إلى جسم إنسان آخر ، إذ قال : «لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يغتسل فيه» [رواه البخارى ومسلم وغيرهما واللفظ للبخارى] .

* نهى الرسول ﷺ عن التبول أو التبرز فى الماء ، إذ قال : «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد ، وقارعة الطريق ، والظل» [رواه أبو داود وابن ماجه فى باب الطهارة].

* نهى الرسول ﷺ عن استعمال الماء الذى يبول فيه أو يغتسل فيه إذ قال: «لا يبول أحدكم فى الماء ثم يغتسل منه أو فيه» .

* نهى الرسول ﷺ عن النوم بدون غسيل اليدين ، إذ قال : «من نام وفى يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء ، فلا يلومن إلا نفسه» [رواه احمد وابو داود فى باب الأطعمة]، والغمر يعنى رائحة اللحم وزهو منه .

وقد أثنى القرآن الكريم على أهل مسجد قباء والمسجد النبوى بالمدينة المنورة لحرصهم على النظافة والطهارة، فيقول الله تعالى فى سورة التوبة (108) :

«لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ»

فالمسلم يأخذ زينته عند كل مسجد ؛ ويكون طيب الرائحة، نظيف الملبس، جميل الهيئة، حسن الصورة؛ ويجتنب كل ما يؤذى إخوانه من الروائح الكريهة أو الثياب القذرة ؛ ويغتسل ويتطيب ويرتدى أجود الثياب يوم الجمعة فيقول الله تعالى فى سورة الأعراف (31) :

«يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ...»

فعندما سئل الحسن عن كونه فى أجود ثيابه، عند قيامه إلى الصلاة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال» [رواه مسلم واحمد]. وروى مسلم عن ابن مسعود قائلاً: «... وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة» [رواه مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة].

فمن الواضح البيِّن أن الله تعالى تلطَّف بعباده فتعبَّدهم بإزالة فضلات أبدانهم من قص الشعر، وتقليم الأظافر، وتنظيف المحل، وحلق العانة، ونتف الإبط، وغسل الجسم، وغيرها من خصال الفطرة؛ وإزالة كل مستقذر وخبث من البدن والثوب والمكان الذى يُصلَّى فيه؛ ورفع الأحداث نتيجة خروج شيء من السبيلين، أو الجنابة عند الرجل والمرأة، أو الحيض أو النفاس عند المرأة. هذه هى الطهارة الظاهرة التى تشمل طهارة الفضلات، وطهارة الأخباث، وطهارة الأحداث.

مشروعية الطهارة الظاهرة :

الطهارة الظاهرة هى شطر الإيمان، وشرط من شروط صحة الصلاة، ومدخل كريم لعبادة الخالق البارئ والتقرب إليه، وذات منزلة كبيرة عند الله تعالى بين سائر العبادات. وقد فرضها الله تعالى على كافة المسلمين. وليس هناك دليل على فرضية الطهارة الظاهرة أقوى من الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وإجماع الأمة الإسلامية، وهى على النحو التالى:

القرآن. ثبتت مشروعية الطهارة الظاهرة فى القرآن الكريم، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأنفال (11) :

«... وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ...»

وعن نقض وضوء المصلى حتى يتطهر، يقول الله تعالى فى سورة المائدة (6) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ...»

وعن جنابة المسلم بعد النكاح حتى يتطهر، يقول الله تعالى فى سورة النساء (43) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ...»

وعن اعتزال النساء فى المحيض حتى يتطهرن، يقول الله تعالى فى سورة البقرة (222) :

«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ...»

وعن مس المسلم للمصحف حتى يتطهر، يقول الله تعالى فى سورة الواقعة (79) :

«فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»

وعن نظافة ثوب المسلم، يقول الله تعالى فى سورة المدثر (1–4) :

«يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ»

وهكذا يتبين أن الله تعالى أحب التطهر للمسلم ، وحرص على ظهوره بمظهر البهجة، ونشر من جسده الطيب.

السنة. ثبتت مشروعية الطهارة الظاهرة بالسنة النبوية الشريفة، فقد دعا الرسول ﷺ إلى الطهارة والنظافة التامة، فعنه ﷺ أنه قال: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة» [أخرجه الترمذى]، وقال: «مفتاح الصلاة الطهور» [رواه الترمذى فى باب الصلاة وابن ماجه وأحمد]، وقال: «ما من مسلم يتطهر، فيتم الطهور الذى كتب الله عليه، فيصلى هذه الصلوات الخمس، إلا كانت كفارات لما بينها» [رواه مسلم فى باب الطهارة] ، وعن نقض وضوء المسلم حتى يتطهر بالغسل، روى عن

الرسول ﷺ أنه قال: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنة» [أخرجه النسائى فى باب الطهارة]. وعن جنابة المسلم حتى يتطهر بالغسل، تقول عائشة رضى الله تعالى عنها: «إذا التقى الختانان، فقد وجب الغسل، فعلته أنا ورسول الله ﷺ واغتسلنا» [رواه البخارى وابن ماجه واللفظ له]. وعن حيضة المرأة حتى تتطهر بالغسل، روى عن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة، وإذا أدبرت فاغتسلى وصلى» [رواه البخارى وغيره من باب الحيض]. فالطهارة هى المدخل الكريم لعبادة الله تعالى، والتقرب إليه.

الإجماع: انعقد إجماع الأمة وآراء الأئمة على مشروعية الطهارة الظاهرة ووجوبها لصحة العبادات.

فمن عناية الإسلام بالنظافة والطهارة التى لم يشهد لها مثيلاً في الأمم غير المسلمة، عنى مبحث الطهارة الظاهرة فى الفقه الإسلامى بالشرائع والأحكام وضمٌ الآراء والمذاهب للأئمة الأربعة. والجدول رقم (1) يبين آيات الطهارة فى القرآن الكريم.

وسائل الطهارة الظاهرة:

المطهرات الشرعية المباح استعمالها هى الماء لنظافة البدن، وإزالة الخبث، ورفع الحدث؛ والتراب لإزالة نجاسة الكلب والخنزير؛ والدابغ لطهارة جلد الميتة؛ والتخلُّل لطهارة الخمر. وقد اصطلح الفقهاء على هذه الأنواع من المطهرات واستخداماتها، ونسرد نوعيات هذه المطهرات بشىء من التفصيل، وهى على النحو التالى:

الماء. هو الماء الطهور الذى نزل من السماء أو نبع من الأرض، وهو الباقى على أصل خلقته، وهو الماء المطلق أى أصل الفطرة الذى جعل الله تعالي منه كل شىء حى، وهو الماء الطاهر فى نفسه والمطهر لغيره، وهو الذى لم يتغير

أحد أوصافه الثلاثة وهى اللون والطعم والرائحة، بشيء من الأشياء التى تسلب طهورية الماء، ولم يكن مستعملاً. وتتعدد مصادر الماء على النحو التالى:

جدول رقم (1) : آيات الطهارة فى القرآن الكريم

رقم	اسم الموضوع	رقم السورة	اسم السورة	أرقام الآيات القرانية
01	التطهر	02	البقرة	222
		03	آل عمران	42
		05	المائدة	6
		08	الأنفال	11
		56	الواقعة	79
		74	المدثر	4
02	الوضوء	04	النساء	43
		05	المائدة	7,6
03	الغسل	02	البقرة	222
		04	النساء	43
		05	المائدة	6
04	التيمم	04	النساء	43
		05	المائدة	6

* **ماء الأمطار**. وهو الماء الذى ينزل من السماء، مصداقا لقول الله تعالى فى سورة الفرقان (48) :

«... وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً»

أى مياه الأمطار.

* **ماء البحار**. ويتبعه ماء الأنهار، وماء البحيرات، وماء الأودية، وماء الخلجان. فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال عندما سئل عن ماء البحر: «هو

الطهور، ماؤه الحلُّ ميتته» [رواه الترمذى والنسائى وأبو داود وغيرهم]، أى الحلال ما يستخرج منه من أسماك وحيوانات بحرية، حتى ولو كانت ميتة.

* **ماء الآبار**. ويتبعه ماء العيون. فقد روى عن الرسول ﷺ عندما كان يتوضأ من أحد الآبار: «الماء طهور لاينجسه شيء» [رواه الترمذى فى باب الطهارة].

* **ماء الثلج والبرد**. فقد روى عن الرسول ﷺ أثناء صلاته، وقبل قراءته لسورة الفاتحة، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد...» [أخرجه البخارى فى كتاب الأذان والنسائى واللفظ للبخارى].

التراب. وهو الصعيد الطاهر من تراب أو رمل أو حجارة، وهو وجه الأرض الطاهرة، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا». ويستخدم التراب كمطهر عند فقد الماء، أو عند العجز عن استعماله لمرض أو نحوه.

الدابغ. وهو الدابغ الذى يطهِّر جلود الميتة، سواء كان ما يؤكل أو لايؤكل لحمه، لما روى عن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا دبغ الإهاب فقد طهر»، والإهاب يعنى الجلد، وكذا الأديم. ويستثنى من ذلك جلد الكلب والخنزير الذى لايطهر بالدباغ لأنهما نجسان وهما أحياء، إلا أن الحنابلة يرون أن جلد الكلب يطهر إذا دبغ، ويجوز الصلاة عليه. ويحصل الدباغ بالشب والقرظ والملح. ويتحقق الدبغ بنزع فضلات الجلد وتطييبه، بحيث لو نقع فى الماء لم يعد إليه الفساد والنتن.

التخلل. وهو التخلل الذى يطهر الخمر. وتعرف هذه الطريقة بالاستحالة، وهى انقلاب الشيء من حالة إلى أخرى كانقلاب الخمر خلا. فإذا تخلل الخمر نفسه، طهر لأن نجاسة الخمر تزال بزوال المادة المسكرة فيه بأن تصير خلا.

ولما كان الماء هو أهم المطهرات وأكثرها شيوعًا واستعمالاً، فقد اصطلح الأئمة على تقسيم أنواع الماء واستعمالاتها إلى ما هو على النحو التالى :

* الماء الطهور هو الطاهر فى نفسه والمطهر لغيره، ويستخدم فى العبادات، عند إزالة الخبث من نظافة بدن وثوب ومكان، ورفع الحدث من وضوء وغسل.

* الماء الطاهر هو الطاهر فى نفسه وغير المطهر لغيره، فيستخدم فى العادات من شرب وطبخ وغسل للأوانى والملابس وغيرها، ولايصح استعماله في العبادات.

* الماء المتنجس هو الماء الطهور أو الطاهر إذا خالطته نجاسة فغيرت من لونه أو طعمه أو رائحته، ويصبح متنجساً بحكم الشريعة، ولايصح استخدامه في العبادات ولا العادات، ولكن يجوز استعماله إذا أمكن إزالة النجاسة منه، ويجوز الانتفاع به فى بعض الأمور التى لاتتعلق بالآدمى، وهى على تفصيل فى المذاهب الأربعة.

* الماء النجس كالخمر، فيجب الاحتراز منه، والبعد عنه.

هذه هى أنواع الماء ونوعية استعمالاتها ، حتى يكون المسلم على بيِّنة من أمره.

مراتب الطهارة الظاهرة:

الطهارة الظاهرة شعيرة من شعائر العبادة التى فرضها الله تعالى على عباده، فهى أفعال تستوجب من المسلم أن يعتنى عناية فائقة بأحكامها الفقهية ومذاهبها الشرعية التى تمكنه من الاستيعاب الكامل لأركانها وسننها وشروطها، حتى يقى نفسه الزلل والخطأ فى أعظم غاية يقوم بها فى حياته الدنيا، وهى عبادة الخالق البارئ على وجه شرعى صحيح.

والطهارة الظاهرة بمفهومها الواسع تشمل ثلاث مراتب وهى: طهارة الفضلات، وطهارة الأخباث، وطهارة الأحداث، وهى على النحو التالى:

طهارة الفضلات. وهى التطهر بإزالة الزوائد المرئية فى الرأس والأطراف ، والجسم وذلك عن طريق الحلق، والقص، والتقليم، والنتف، والتنظيف، والختان، والحف، والسواك، والاستنشاق، والمضمضة، والنمص، وغيرها. وقد اعتبرها

الشارع خصال الفطرة، وهى واجبة لإزالة الوخم، ونظافة البدن، وجمال الهيئة، وحسن الصورة.

طهارة الأخباث. وهى التطهر بإزالة النجاسة الحسية في البدن والثوب والمكان، وذلك عن طريق أى وسيلة من وسائل الطهارة كالماء أو التراب أو الدابغ أو التخلل. وقد اعتبرها الشارع طهارة النجس، وهى واجبة لإزالة النتانة، ونظافة الجسم، وسلامة البدن، وحفظ الصحة.

طهارة الأحداث. وهى التطهر بإزالة النجاسة المعنوية فى البدن، وذلك عن طريق رفع الحدث الأصغر نتيجة خروج شيء من السبيلين، وذلك بالوضوء، وهو غسل أعضاء مخصوصة من الجسم أى الوجه واليدين والرجلين والرأس، بمطهر مخصوص هو الماء الطهور؛ وكذا رفع الحدث الأكبر نتيجة الجنابة عند الرجل والمرأة، ودم الحيض أو النفاس عند المرأة؛ وذلك بالغسل، وهو تعميم جميع البدن بالماء الطهور. وقد اعتبر الشارع هذه الطهارة المائية طهارة من الحدث الأصغر وطهارة من الحدث الأكبر، وهى واجبة لصحة الصلاة، والطواف حول الكعبة، ومَسْ أو حمل المصحف.

وهذا ما سنستعرضه فى هذا الجزء من الكتاب بالتفصيل، حتى يلم المسلم إلماما كبيرا بأفعال الطهارة الظاهرة.

* * *

الباب الأول

طهارة الفضلات

الفصل الأول : تعريف الفضلات البدنية

الفصل الثانى : تطهير الفضلات البدنية

الفصل الثالث : تيسير الطهارة البدنية

الباب الأول

طهارة الفضلات

تكفلت الشريعة الإسلامية بتنظيم حياة البشر بما يضمن لهم دوام الاستقرار، وهدوء النفس، وراحة البال، وانشراح الصدر، لأن الذى خلق الإنسان، وصوره فى أحسن صورة، ونفخ فيه من روحه، يعلم ما فيه صلاحه ومنفعته، مصداقاً لقول الله تعالى فى سورة الملك (14) :

«أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»

وقد أولت الشريعة الإسلامية المسلم عناية فائقة بهيئته وشكله ومظهره، بحيث يصبح له شخصية متميزة يُعرف بها بين أوساط الناس. والإسلام دين يقدس الطهارة، ويحب النظافة، ويعشق الجمال، فندب إلى سنن الفطرة أو خصال الفطرة، وهى التى يقصد بها إزالة بعض الزوائد والفضلات فى رأس وأطراف وجسد الإنسان، والتى لو تركها لم تبق صورته على صورة الآدميين، والتى قد يكون فى بقائها شىء من الأذى والقذارة والروائح الكريهة.

والمتأمل فى هذه الخصال، يستطيع أن يدرك أنه يتعلق بسنن الفطرة بعض المصالح الدينية والدنيوية التى يمكن تلخيص بعضها على النحو التالى:

* مراعاة نصوص الشريعة الإسلامية، واتباع أحكام السنة الشريفة، وامتثال أمر الشارع الحكيم.

* محافظة على صورة الإنسان كما خلقه الله تعالى، وتحسين مظهره، مما يكسبه جمال الهيئة، ومظاهر الوقار.

* محافظة على التآلف بين الناس، لأن الإنسان إذا بدا فى هيئة جميلة، وصورة حسنة، كان ذلك أدعى لارتياح النفس إليه، فيقبل الناس عليه، يستمعون قوله، ويحمدون رأيه، ولا ينفرون منه.

* نظافة بدن الإنسان بإزالة الزوائد والفضلات التى لاخير فى بقائها، أو التى قد يكون فى بقائها شيء من الأذى والقذارة.

* مخالفة شعار الكفار من اليهود والنصارى والمجوس .

فخصال الفطرة من الأمور التى تدعو إليها الفطرة السليمة، وتستحسنها العقول البشرية، ويشعر الناس إزاءها بالراحة النفسية. فما يترتب على فعل هذه الخصال من آثار واضحة، تبين السر فى الدعوة إليها، والترغيب فى فعلها، والتحلى بها، والمحافظة عليها.

ومبحث طهارة الفضلات فى الفقه الإسلامى كثير الأحكام على المذاهب الأربعة. ولعبادة الله تعالى على وجه شرعى صحيح، وجب التعرف على نوعية هذه الفضلات والزوائد، والإلمام بكيفية الطهارة منها بخصال الفطرة، والتيسير فى آدابها. والجدول رقم (2) فى أواخر هذا الباب يعطى ملخصًا وافيًا لخصال الفطرة.

* * *

الفصل الأول: تعريف الفضلات البدنية

أثبتت الشريعة الإسلامية بما تقره رجاحة العقل، وتقتضيه صحة الأبدان، لأنها شريعة مبنية على الحرص التام على مصالح الناس ومنافعهم فى الدنيا والآخرة. والفضلات يقصد بها الزوائد فى رأس وأطراف وجسد الإنسان التى لاخير فى بقائها، أو التى يكون فى بقائها شىء من الأذى والقذر، أو التى لو تركها لم تبق صورته صورة الآدميين. وبقاء هذه الفضلات والزوائد فى بدن الإنسان، وترك إزالتها، يشوه الإنسان ويقبحه. بحيث يستقذر ويجتنب، فيخرج عما تقتضيه فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها.

ولما كانت البيئة العربية فى الجاهلية تغرى الكثيرين من أهلها بإهمال شأن النظافة والتَّجمل، لما يكتنفها من بداوة وصحراء، فقد ظل الرسول ﷺ يتعهدهم بتوجيهاته اليقظة، ونصائحه الواعية، حتى ارتقى بهم من البداوة إلى الحضارة، ومن البذاءة إلى التجمل .

تعريف الفضلات بالرأس :

من الفضلات البدنية فى رأس الإنسان: زوائد الشعر، وروائح الفم، ومخاض الأنف، واصفرار الأسنان، ووساخة الأذنين، وهى على النحو التالى:

مفهوم زوائد الشعر. الرأس زينه الله تعالى بشعر فى أماكن مختلفة وهى: شعر الرأس، وشعر الشارب، وشعر اللحية، وشعر العنفقة، وشعر الحاجبين، وشعر الجفنين. وعلى الرغم من أن الرجل والمرأة يشتركان فى سائر الشعور، إلا أن الرجل ينفرد عن المرأة باللحية والشارب والعنفقة . وزوائد الشعر عامة هى كالتالى:

* **شعر الرأس**. زين الله تعالى رأس الذكر والأنثى بما أنبت فيها من شعر، وجعله لباسًا لها لوقايتها، وخص شعر الأنثى بالطول والنعومة ليكسبها حسنًا وجمالاً. وعادة ما يطول شعر الرجل استطالة غير محببة، وهو أمر غير مرغوب فيه، لما فيه من التشويه للخلقة والتشبه بالنساء، والتمسك به حمق ومكابرة.

* **شعر الشارب**. وهب الله تعالى الإنسان شفتين لاتكمل مصلحته إلا بوجودهما، لما فيه من منافع كثيرة، ومصالح عديدة، فهما غطاء للفم والشفتين، ومظهر للجمال والزينة، ووسيلة للتقبيل للمداعبة، ووظيفة للكلام والذوق. وقد أنبت الخالق البارئ فوق شفتى الذكر شاربا يتحلى به، وتحتهما عنفقة. وعادة ما ينزل ماء مخلوط بمخاط الأنف على الشفتين، فيتبلد شعر الشارب، مما يعرقل حاسة الشم.

* **شعر اللحية**. اختص الله تعالى الرجل بأن زين وجهه بشعر اللحية على وجنتيه، وجعلها كمالاً ووقاراً ومهابة، وترك شعر اللحية دون تسويتها أمر غير مرغوب فيه، لما فيه من تشويه الخلقة. فقد دخل رجل، ثائر الرأس واللحية المسجد، وعندما رآه الرسول ﷺ، أشار إليه بيده أن اخرج، كأنه يعنى إصلاح شعر رأسه ولحيته، ففعل الرجل ثم رجع، فقال له الرسول ﷺ: «أليس هذا خيرًا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس واللحية كأنه شيطان» [أخرجه مالك فى الموطأ] .

* **شعر الحاجبين**. زين الله تعالى الوجه بشعر الحاجبين، وجعلهما وقاية لما ينحدر من بشرة الرأس إلى العينين، وقوّسهما وأحسن خطهما. فإذا تركت المرأة شعر الحاجبين الذى يتكاثف، استقبح زوجها ذلك منها. كما أن تكاثف شعر الحاجبين وتكاثره قد يشوه وجه المرأة.

* **شعر الجفنين**. زين الله تعالى أجفان العينين بالأهداب، وعادة ما تتمنى المرأة تطويل أهدابها، ليضفى عليها الجمال.

* **شعر الوجه.** هناك شعر آخر قد يبدو متفرقا فى وجه المرأة، وتركه على حالته يشين الوجه، ويذهب نضارته وحسنه، وخاصة أنه ينمو ويتفاحش بمرور الأيام، مما قد ينفر منها زوجها. كما أن جمال المرأة قد يطفئ بريقه، نتيجة الشعر المتناثر على وجهها.

مفهوم روائح الفم. الفم هو المدخل الطبيعى للطعام والشراب، وعدم العناية بتنظيفه وعدم إزالة القلح من على اللسان، يسبب عفونة كريهة، ورائحة منتنة، تنبعث من الفم، إن لم يشعر بها صاحبها، فإن من يحادثه يشمها، ويصبر على مضض وألم، ويتمنى ألا يطول الحديث بينهما، حتى ينتهى اللقاء، ويرتاح من هذه المضايقة التى سببتها هذه الرائحة المنبعثة من فم من يحدثه.

مفهوم مخاط الأنف. الأنف هو المدخل الطبيعى للهواء وما فيه من غبار وأتربة، مما يكوِّن مخاطًا لونه يميل للاخضرار. وعادة ما يتكون داخل الجيوب الأنفية قذارة سائلة أو متجمدة من مخاط وغيره، مما يتسبب فى سداد الأنف، وخلق متاعب فى التنفس.

مفهوم اصفرار الأسنان. الأسنان قد يعلو سطحها من صفرة تشوه شكلها وتذهب بريقها، وقد يتراكم عليها بعض المواد من طعام أو شراب، ونتيجة لكثرة التدخين، التى قد تؤدى إلى تآكلها وأحيانًا تساقطها، وقد يتسبب ذلك فى عفونة كريهة، ورائحة منتنة، تنبعث من الفم، وذلك لعدم العناية بالأسنان.

مفهوم وساخة الأذنين. الأذنان قد يتراكم على غضونهما ومعاطفهما الوسخ من أتربة وغبار الطريق، كما يتكون سائل شمعى فى قعر الصماخ.

تعريف الفضلات بالجسد:

من الفضلات البدنية فى جسم الإنسان: زوائد الشعر حول العانة وتحت الإبط، وزوائد الأظافر، وزوائد الفرج، وأثر المحل، أى أثر مخرج السبيلين من بول وغائط، وأوساخ البدن، وهى على النحو التالى:

مفهوم زوائد الشعر. الغدد التناسلية فى جسم الإنسان تعطى هرمون الذكورة فى خصية الذكر، وهرمون الأنوثة فى مبيض الأنثى. ومن ضمن وظائف هذه الهرمونات هو نمو شعر جسم الذكر بصورة ملفتة، وهذا مظهر من مظاهر تمام الذكورة وكمال الرجولة. ولكن هرمون الأنوثة يساعد عادة على نمو بعض الشعر فى ذراعى وساقى الأنثى، فإذا تُرك الشعر يغزو أطرافها ويتفاحش، فقد ينفر منها زوجها، وهى كالتالى :

* **شعر الإبطين.** ينمو شعر ما تحت إبطى الذكر والأنثى عندما يصلان إلى سن البلوغ. فإذا تُرك هذا الشعر يطول، يصبح كئيب المنظر، وقبيح الشكل، كما تنبعث منه روائح كريهة ينفر منه الآخرون، لأن الوسخ يسكن تحت الإبطين، والعرق يتسبب فى تلبد الشعر وتهيجه، مما يشوه الإنسان ويشينه، بحيث يستقذر، لأن العرق والأبخرة والأتربة تحتبس تحت الإبطين .

* **شعر العانة.** ينمو شعر العانة فوق ذكر الرجل وحواليه، وحول فرج المرأة عند الوصول إلى سن البلوغ. فإذا تُرك هذا الشعر يطول، فإنه يتسبب فى متاعب ومضايقات وآلام نفسية نتيجة تراكم الأوساخ بسبب العرق الذى يكثر فى هذا المكان، ويصبح كريه الرائحة.

مفهوم زوائد الأظافر. الإنسان تنتهى أصابعه بالأظافر، وهى إذا طالت فإنها تخدش، وتخمش، وتضر صاحبها لأنها تصبح مُجمَّع الوسخ بما فيه من جراثيم. فإذا كان الإنسان جُنبًا، قد يحول هذا الوسخ عن وصول الماء إلى البشرة عند الغسل ليصبح طاهراً من الجنابة. كما أن الأظافر إذا طالت، فإنه يستقبح شكلها، لأنها تشبه أظفار الطير التى يمزق بها فريسته.

مفهوم زوائد الفرج. الزوائد الجلدية التى خلقها الله تعالى فى كل من قضيب الذكر وفرج الأنثى، وجب استئصالها لسهولة التطهر من النجاسة التى قد تتراكم فى هذه الأماكن، وهى كالتالى:

* **قضيب الذكر.** تعتبر قلفة الذكر مرتعًا خصيبًا لتكون الإفرازات التى تؤدى إلى تعفن، نتيجة تولد الجراثيم الضارة التى تهيئ للإصابة بعدة أمراض. والقلفة هى الجلدة التى تغطى الحشفة، والتى تحبس النجاسة تحتها، فتمنع صحة الصلاة، إلى جانب الأضرار الصحية التى تنجم نتيجة لتراكم الأوساخ والأقذار فى هذا الموضع.

* **فرج الأنثى.** يعتبر طول البظر بفرج الأنثى مرتعًا خصبًا لتكون الإفرازات، مما يسبب رائحة كريهة، وتعفنا فى هذا الموضع، فينفر منه الزوج. وهذه الأنثى عادة ما تكون مضطربة النفس، عصبية المزاج، شاردة الفكر، حادة فى الطباع، شديدة الشهوة.

مفهوم أثر المحل. الإنسان يتناول من الطعام ما يسد به جوعه، ومن الشراب ما يطفئ به ظمأه. وبعد أن يأخذ الجسم حاجته من هذا الطعام والشراب ليجدد خلايا جسمه، يطرد الفضلات المتبقية التى لانفع لها، على هيئة بول وغائط. ولو بقيت هذه الفضلات فى الجسم ولم تخرج من السبيلين، لأضرت به وأفسدته. ولما كان ما يخرج من السبيلين من بول وغائط نجسًا، وجب التحرز منهما ونظافتهما لصحة الصلاة، وتفادى الأضرار الصحية.

مفهوم أوساخ البدن. الإنسان تعلق بجسمه أوساخ وقاذورات من أثر العرق وغبار الطريق، مما ينتج عنه عصبية فى المزاج، وحدَّة فى الطباع، وشرود فى الفكر.

* * *

الفصل الثانى: تطهير الفضلات البدنية

أولت الشريعة الإسلامية خصال الفطرة كثيراً من العناية والاهتمام، ورغّبت الناس فيها حتى يظهر المسلمون فى الصورة الحسنة، ويبدوا فى الهيئة الجميلة. وخصال الفطرة التى هى مجموعة الفضائل التى ينبغى أن يتحلّى بها الإنسان، موضوع وثيق الصلة بحياة الناس، سواء منهم الذكر أو الأنثى.

ومن المعروف بداهة أن الله تعالى قد اختار سنناً للأنبياء عليهم السلام، وأمر أتباعهم بالاقتداء بهذه السنن، حيث اتفقت عليها الشرائع السماوية، كأنها أمر جبلى تجب المواظبة عليها. وقد روى فى تفسير قول الله تعالى فى سورة البقرة: «وَإِذَا ابتلى إبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَهُن»، أن الله تعالى ابتلى إبراهيم عليه السلام بالطهارة: خمس في الرأس وهى قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس؛ وخمس فى الجسد وهى تقليم الأظافر، وحلق العانة وختان الذكر، ونتف الإبط، وغسل المحل، أى غسل أثر البول والغائط بالماء الذي يعنى الاستنجاء.

والأحاديث النبوية الشريفة التى تحدثت عن خصال الفطرة، جاءت مقترنة بعدد معين من هذه الخصال. فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من السنَّة: قص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر». وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب» [متفق عليه]. كما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن الرسول ﷺ قال: «عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية،

والسواك، والاستنشاق، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء» [رواه مسلم والترمذى وغيرهما واللفظ للترمذى] ، ثم قيل بنسيان العاشرة، إلا أن تكون المضمضة. وانتقاص الماء يعنى الاستنجاء بالماء. ومفهوم العدد فى الأحاديث النبوية التى تخص خصال الفطرة ليس بحجة، لأن الحصر فيها غير مراد، وهو قول أهل الأصول.

والحديث عن خصال الفطرة يوحى بأنه أمر وثيق الصلة بحياة الإنسان سواء كان ذكرًا أو أنثى . لذلك سنقدم هذه الخصال حسب التقسيم التالى :

* **خصال الفطرة فى الرأس** . ويشمل تهذيب الشعر من قص الشارب وإعفاء اللحية وفرق الشعر ونمص الشعر، وطهارة الفم، وتنظيف الأذنين، واستياك الأسنان.

* **خصال الفطرة فى الجسد** . ويشمل تقليم الأظفار ، وتنظيف الرواجب ، وغسل البراجم ، وإزالة الشعر من نتف الإبط وحلق العانة ، وختان الفرج ، وانتقاص الماء ، وغسل الجسم .

والمعنى المقصود من هذه الخصال التى تحدث عنها الرسول ﷺ يبدو واضحاً فى أنه إذا فعلها الإنسان، اتصف بالفطرة التى فطر الله تعالى عباده عليها، وبالتالى حثهم على فعل هذه الفضائل التى يميل إليها الإنسان بفطرته، ورغّبهم فى فعلها ليكونوا على أكمل صفة وأشرف صورة.

تطهير الفضلات بالرأس:

خصال الفطرة من الأمور التى يميل إليها الإنسان بفطرته، وينساق إليها بطبيعته، إلا أن بعض الفضلات والزوائد فى الرأس تشوه الوجه وتقبحه، وبذلك يخرج عما تقتضيه الفطرة الأولى. ومن خصال الفطرة فى الرأس: تهذيب الشعر، ومضمضة الفم، واستنشاق واستنثار الأنف، وتسوك الأسنان، وتنظيف الأذنين، وهى على النحو التالى:

مفهوم تهذيب الشعر. الإنسان ظهوره فى الصورة الجميلة، والمنظر الحسن، أمر يشجعه الإسلام، ويرغِّب فيه. وقد عبر الرسول ﷺ عن ذلك بقوله: «إن الله جميل يحب الجمال» [رواه مسلم والترمذى وأحمد]، وقوله أيضًا: «من كان له شعر فليكرمه» [رواه أبو داود فى كتاب الترجل]. وينفرد الرجل عن المرأة بالشارب والعنفقة واللحية، فالله تعالى عندما جعل الرجل قيما على المرأة، ميزه بما يضفى عليه الرجولة والفحولة والوقار ولم يجعل ذلك فى المرأة، لكمال الاستمتاع والتلذذ بها، ولتبقى نضارة وجهها، وبقاء نعومته، لايشينه الشعر، على الرغم من أن الرجل والمرأة قد اشتركا فى سائر الشعور للحكمة والمنفعة فيها. ويدخل تحت تهذيب الشعر، تنظيفه، وترجيله، وغُسله، وتدهينه، وإزالة ما يعلق به، وإزالة الشعث عنه، أما قص الشارب، وإعفاء اللحية، وفرق الشعر، ونمص الشعر، فهى كالتالى:

* **قص الشارب.** من خصال الفطرة قص الشارب، واجتمعت الأمة على استحبابه وسنيته. وقص الشارب يعنى تخفيف شعره وتسوية الطرفين، أو جزِّه حتى يبلغ الجلد، أو حفِّه أى استئصال ما طال منه على الشفتين. وقص الشارب يعتبر زينة يتحلى بها الرجل، وأمرًا تهتدى إليه الفطرة السليمة. والإنسان فى ذلك مخير، يفعل فى شاربه ما يتناسب معه، سواء أكان قصًا أو حلقًا أو إحفاءً أو جزًّا.

وقد روى عن الرسول ﷺ أنه كان يقص شاربه كل أربعين يوما. والتأخير إلى ما بعد الأربعين فيه مخالفة للسنة، لأن الشارب إذا ترك إلى ما بعد الأربعين فإن شعره يطول، ويتفاحش منظره، ويقبح شكله، ويتلبد شعره بما يتساقط عليه من مخاط الأنف. ويجوز قص الشارب قبل الأربعين، وهذا متروك للإنسان، لأن هذا أمر تضبطه ظروفه ومصلحته، ومدى عنايته بمظهره ونظافته. ويرى الشافعية والمالكية أن قص الشارب أفضل من حلقه واستئصاله، فى حين يرى الحنفية والحنابلة عكس ذلك.

* **إعفاء اللحية.** من خصال الفطرة إعفاء اللحية، وهي سنَّة عن الرسول ﷺ. وينبغي للرجل أن يأخذ من أطرافها وأعلاها، بما يحسنها ويجعلها متناسبة مع تقاسيم وجهه، كما ينبغي له أن يهتم بتنظيفها، وتخليلها بالماء عملاً على كمال النظافة. أما تركها دون أخذ شيء منها لتسويتها، فهذا أمر غير مرغوب فيه، لما فيه من تشويه الخلقة، وتعريض الإنسان نفسه إلى السخرية.

ولنا في الرسول ﷺ الأسوة الحسنة، فقد جاء في الأحاديث النبوية الشريفة: «**احفوا الشوارب، وأعفوا اللحى**» [رواه مسلم في كتاب الطهارة] و«**جزوا الشوارب وأرخوا اللحى**» [رواه مسلم في كتاب الطهارة]، وأوفوا تعني اتركوها وافية، وأرخوا أي أطيلوها. وقد ذكر القوم في اللحية خصالاً مكروهة منها: خضابها بالسواد أو بالصفرة، أو تبييضها بالكبريت أو نتفها أول طلوعها، أو نتف الشيب منها، أو تركها شعثة منتفشة.

* **فرق الشعر.** من خصال الفطرة فرق الشعر سواء للذكر أو الأنثى، وهو سنَّة. فبالنسبة للذكر فإنه يقصر شعر رأسه أو يحلقه، وذلك لتحسين شكله، وتجميل منظره، وتزيين هيئته. أما بالنسبة للأنثى فإنها تترك شعر رأسها طويلاً، وفي ذلك يمكن دهنه وترجيله ثم تسريحه وفرقه.

وكما أن الرسول ﷺ حرم حلق شعر رأس المرأة بغير ضرورة، فقد حرم وصل شعرها القصير لتطويله، لما فيه من التزوير والتدليس، والغش والخداع، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «لعن الله الواصلة والمستوصلة» [من حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما]. فالواصلة هي التي تقوم بوصل الشعر، سواء أكان ذلك لنفسها أو لغيرها، والمستوصلة هي التي تطلب من يفعل ذلك الوصل بها. ووصل الشعر تفعله المرأة لتبدو في صورة جميلة، لأن الإحساس بالجمال والشعور به، يريح النفس، ويجلب البهجة والسرور. وعندما تفقد المرأة الإحساس بالجمال، فإنها تبدو كئيبة النفس، شاردة الفكر، مضطربة المزاج. وهذا بلا شك أمر له أهميته

وأثره في حياة المرأة. وقد اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم وصل شعر المرأة بشعر آدمي، سواء أكان الموصول به شعر محرمها أو زوجها أو أجنبي عنها أو امرأة أخرى، وقياسا على ذلك فإنه يحرم استعمال «الباروكة» أو «البوستيج» المصنوعين من شعر آدمي طبيعي. واختلفت المذاهب في وصل الشعر بشعر غير آدمي، فيرى الشافعية أنه حرام إذا كان نجسا، ومباح للطاهر فيه إذا أذن الزوج فقط، كما حرم المالكية والحنابلة الوصل بشعر غير آدمي. أما الحنفية فيرون أن الوصل بشعر غير آدمي، سواء كان صناعيًا أو حيوانيًا، فهو مباح.

* **نمص الشعر.** اختلف الفقهاء في تعريف النمص: فالبعض يرى أن النمص يختص بإزالة شعر وجه المرأة غير المرغوب فيه بالمنقاش أي المقراض أو نتفه بالخيط. والبعض الآخر يرى أن النمص يختص بإزالة شعر حاجبي المرأة لترفيعهما أو تسويتهما أو ترقيقهما أو حفهما. كما اختلفت المذاهب في حكم النمص: فالرأي الأول يرى تحريم النمص على أساس أنه غش وخداع وتدليس وتغيير لخلق الله تعالى، فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال: «لعن الله النامصة والمتنمصة» [رواه مسلم والنسائي وغيرهما]، والنامصة هي التي تنتف شعرها أو شعر غيرها، أما المتنمصة فهي المنتوف شعرها برغبتها. والرأي الآخر يرى بعدم تحريم النمص مادام بإذن الزوج وعلمه، وبذلك يكون قد انتفى التدليس، ومن ثم قد انتفى التحريم.

وفي رأينا أن النمص يختص بإزالة شعر المرأة غير المرغوب فيه سواء كان على الوجه أو الحاجبين أو على الذراعين أو الساقين، وذلك إما بالنتف أو بالمقراض أو بالمزيلات للشعر الزائد المتوافرة في الأسواق، بشرط التأكد من عدم ضررها، أي لاتسبب حساسية أو تشوهات جلدية، وذلك إذا خلا ذلك من التدليس، وكان الغرض منه التزين للزوج، إرضاءً له، وحتى لاينفر منها، وهذا أمر لايتعارض أبداً مع سماحة الإسلام ويسره.

فحينما تزيل المرأة هذا الشعر من وجهها وأطرافها، ثم تقوم بتسوية حاجبيها، تكون قد حافظت على خلق الله تعالى، حتى لايصيبه التغيير والتشويه، وبذلك تكون قد أعادت لوجهها وبدنها حسنه ونضارته، وأعادت له صورته الأولى التى خلقه الله تعالى عليها، وذلك بإزالتها لهذا الشعر الذى طرأ على وجهها وأطرافها.

مفهوم طهارة الفم. من خصال الفطرة نظافة الفم من الروائح الكريهة الناتجة عن قلح اللسان، وتراكم بقايا الطعام بين الأسنان. لذلك وجب تطهير الفم بالماء والإكثار من المضمضة، وهى أن يدخل الإنسان الماء فى فمه ويحركه يمنة ويسرة، ثم يدفعه إلى خارج الفم بقوة. وطهارة الفم سنَّة.

مفهوم تنظيف الأنف. من خصال الفطرة نظافة الأنف من الرطوبات الملتصقة بجوانب الأنف الداخلية، وتفريغها من المخاط الذى يميل للاخضرار، كما يستنشق الإنسان بأن يدفع الماء إلى داخل أنفه بنفسه عدة مرات حتى يصل إلى الخياشيم، ثم يستنثر ما فيها بأن يدفع الماء من أنفه بنفسه إلى الخارج، مستعيناً بإصبعيه الإبهام والسبابة من اليد اليسرى، وغسل ودلك الحاجزين بين فتحتى الأنف، ونظافة الأنف سنَّة.

مفهوم تنظيف الأذنين. من خصال الفطرة نظافة الأذنين عن طريق مسح معاطفهما، باطنهما وظاهرهما من الوسخ المتراكم عليهما، وذلك بأن يدخل سبابتيه فى صماغى أذنيه، ويدير إبهاميه على ظاهر الأذنين، مع غسل ودلك الغضون التى فى [illegible]، وتنظيف مقر الصماغ برفق، وتنظيف الأذنين سنَّة.

مفهوم استياك الأسنان. من خصال الفطرة استياك الأسنان، وهو باتفاق أهل العلم سنَّة مؤكدة. وقد حثَّ الرسول ﷺ على استخدام السواك، ومواظبته عليه لتطهير الفم وتطييبه وإزالة قلح الأسنان وصفرتها، ومحافظة على بريقها

ولمعانها، مما يضفى عليها رونقاً وبهاء، ويكسبها حسناً وجمالاً. فعن الرسول ﷺ أنه قال: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب» [رواه البخارى والنسائى وابن ماجه وأحمد]. ويستحب السواك عند الاستيقاظ وعند النوم، وعند الوضوء، وعند الصلاة، وعند كل مناسبة، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إنى لأستاك حتى لقد خشيت أن أحفى مقادم فمى» [رواه ابن ماجه فى كتاب الطهارة مع الحديث السابق].

والسواك عود من شجر الأراك، وله فوائد معروفة منها أنه يطيب الفم، ويقوى اللثة، وينظف الأسنان. فالمسلم يمسك بالسواك بيده جاعلاً خنصره أسفله، ويقبض عليه بباقى أصابعه، ثم يستاك محركاً السواك من يمين الفم إلى يساره مع تغيير المياه كل مرة. ويجوز استخدام فرشة ومعجون الأسنان .

أما تفليج الأسنان فهو حرام على الفاعلة والمفعول بها، لما فى ذلك من تدليس وخداع وتزوير وغش، إلا إذا كان لضرورة. وتفليج الأسنان يعنى أن تبرد المرأة ما بين أسنانها لحدوث فرجة بينها إظهاراً لصغر السن، وحسن المنظر.

تطهير الفضلات بالجسد:

خصال الفطرة من الأمور التى يرتاح إليها الإنسان بطبيعته. فإزالة بعض الفضلات والزوائد من أعضاء الجسم، تجمل هيئة الإنسان ومظهره، وتنظف بدنه من الروائح الكريهة التى تؤذى الآخرين، كما أنها تحافظ على أصل كمال الخلقة التى خلق الله تعالى الإنسان عليها. ومن خصال الفطرة فى الجسد: تقليم الأظافر، وغسل البراجم، وتنظيف الرواجب، وإزالة الشعر بحلق العانة ونتف الإبط، وختان الفرج، وانتقاص الماء، وغسل الجسم، وهى على النحو التالى:

مفهوم تقليم الأظافر. من خصال الفطرة تقليم الأظفار، وهى سنّة باتفاق الفقهاء سواء فى ذلك أظفار أصابع اليدين والقدمين لكل من الرجل والمرأة.، وقد رغّب الإسلام فى قص الأظفار وتقليمها، حتى يبقى للأصابع جمالها ونظافتها،

لأن تقليم الأظافر من الفطرة، ولأن الظفر يتفاحش بتركه، فيجتمع تحته من الأقذار المنتنة، فتصير رائحة ذلك فى رؤوس الأصابع. وينبغى تقليم الأظفار كلما دعت الحاجة إلى ذلك، بحيث لايتجاوز أربعين يوماً.

مفهوم غسل البراجم. من خصال الفطرة غسل البراجم، وهى سنة لقول الرسول ﷺ «نقوا براجمكم». والبراجم يقصد بها تلك الغضون من المفاصل، وهى عقد الأصابع التى فى ظهر الكف. ويجب العناية بها، لأنها مجتمع الدرن، والوسخ إليها سريع، لذلك يفضل تنظيفها تنظيفاً كاملاً، حتى لايحول الوسخ بين الماء والبشرة، لأن العضو المتكسر ليس فى سرعة النظافة كالعضو المتسطح.

مفهوم تنظيف الرواجب. من خصال الفطرة غسل الرواجب وهى سنة. والرواجب يقصد بها قصب الأصابع أى ما بين كل عقدتين، ومن ثم يكون لكل إصبع برجمتان، وثلاث رواجب، إلا الإبهام، فلها برجمة واحدة، وراجبتين.

مفهوم إزالة الشعر. من خصال الفطرة نتف ما تحت الإبطين وإزالة شعر العانة. والمراد بالعانة عند الذكر هو الشعر الذى يعلو قضيبه وحواليه، وعند الأنثى هو الشعر الذى حول فرجها. أما نتف الإبط فهو إزالة الشعر الذى ينمو تحت إبط المرء سواء كان ذكرًا أو أنثى . وتفصيل كل منهما كالتالى :

* **نتف الإبط.** من خصال الفطرة إزالة شعر الإبط بأى مزيل لنظافة ما تحت الإبطين، وإبعاد الروائح الكريهة، وهى سنَّة بالاتفاق. والإنسان يمكنه أن يزيل هذا الشعر إما بالحلق الذى يتسبب فى تقوية الشعر وخفة رائحته، أو بالأسلوب الذى يروق له، وخاصة بعد أن كثرت المزيلات للشعر الزائد وتنوعت أشكاله فى السوق، بشرط ألا تسبب حساسية أو تشوهات جلدية. ولما كانت العناية بنظافة ما تحت الإبط من الأمور الفطرية التى يميل إليها الإنسان بطبيعته، فعادة ما يقوم الإنسان بإزالة شعر الإبط قبل أربعين يوماً. ويستحب أن يتولى الإنسان إزالة الشعر بالإبط الأيمن ثم الأيسر.

* **حلق العانة.** من خصال الفطرة إزالة شعر العانة بأى وسيلة ممكنة كالحلق أو القص أو النتف أو أى مزيل يمكن أن يحقق نظافة هذا المكان، وهو أمر تدعو إليه الفطرة السليمة، وتنفر من بقائه، لأنه يطول، ويفحش بتركه، ويتلبد فيه الوسخ. وإزالة شعر العانة بالنسبة للرجل والمرأة سنَّة بالاتفاق. وقد ورد فى توقيت إزالة شعر العانة أنه لايجب أن يترك أكثر من أربعين يوماً. وحلق العانة يشار إليه بالاستحداد لاستعمال الحديدة أو الموسى فى إزالة الشعر.

واستكمالاً لنظافة البدن، فإنه يستحب إزالة الشعر حول الدبر، خوفاً من أن يعلق شىء من الغائط بهذا الشعر، فلا يتمكن المستنجى من إزالته بالماء، ولايتمكن من إزالته بالاستجمار.

مفهوم ختان الفرج. من خصال الفطرة ختان كل من الذكر والأنثى، وهو سنة للرجال، ومكرمة للنساء، والختان هو قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص، وهى عملية قديمة، عرفها الناس منذ فجر التاريخ. وقد اهتم بها الناس على مدار السنين ولاغرابة فى ذلك، فهو سنَّة شرعية، وشريعة إبراهيمية، وملَّة خليلية. ويسمى ختان الرجل إعذارًا، وختان المرأة خفضًا. وقد اختلفت آراء الفقهاء فى حكم الختان، فيرى الشافعية أن الختان واجب فى حق الذكور والإناث، وقال المالكية والحنفية أن الختان سنَّة فى حق الذكر والأنثى. أما الحنابلة فذهبوا إلى أنه واجب فى حق الذكر، وسنَّة ومكرمة أى مستحب فى حق الإناث ، وتفصيل كل منهما كالتالى :

* **ختان الذكر.** من خصال الفطرة قطع أو بتر أو استئصال تلك القطعة من الجلد التى تغطى حشفة الذكر، وتسمى القلفة أو الغلفة، والمستحب أن تستوعب من أصلها من أول الحشفة. وهذا الختان يعتبر طريقًا وقائيًا يحفظ على الإنسان حياته، ويقيه أمراضًا لاشك فى حدوثها إذا لم يختتن، ويخلصه من القذر والأوساخ، ويمكنه من الاستبراء من البول فى سهولة ويسر، وفى نفس الوقت

لاتنقص عنده لذة الجماع، وتسهِّل إيصال ماء الرجل إلى رحم المرأة. ويستحب أن يُختن الصبى فى اليوم السابع من ولادته.

* **ختان الأنثى.** من خصال الفطرة قطع جزء من البظر، أى قطع أدنى جزء من الجلدة التى تقع فى أعلى فرج الأنثى، فوق مدخل الذكر، وهى كالنواة أو كعرف الديك. وينبغى قطع الجلدة المستعلية منه دون استئصال أو مبالغة، لقول الرسول ﷺ للمرأة التى كانت تختن البنات فى المدينة المنورة: «لاتنهكى، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل» [رواه أبو داود وقال عنه ضعيف]. وعدم المبالغة فى قطع جزء من البظر، أحظى وألذ للمرأة، وأنفع وأحب للرجل، وازدياد الألفة بين الزوجين. وختان الأنثى بقطع جزء صغير جدا منه يورثها الجمال، ويضفى على وجهها نضارة، وتكون أحسن فى جماعها، وكل ذلك تفتقده غير المختونات .

وقد أورد فضيلة الشيخ سيد سابق فى كتابه «فقه السنة» أن الأحاديث النبوية التى وردت فى ختان الأنثى ضعيفة ، ولم يثبت فقهيًا أن الإسلام أباح ختان الأنثى . فختان الأنثى عن طريق قطع جزء صغير جدا من البظر كما فى الحديث النبوى السابق ذكره ، أو عدم ختانها مطلقاً هو الأفضل .

مفهوم انتقاص الماء. من خصال الفطرة غسل أثر المحل بعد قضاء الحاجة. فعندما يتبول أو يتبرز الإنسان، وجب عليه الاستبراء للتأكد تماماً من خروج البول أو البراز حتى يغلب على الظن نقاء المحل، ثم الاستنجاء عند توافر الماء الطهور، ويتأتى هذا بغسل المخرج لإزالة عين النجاسة وأثرها من لون ورائحة.

مفهوم غسل الجسم. من خصال الفطرة تنظيف جميع أعضاء الجسم من رشح العرق، الذى هو فى الحقيقة مادة ضارة تفرزها مسام الجلد كما تفرز الكليتان البول. والاستحمام الذى يزيل ما علق بالجسد من غبار الطريق ورشح العرق، ينظم الدورة الدموية، ويجدد حيوية الإنسان، وينشط البدن ويريحه، فيصبح على أثره فى حالة من الانشراح والصفاء، فيزول الكسل عن الجسم وينشط الإنسان إلى العبادة، وبذلك ينتقل إلى حالة معنوية غير التى كان عليها قبل الاستحمام.

الفصل الثالث: تيسير الطهارة البدنية

من مبادئ الشريعة الإسلامية مراعاة اليسر، وإجازة التخفيف، ورفع الحرج عن المؤمنين فى جميع التكاليف الشرعية التى كلف الله تعالى بها عباده، وذلك بقصد تهذيب النفوس الإنسانية، وسمو الروح البشرية. ففى أعقاب ذكر المحرمات فى النكاح، يقول الله تعالى فى سورة النساء (28) :

«يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا»

ففى اعتراف الإسلام بضعف الإنسان، قرر مبدأ إنسانيًا هامًا لا غنى للإنسان ولا للحياة عنه، وهو أن الضرورات تبيح المحظورات.

وقد خص الله تعالى رسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بالسماحة واليسر، لأنه أرادها رسالة للبشر كافة، والأقطار جامعة، والأزمان قاطبة، وجعل فى ثناياها من التخفيف ما يلائم اختلاف الأجيال، ومتطلبات العصور، وشتى البلاد.

ومن الأمور الطبيعية أن يقضى الإنسان حاجته لإزالة الخارج النجس من بول أو غائط الذى يلوث القبل أو الدبر، وذلك عن طريق التأكد من إخراج ما بقى من فضلات من الدبر. وما بقى من بول أو منى أو مذى من القبل، حتى يغلب على الظن نقاء المحلين وهو ما يعرف بالاستبراء، ثم مسح المخرج بالماء الطهور لإزالة عين النجاسة وأثرها من لون ورائحة وهو ما يعرف بالاستنجاء.

والشريعة الإسلامية ـــ التى كلها خيرات نافعة للمجتمع، وقيود صالحة للبشر، وآداب واجبة على الإنسان ـــ وضعت أحكاماً وآداباً لقضاء الحاجة، وهى على النحو التالى:

* الابتعاد عن الناس لاسيما عند الغائط، لئلا يسمع له صوت أو تشم له رائحة، وذلك لحديث جابر رضى الله عنه أنه قال: «خرجت مع النبى ﷺ فى سفر فكان لايأتى البراز أى مكان قضاء الحاجة، حتى يتغيب فلا يُرى» [رواه ابن ماجه والدارمى واللفظ للدارمى]. لذلك فإنه يجب تجنب قضاء الحاجة فى أماكن استظلال الناس وطرقات مرورهم، وتحت الأشجار، وفوق المقابر، وميضة المسجد، والماء الراكد، والترعة والبئر. كما يجب ألا يستصحب ما فيه اسم الله تعالى.

* الدخول فى مكان قضاء الحاجة بالقدم اليسرى داعياً: «باسم الله، اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث»، مصداقاً لدعاء الرسول ﷺ.

* الانفراد فى مكان قضاء الحاجة مع عدم الكشف عن العورة حياء من الله تعالى. ويستحب الجلوس عند التبول، احترازاً من النجاسة نتيجة تطاير رذاذ البول إذا تبول واقفاً. فقد روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: «من حدثكم أن رسول الله ﷺ بال قائماً فلا تصدقوه ما كان يبول إلا جالساً» [رواه النسائى وهناك أحاديث فى البخارى ومسلم أنه بال قائمًا].

* التخلى عن استقبال القبلة أو استدبارها فى فضاء بدون ساتر، أو استقبال عين الشمس والقمر لأنهما من آيات الله تعالى الباهرة، أو استقبال مهب الريح لئلا تعود إليه النجاسة فتنجسه، كما يكره النظر إلى عورته بلا حاجة. فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا جلس أحدكم على حاجته فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها» [رواه مسلم فى كتاب الطهارة].

* الاعتماد على الرجل اليسرى مع رفع عقب اليمنى والفرج من الفخذين إعانة على قضاء الحاجة، مع اختيار مكان طاهر رخو عند قضاء الحاجة فى الخلاء، فعن الرسول ﷺ أنه قال عندما أتى إلى مكان دمث إلى جنب حائط فبال: «إذا بال أحدكم فليرتد لبوله» [رواه الإمام أحمد].

* الامتناع عن قراءة القرآن الكريم، وعن حمل المصحف، وعن إلقاء السلام أو رده، وعن ذكر اسم الله تعالى بأى لفظ، وعن الكلام إلا لحاجة كطلب الماء.

* الاستبراء أثناء قضاء الحاجة للتأكد تماماً من خروج البول أو البراز بالكامل حتى يغلب على الظن نقاء المحلين وانقطاع الإفرازات، ويتأتى هذا بطرق عديدة كالقيام أو الانتظار أو السعال أو الحركة أو التنحنح، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا بال أحدكم فلينتر ذكره ثلاث مرات» [رواه ابن ماجه وأحمد].

* الاستجمار عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله، ويتأتى هذا بمسح المخرج لإزالة عين النجاسة، وذلك بحجارة صغيرة طاهرة لها خاصية الامتصاص، وليس الأملس غير المزيل للنجاسة، وأقلها ثلاث، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب معه بثلاثة أحجار فليستطب فإنها تجزئ عنه» [رواه النسائى وأحمد واللفظ للنسائى].

* الاستنجاء عند توافر الماء الطهور، ويتأتى هذا بغسل المخرج لإزالة عين النجاسة وأثرها من لون ورائحة مستعملاً أصابع اليد اليسرى وليس الكف، ويستحب استعمال الصابون مع الماء فى غسل دبر الرجل والمرأة وكذا قبل المرأة، ثم تجفيف المحل بعد ذلك. ويراعى عدم تطاير النجاسة على الجسم عند استخدام الشطافة، ويفضل الجمع بين الحجر والماء لإزالة عين النجاسة، ويجعل يمينه لأكله وشربه وثيابه وأخذه وعطائه، وشماله لما هو سوى ذلك. لذلك يمتنع الإنسان عن التمسح أو الاستنجاء أو مسح ذكره باليد اليمنى.

* المبالغة فى غسل الأيدى بعد قضاء الحاجة بالماء والصابون أو غسلهما بشىء منظف ليزول ما علق بها من الرائحة الكريهة، وذلك لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: «كان النبى ﷺ إذا أراد الخلاء أتيته بماء فى ركوة أو تور، فاستنجى ثم مسح يده على الأرض»، والركوة تعنى دلوا صغيرا، والتور يعنى إناء معروفا لدى العرب.

* الخروج بالقدم اليمنى بعد الفراغ من بيت الخلاء داعياً: «الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى» أو «الحمد لله الذى أذاقنى لذته وأبقى فى قوته وأذهب عنى أذاه».

من ذلك نجد أن الإسلام قد أرشد الإنسان إلى آداب وجب التأدب بها، وعلمه كيفية اتباعها. وأن الشارع فى إرشاده وتوجيهه لهذه الآداب، قد أباح مندوبات محبوبة، ونهى عن مكروهات مذمومة، وحرم محظورات ضارة، وأمر بواجبات لايصح الإخلال بها.

جدول رقم (2) : وسائل الطهارة من الفضلات

رقم	خصال الفطرة	حكم الخصال	طهارة فضلات الرأس والأطراف والجسد
01	فرق الشعر	سنّة	قص شعر رأس الذكر أو حلقه، وترك شعر رأس الأنثى طويلاً، ويمكن دهنه وترجيله، ثم تسريحه وفرقه. أما وصل الشعر فهو حرام
02	قص الشارب	سنّة	قص الشارب بتخفيف شعره وتسوية طرفيه، أو جزّه حتى يبلغ الجلد، أو حفه باستئصال ما طال منه على الشفتين.
03	إعفاء اللحية	سنّة	إعفاء اللحى مع تسويتها من أطرافها وأعلاها بما يحسنها ويجعلها متناسبة مع تقاسيم الوجه، ثم تنظيفها وتخليلها بالماء لكمال نظارتها.
04	تطهير الفم	سنّة	إزالة القلح من طرف اللسان بالسواك، وبقايا الطعام من بين الأسنان، وغسل الفم بكثرة المضمضة.
05	استياك الأسنان	سنّة مؤكدة	استخدام السواك في تنظيف الأسنان، لإزالة قلح الأسنان واصفرارها، ويجوز استخدام فرشة الأسنان والمعجون الخاص بها. أما تفليج الأسنان فهو حرام.
06	تنظيف الأنف	سنّة	إزالة الرطوبات الملتصقة بجوانب الأنف الداخلية، وتفريغها من المخاط، وغسل ودلك الحاجزين بين فتحتي الأنف، وذلك بكثرة الاستنشاق ثم الاستنثار.
07	مسح الأذنين	سنّة	مسح معاطف الأذنين من الوسخ المتراكم عليهما، مع غسل ودلك الغضون داخل الأذنين، وتنظيف قعر الصماخ برفق.
08	تقليم الأظافر	سنّة	قص الأظفار وتقليمها حتى يبقى للأصابع جمالها ونظافتها. وإطالة الأظفار تعوق إنقاء السبيلين، ويتراكم تحتهما الأقذار. كما أن طلاء الأظفار يمنع وصول الماء عند الوضوء أو الغسل، مما يترتب عليه عدم صحة الصلاة.
09	غسل البراجم	سنّة	غسل عقد أصابع اليدين، وتنظيف معاطف ظهور الأنامل أي ثنيات الأصابع.
10	غسل الرواجب	سنّة	غسل قصب الأصابع أي ما بين كل عقدتين.

تابع جدول رقم (2) : وسائل الطهارة من الفضلات

رقم	خصال الفطرة	حكم الخصال	طهارة فضلات الرأس والأطراف والجسد
11	ختان الفرج	سنّة للرجال ومكرمة للنساء	ختان الرجل إعذاراً أى قطع الجلدة التى تغطى حشفة الذكر. أما ختان المرأة فهو خفضاً أى قطع جزء صغير جدًا من البظر وهى الجلدة التى تقع فى أعلى فرج الأنثى فوق مدخل الذكر، وينبغى قطع الجلدة المستعلية منه دون استئصال أو مبالغة ولم يثبت فقهيًا أن الإسلام أباح ختان الأنثى
12	نتف الإبط	سنّة	إزالة شعر ما تحت الإبطين بالحلق للرجل ، والنتف للمرأة، أو بأى من مزيلات الشعر الزائد، بشرط ألا يسبب أى حساسية أو تشوهات جلدية.
13	حلق العانة	سنّة	إزالة شعر العانة بالحلق للرجل، والنتف للمرأة. ويمكن أن تكون بأى وسيلة ممكنة كالحلق أو القص أو النتف أو أى مزيل من مزيلات الشعر، بشرط ألا تسبب حساسية أو تشوهات جلدية.
14	انتقاص الماء	واجب	وجوب الاستبراء عند قضاء الحاجة للتأكد تماماً من خروج البول أو البراز، حتى يغلب على الظن نقاء المحلين، ثم الاستنجاء عند توافر الماء الطهور، وذلك بغسل المخرج بالماء لإزالة عين النجاسة وأثرها من لون أو رائحة.
15	غسل البدن	سنة	غسل جميع أعضاء الجسم من رشح العرق وغبار الطريق، مع دوام الاستحمام بصب الماء الطهور على الجسم.

الباب الثانى

طهارة الأخباث

الفصل الأول : تعريف النجاسات الخبثية

الفصل الثانى : تطهير النجاسات الخبثية

الفصل الثالث : تيسير الطهارة الخبثية

البـاب الثانـى
طهارة الأخباث

تكفلت الشريعة الإسلامية بتنظيم حياة الناس بما يضمن لهم الشعور بالراحة والسعادة ، وبما يضفى على أنفسهم البهجة والسرور ، وبما يزيل عنهم الكآبة والحزن ويذهب عنهم الخمول والكسل الذي قد يعتريهم نتيجة إهمالهم لنظافتهم من الأقذار والأوساخ والخبائث النجسة .

وقد أولت الشريعة الإسلامية المسلم عناية فائقة بطهارة بدنه ولباسه ومكان عبادته، حتى يقف فى صلاته يناجى ربه عز وجل ، وهو على أحسن حال، وأنظف بدن ، وأزكى ثياب ، وأطهر مكان . فالإسلام دين يقدس الطهارة ، ويحب النظافة ، فيهدى الإنسان إلى مواطن الخبائث والنجاسات التى شهد العلم بضررها ، وذلك للابتعاد عنها ، والاحتراز منها ، حيث تتولد فيها الجراثيم التى تضر بالصحة .

والتعرف على هذه الخبائث أمر واجب للاجتناب عنها مثل الميتة لفسادها، والدم لسمومه ، والنفايات الآدمية والحيوانية لضررها ، والكلب والخنزير وما يرشح منهما لحملهما أمراضًا خطيرة تصيب الإنسان ، والخمر البالغ الخطورة على الإنسان بدنيًا وعقليًا ونفسيًا . هذا بالإضافة إلى أن الطهارة والنظافة من هذه الخبائث هى من الأمور التى ينساق إليها الإنسان بفطرته ، ويميل إليها بطبيعته، لأن فيها راحة النفس ، وشعورًا بالطمأنينة ، وإزالة للروائح الكريهة التى قد تنبعث من بعض مواضع البدن والأماكن الكثير التردد عليها .

ومبحث طهارة الأخباث فى الفقه الإسلامى كثير الأحكام على المذاهب الأربعة ، ولعبادة الله تعالى على وجه شرعى صحيح ، وجب التعرف على توعية هذه الأخباث ، وكيفية الطهارة منها ، والتيسير فى طهارتها . والجدول رقم (3) فى أواخر هذا الباب يعطى ملخصًا وافيًا لوسائل إزالة أثر النجاسة من البدن ، والثوب ، والمكان الذى يُصلَّى فيه .

الفصل الأول : تعريف النجاسات الخبيثة

الأخباث هى المواد والأعيان التى يحكم عليها الشرع بأنها قذرة وغير طاهرة . فالخبث عند الفقهاء هو العين النجسة . وقد وضع الله تعالى تشريعات خاصة لوقاية الإنسان من العلل والأمراض ، فأمره أن يتعرف على النجاسات وضررها، وأن يتجنبها للوقاية منها ، وأن يبتعد عن الخبيث فى المأكل والمشرب.

والطهارة من الأخباث تعنى النظافة من الأوساخ والأقذار ، وكذا إزالة النجاسة سواء أكانت حسية أو معنوية . ويجدر بنا أن نتعرف على الأعيان الطاهرة والأعيام النجسة .

تعريف الأعيان الطاهرة :

الأصل فى الأشياء الطهارة ما لم تثبت نجاستها بدليل من القرآن الكريم والسنَّة الشريفة . والطهارة من الخبث تنقسم إلى قسمين : الطهارة الأصلية وهى القائمة بالأعيان الطاهرة ، أى الأشياء الموصوفة بالطهارة بأصل خلقتها كالماء والتراب والمعادن وغيرها مما يأتى فى مفهوم الأعيان الطاهرة . أما الطهارة العارضة ، فهى النظافة من النجاسة التى أصابت هذه الأعيان الطاهرة، وقد سميت عارضة لأنها تعرض بسبب المطهرات المزيلات لحكم الخبث من ماء وتراب وغيرها . ويمكن تبويب الأعيان الطاهرة على النحو التالى :

مفهوم الإنسان الطاهر . من الأعيان الطاهرة ذات الإنسان سواء كان حيًا أو ميتًا، كما فى قول الله تعالى «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» . أما المشركون والمنافقون فهم نجاسة معنوية لكفرهم، كما فى قول الله تعالى «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ». فالمراد به

النجاسة المعنوية التى حكم بها الشارع، وليس المراد أن ذات المشرك نجسة كنجاسة الخنزير.

مفهوم الحيوان الطاهر . من الأعيان الطاهرة كافة أنواع الحيوانات حال حياتها ، فإنها طاهرة بحسب خلقتها ، ما عدا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما ، وكذا ميتة الحيوان البحرى ، ولو طالت حياته فى البر كالتمساح والضفدع ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «أحل لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالحوت والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال» [أخرجه ابن ماجه وأحمد]، ومنها ميتة الحيوان البرى الذى ليس له دم يسيل ، كالذباب والجراد والنمل .

مفهوم النبات الطاهر . من الأعيان الطاهرة جميع أنواع النباتات ولو كان مخدِّرًا ، كالنبات المفسد ، وهو ما غيَّب العقل دون الحواس من غير نشوة وطرب كالحشيش والأفيون، أو كان مرقدًا وهو ما غيب العقل والحواس معًا كالداتورة والبنج ، أو كان ضارًا بالبدن كالنبات السَّام . فهذه النباتات كلها طاهرة ، وإن حرم منها تناول ما يضر العقل أو الحواس أو غيرها .

مفهوم الجماد الطاهر . من الأعيان الطاهرة كل جسم لم تحله الحياة ، ولم ينفصل عن حى، مثل أجزاء الأرض ومعادنها ، كالذهب ، والفضة ، والنحاس ، والحديد ، والرصاص ونحوها .

مفهوم الموائع الطاهرة. من الأعيان الطاهرة كافة المائعات كالمياه ، والزيوت ، والسوائل، وعسل القصب ، والطيب ، والخل ، ولبن الآدمى ، ولبن مأكول اللحم ، فهذه كلها من الموائع الطاهرة ، ما لم يطرأ عليها ما ينجسها .

تعريف الأعيان النجسة :

الأخباث هى المواد والأعيان النجسة التى يحكم عليها الشرع بأنها قذرة وغير طاهرة ، ويجب على المسلم أن يتنزَّه عنها وينظف ما أصابه منها ، لأنها مواطن تتوالد فيها الجراثيم الضارة . وقد أثبت القرآن الكريم نجاسة بعض هذه

المواد والأعيان مذ أربعة عشر قرنًا ، فى حين أن العلم لم يتوصل إلى كشف أضرارها إلا منذ أمد قريب ، عندما اكتشف المجهر . وعلى ذلك فقد تقدم العلم فى التحاليل العلمية والتجارب الطبية . ويمكن تصنيف الأعيان النجسة على النحو التالى :

تحريم الميتة وحكمته. من الأعيان النجسة لحم الميتة من الحيوانات البرية والطيور مما يؤكل لحمه أولا ، وهو ما فارقته الروح من غير ذبح شرعى ، وما ذكر اسم غير الله تعالى عليه عند ذبحه ، وما مات خنقًا أى المنخنقة، وما مات من أثر الضرب أى الموقوذة ، وما مات من أثر صدمة الوقوع من مكان مرتفع أى المتردية ، وما مات من أثر العراك مع غيره أى النطيحة ، وما مات بسبب أكل حيوان مفترس منه ، وأما ما أُدْرِك وفيه حياة ، مما يحل أكله فهو حلال بذبحه. يقول الله تعالى فى سورة المائدة (3) :

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ . . .»

ويتضح من ذلك أن المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع ، حكمها حكم الميتة ، وإن اختلف سبب موتها . فقد يكون موت الحيوان نتيجة الشيخوخة أو مرض طفيلى أو نتيجة لتسممه من مصدر خارجى ، ومن ثَمَّ فقد يشتمل على مواد تضر من يأكله . هذا فضلاً عن أن الحيوان الذى يموت دون تذكية ينجس دمه ، وقد يمضى على موته وقت طويل لا يستطيع تحديده ، فيتعرض جسمه للتحلل والفساد . أما ما أُهلَّ به لغير الله تعالى، وما ذُبح على النصب فهى أوامر تعبدية ، وأن الاستقسام بالأزلام محرم لأنه محاولة لمعرفة الغيب الذى استأثر الله تعالى بعلمه .

وقد ثبت طبيًا عدم صلاحية أكل الميتة ، لاسوداد ولزوجة لحمها ، وكراهة رائحتها ، وعدم صلاحية أكل الحيوان المفترس والطير الجارح لصلابة عضلاته،

مما يحدث عسرًا فى الهضم ، وتلون لحمه ، وقبح رائحته، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة» [أخرجه ابن ماجه والدارمى فى كتاب الصيد واللفظ للدارمى] . ويضاف إلى ذلك ما يخرج من الميتة كالبيض الطبيعى، والبيض الفاسد، والبيض المنتن ، ولبن سائر الحيوانات الطاهرة ، ولبن الكلب والخنزير.

ويستثنى من نجاسة الميتة عدّة أشياء فهى طاهرة ، على حسب المذاهب الأربعة ، وهى موضحة على النحو التالى :

* لحوم السمك والجراد هما طاهران ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «أُحل لنا ميتتان ودمان ، أما الميتتان فالحوت والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال» [أخرجه ابن ماجه وأحمد] ، والحوت يطلق على السمك كبيرًا كان أو صغيرًا .

* ميتة ما ليس له دم يسيل كالنمل والنحل ونحوهما فإنها طاهرة ، فإذا وقعت فى شىء وماتت فيه لا تنجسه ، إلا أن الشافعية يرون أنه إذا وقعت بفعل فاعل أو كثرت حتى غيرت ما وقعت فيه فإنه نجس .

* شعر وصوف ووبر وريش الحيوان إذا أخذ من ميتة فهو طاهر ، هذا ما ذهب إليه المالكية والحنابلة . وذهب الحنفية إلى أن العظم والحافر والمنقار من الأشياء الطاهرة، ويرى الشافعية أن كل ما ذكر فهو نجس إلا أنه يصح الانتفاع به ، ولا تصح الصلاة به أو عليه .

* جلد الميتة التى يؤكل لحمها يُطهر بالدَّبغ ، فعن الرسول ﷺ عندما مرَّ على شاة ميتة أنه قال : «هلاً أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم به» [أخرجه مسلم والترمذى وأحمد واللفظ لمسلم] .

* بيض الطائر الذى لم يفسد ، بشرط أن يكون متصلِّب القشرة ، إلا أن المالكية يرون بأن البيض نجس وإن كان قشره متصلبًا .

تحريم الدم وحكمته . من الأعيان النجسة دم الآدمى والحيوان ، سواء أكان دمًا مسفوحًا ، أو دم حيض أو دم نفاس . فالدم تجتمع فيه السموم التي تفرزها

الكائنات المتطفلة فى الجسم . كما أن كثيرًا من الطفيليات تمضى فيه مراحل قصيرة أو طويلة فى دورة حياتها فى عائلها . فعندما يخرج الدم من الجسم ويلاقى الهواء، فإنه يفسد ويصبح مرتعًا للجراثيم وتوالدها وانتشارها ، فى حين أن الدم مأمون الضرر عندما يكون داخل الجسم ، وذلك لوجود الكرات البيضاء . لهذه الأسباب ، كان تناول الدم كغذاء محرمًا ، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة البقرة (173) :

«إنما حرم عليكُمُ الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله .

فدم الحيض ، ودم النفاس ، ودم الاستحاضة تعتبر مواد سامة فى جسم الأنثى ، فإذا بقيت أضرت بها .

فدم الحيض يخرج من قُبل المرأة مرَّة كل شهر ، وهو من أدلة بلوغ المرأة، ويعرف بلونه الأسود فى أول نزوله ، ثُم يتغير إلى الحمرة ثم الصفرة ثم الكدرة ، وعندما ينقطع الدم يصبح لونه مائلاً إلى البياض ، وأقل مدة الحيض يوم وليلة وأطولها خمسة عشر يومًا . ويحسب فترة الحيض من أول نقطة ، وتنتهى بعد انقطاع الدم تمامًا . ويتم التطهر من دم الحيض بالغسل بعد إرتفاع الدم تمامًا .

ودم النفاس يخرج من قُبل المرأة بسبب الولادة ، ولو كان المولود مسقطًا، وأقله لحظة ، وأكثره أربعون يومًا ، وينتهى عند إنقطاع الدم تمامًا . ويجب التطهر من دم النفاس بالغسل أيضًا بعد ارتفاع الدم نهائيًا .

ودم الاستحاضة يسيل من قُبل المرأة فى غير وقت الحيض أو وقت النفاس، أو قبل سن البلوغ ، أو بعد سن اليأس ، أو كل دم زاد عن أكثر مدة الحيض أو النفاس أو نقص عن أقله . ويجب التطهر من دم الاستحاضة بالوضوء بعد ارتفاع الدم تمامًا .

ويُحرم ممارسة النكاح أثناء الحيض ، لأنه ثبت أن دم الحيض أذى على المرأة والرجل على حدٍّ سواء . والضرر معنوى ومادى . أما الضرر المادى فهو أن

المرأة فى حالة الحيض ، تنفتح أوعيتها الدموية فى رحمها ، فتصبح مهيأة لقبول العدوى . ولما كان دم الحيض هو خليط من خلايا بطانة الرحم والدم وإفرازات الغدد ، ففيه من الجراثيم التى تُعرِّض الرجل للالتهاب عند الاتصال الجنسى ، إذ ينتقل جزء من الحيض إلى القناة البولية ثم ينتقل بدوره إلى البروستاتا والمثانة والحالبين والكلى . أما الضرر المعنوى فهو تقزز الرجل من الحالة التى عليها جهاز المرأة التناسلى ، كما أن المرأة تكون غير مهيأة جنسيًا ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (222):

«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ . . .»

فقد وجب عدم ممارسة الاتصال الجنسى أثناء فترة الحيض .

ويستثنى من نجاسة الدم عدة أشياء فهى طاهرة ، على حسب المذاهب الأربعة ، وهى موضحة على النحو التالى :

* بقايا الدم الطاهر فى العروق ، لقول عائشة رضى الله تعالى عنها : «كنا نأكل اللحم والدم خطوط على القدر» ، ويرى المالكية والحنفية أنه يعفى عن اليسير من الدم .

* دم الكبد والطحال طاهر ، للحديث الشريف الذى ذكر أنفًا .

* دم السمك والقمل والبرغوث والبق ونحوها طاهر ، إلا أن المالكية يرون أن دم السمك نجس إذا كان مسفوحًا .

* دم شهيد القتال ما دام على جسده فهو طاهر .

وكذا الدم القليل الذى يسيل من إنسان أو حيوان فهو طاهر أيضًا .

تحريم النفايات وحكمته . من الأعيان النجسة الفضلات والإفرازات الخارجة من الإنسان والحيوان على المذاهب الأربعة ، وهى موضحة على النحو التالى :

* بول وغائط الآدمى ، أى ما يخرج من السبيلين ، فهما نجسان ، إلا أن الشافعية والحنابلة يرون أن بول الغلام الذى لا يأكل الطعام ويعيش على الرضاعة يطهر برش الماء عليه ولا يجب غسله .

* قيح وصديد الآدمى أو غيره فهما نجسان ، قياسًا على الدم ، إلا أنه يعفى عن اليسير منهما لمشقة الاحتراز .

* قيء الآدمى أو غيره ، أى ما يخرج من فمه ، فهو نجس لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن الرسول ﷺ قال «إذا قاء أحدكم فى صلاته فلينصرف وليتوضأ» .

* جميع الإفرازات المهبلية عند المرأة ، وما يخرج من مخرج البول من المنى وهو ماء رقيق لزج يخرج من مجرى البول عند المداعبة ونحوها ، والودى وهو ماء أبيض ثخين يخرج عقب البول بسبب مرض أو برد أو نحوهما ، فهما نجسان فعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال فى حالة الودى والمذى : «اغسل ذكرك وتوضأ وضوءك للصلاة» [من حديث أخرجه النسائى فى كتاب الطهارة وأبو داود وأحمد]، إلا أن الحنابلة قالوا بطهارة المذى والودى إذا كان من آدمى أو مما يؤكل لحمه .

* منى الآدمى أو غيره فهو نجس عند المالكية والحنفية ، وذلك لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ يغسل المنى ثم يخرج إلى الصلاة فى ذلك الثوب وأنا أنظر أثر الغسل فيه» [أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة]، إلا أن الشافعية والحنابلة قالوا بطهارة منى الآدمى .

* لبن من الحى الذى لا يؤكل لحمه كالأتان فهو نجس عند الشافعية والمالكية ، وأما عند الحنفية والحنابلة فهو طاهر .

* فضلة ما لا يؤكل لحمه من الحيوانات والطيور ، أى البول والروث ، فهما نجسان أما بالنسبة لما يؤكل لحمه ففيه خلاف بين المذاهب ، إذ إنهما نجسان عند الشافعية والحنفية . ويرى المالكية والحنابلة أنهما طاهران ، إلا إذا كانا يتغذيان بالنجاسة . واستثنى الحنفية الطائر الذى يذرق فى الهواء كالحمام

والعصفور وغيرها ، فإن ذرقه معفو عنه لعدم إمكان الاحتزاز منه . ويعفى عما يكون من بول أو روث فى الطرقات ، دفعًا للحرج ، على أن يكون يسيرًا .

* سؤر ما لا يؤكل لحمه من الحيوانات والطيور فهو نجس ، لاختلاطه بلعابه النجس . ويرى الحنفية أن سؤر البغل والحمار مشكوك فى طهوريته ، فإن لم يوجد إلا هو توضأ منه وتيمم ، وسؤر الدجاجة وسباع الطير مكروه .

تحريم الخنزير وحكمته . من الأعيان النجسة لحم الخنزير ، وما يرشح منه من لعاب ومخاط وعرق ودمع وسؤر . فقد حرَّم الله تعالى أكل لحم الخنزير ، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة الأنعام (145) :

« . . . أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ . . . »

والخنزير معرض للإصابة بعدد كبير من الطفيليات التى تصيب الإنسان من الفيروسات والديدان . وقد ثبت علميًّا أن لحم الخنزير يحتوى على ديدان تتسبب فى مرض الإنسان الذى يأكل لحم الخنزير بداء معين . فمن عوارضه الإسهال الشديد، وأحيانًا إسهال دموى مع مغص وحمًّى وضعف وهزال فى القوى، وإنتفاخ فى الوجه وخاصة حول العينين مما قد يؤدى إلى وفاته ، ونسبة عالية جدًا من الدهون مما يزيد نسبة الكولسترول فى دم الإنسان الذى يأكل لحم الخنزير فيصاب بتصلب الشرايين وأمراض القلب ، وقذارة متناهية حيث تأكل الخنازير النفايات والفضلات والأوساخ والأقذار .

تحريم الكلب وحكمته . من الأعيانُ النجسة جميع أنواع الكلاب ، وما يرشح منها من لعاب ومخاط وعرق ودمع لنجاستها . وسؤر الكلب نجس أيضًا ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب» [أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة والترمذى والنسائى وغيرهم]. فإذا ولغ الكلب فى إناء ، وجب المبالغة فى غسل الإناء بالتراب ثم بالماء حتى يتطهر من الميكروبات . وبالرغم من أن الإسلام قد أباح تربية الكلاب وإقتناءها للحراسة فى الحقول والحدائق ، فقد حذر الرسول ﷺ من تربية الكلاب داخل البيوت،

ومداعبتها ، وتقبيلها ، وتركها تلعق الأيدى أو فضلات الطعام من الأوانى المعدة لأكل الإنسان .

والحكمة فى تحريم الكلاب هى أنه ثبت طبيًّا حمل الكلاب ميكروبات أمراض خطيرة عن طريق لعابها كمرض السل والكلب والصرع . كما أنها تصاب بديدان شريطية تتعداها إلى الإنسان ، وتصيبه بأمراض عديدة منها حدوث تكيس فى الكبد والرئتين والرأس ، مما يحتاج إلى عمليات استئصال لهذه الأكياس .

تحريم الخمر وحكمته. من الأعيان النجسة جميع أنواع المسكرات كالخمور لاحتوائها على كميات متفاوتة من الكحول تتراوح نسبته ما بين 3.5% و 55% حسب نوع المشروب والمادة الخام المحضَّر منها . والكحول الإيثيلى هو المكون الأساسى للمشروبات الكحولية من الخمور ، وينتج من تخمر السكريات بالخمرة .

والخمر فى اللغة هو ما أسكر من عصير العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة، الذى غلى واشتد وقذف بالزبد ، وأصبحت خمرًا لأنها تركت حتى اختمرت، أو لأنها تخمر العقل وتعكره . والخمر فى الشرع هى كل ما خالط العقل أو ستره سواء اتخذ من العصائر من المشروبات الكحولية أو المسكرات الأخرى .

وإذا كان فى الخمر قليل من المنافع التجارية، فإن ضررها أكثر من نفعها. فقد ثبت طبيًا تأثيرها الضار على كثير من أعضاء وأجهزة جسم الإنسان ، وهى على النحو التالى :

* **تأثير الخمر على الجهاز الهضمى .** يُسبب تناول الخمر زيادة فى إفراز اللعاب والعصارة المعدية ، وضعف قدرة المعدة على الهضم وهذا كله يعوق سرعة انتقال المواد الغذائية من المعدة إلى الأمعاء ، وعسر الهضم ، وزيادة الحامض المعوى ، والتعرض للإصابة بالحموضة والقرحة .

* **تأثير الخمر على الجهاز الدورى والدموى .** يُسبب تناول الخمر ارتفاعًا فى ضغط الدم، وازديادًا فى حركة النبض ، وسرعة فى ضربات القلب ، فيضعف القلب نتيجة لتوالى تأثير الخمر عليه ، وعلى الضغط الدموى .

* **تأثير الخمر على الجهاز التنفسى** . يُسبب تناول الخمر أعراضًا عديدة من بينها الالتهابات الشديدة فى القصبة الهوائية والرئتين .

* **تأثير الخمر على الكليتين** . يُسبِّب تناول الخمر إفراز حجم كبير من البول شديد الحموضة ، ويرجع ذلك إلى هبوط فى الأعصاب المركزية . وإذا زاد إدرار البول بكثرة ، فإنه يكثر إفراز الماء من الكلى ، بينما يقل إفراز أملاح الصوديوم والبوتاسيوم نتيجة لقلة إفرازات الغدة الكظرية .

* **تأثير الخمر على الكبد** . يُسبِّب تناول الخمر تأثيرًا ساما مباشرًا على الكبد . ففى غضون أربع ساعات من تعاطى الخمور ، تهبط كمية الجليكوجين فى الكبد ، وتزيد الدهنيات ، وتهبط كفاءة تمثيل الجلوكوز ، مما يدل على فساد فى وظائف الكبد ، ويعقب ذلك تضخمه وتشحمه وقلة إفرازه ، ثم تليفه ، وعدم مقدرته على القيام بوظائفه الحيوية .

* **تأثير الخمر على الجهاز العصبى** . يُسبِّب تناول الخمر تأثيرًا سيئًا على الجهاز العصبى المركزى ، وتضعف مراكز المخ التى تميز الإنسان عن الحيوان ، وتتحكم فى شعور الإنسان بالخجل والخوف وفى القدرة على الكلام والحركة ، وتظهر الاضطرابات النفسية .

* **تأثير الخمر على ذرية الشارب** . يُسبِّب تناول الخمر تأثيرًا سيئًا على ذرية شارب الخمر ، فتتعرض هذه الذرية لتشوهات خلقية ، كضعف الجسم ، وضعف المناعة، والإصابة بنوع من البله . وبالاختصار فإن شرب الخمر يتسبب فى حدوث إلتهاب مزمن فى الأعصاب ، والتهاب فى الكلى ، وتصلب فى الشرايين ، وتحجر فى الكبد ، وضعف فى القلب ، والتهاب فى المعدة ، وعسر فى الهضم ؛ وتأثر حالة الإنسان البدنية والعقلية ، وقلة درجة إدراكه وتقديره للأمور ؛ وارتفاع ضغط الدم لدرجة أنه يمكن أن ينفجر شريان المخ الذى قد يسبب شللاً كليًا أو جزئيًا .

وكانت الخمر شائعة الاستعمال أيام الجاهلية ، واعتاد العرب شرب الخمر

قبل وفى أول عهد الإسلام ، فسلك الله تعالى فى التدرج حتى لا تشعر النفس بمشقة المنع ، ولا تحملها شدة التعلق بها على عدم امتثال البعض إلى أمر الله تعالى فى اجتنابها ، فأنزل الله تعالى فيها أربع آيات قرآنية كريمة ، وهى على النحو التالى :

* **مرحلة التحريم الأولى** . كان المسلمون فى بادئ الأمر يشربون الخمر ، حيث كانت حلالاً لهم فى ذلك الوقت كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النحل (67):

«وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ والأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقًا حسنا إن في ذلك لآيةً لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»

ثم سأل بعض الصحابة الرسول ﷺ قائلاً : : «أفتنا فى الخمر والميسر ، فإنها مذهبة للعقول ، ومسلبة للمال» . فنزل الوحى على الرسول ﷺ ، يجيب على سؤال الصحابة كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (219) :

«يسأَلُونَكَ عنِ الْخمْرِ وَالْمَيْسِرِ قلْ فِيهما إِثْمٌ كبيرٌ ومَنَافِعُ لِلنَّاس وإِثْمهما أكبرُ من نَّفْعِهِمَا . . .»

فشربها قوم ، وتأثَّم منها آخرون . وكان قد دعا عبد الرحمن بن عوف أناسًا من الصحابة ، وأتاهم بخمر ، فشربوا وسكروا . وعندما حضرت صلاة المغرب ، قاموا لصلاتها وقرأ الإمام : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدونَ﴾ بحذف الحرف «لا».

* **مرحلة التحريم الثانية** . نزل الوحى على الرسول ﷺ ، يأمر الله تعالى فيه القوم بعدم الصلاة وهم سكارى ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (43) :

«يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأنتمْ سُكَارىٰ حتىٰ تعلموا ما تقولون . . .»

فقلَّ من شربها . ثم اجتمع بعض الصحابة يومًا فى دار عتبان بن مالك ، وفيهم سعد بن أبى وقاص . فلما سكروا ، تناشدوا أشعار الهجاء وتضاربوا . فشكا بعضهم إلى الرسول ﷺ ، وسأل عمر رضى الله عنه ربه عز وجل : «اللهم بين لنا فى الخمر بيانًا شافيًا» .

* **مرحلة التحريم الثالثة** . نزل الوحى على الرسول ﷺ ، محرمًا شرب الخمر تحريمًا قاطعًا ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة.(90 و 91):

«يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا إِنَّما الْخَمرُ والميسرُ وَالأنصاب والأزلام رجس مَن عمل الشَّيطانِ فاجْتَنبُوهُ لعَلَّكُمْ تُفْلحُون * إنّما يُريدُ الشّيطانُ أن يوقِع بينَكمُ العداوه والبَغْضاء فِي الْخمْرِ والْمَيسر ويصُدّكُم عن ذكرِ اللّه وعن الصّلاة فهل أنتم مُنْتَهُونَ»

وبهذا حُرمت الخمر ، وصارت من الكبائر ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث» [أخرجه النسائى فى كتاب الأشربه].

والمتأمل فى الآية السابقة الذكر ، يجد أن الله تعالى تشدّد فى تحريم الخمر لأمور عديدة منها : (1) قرن الله تعالى الخمر والقمار بالأوثان ، وهى من أشد المحرمات فى الإسلام ؛ (2) وصف الله تعالى الخمر والقمار بأنهما رجس ، وهو الشيء القذر النجس الذى يشمئز منه المؤمن ؛ (3) ذكر الله تعالى أن الخمر والقمار من عمل الشيطان ، وهو لا يتأتى منه إلا الشر ؛ (4) أمر الله تعالى باجتناب الخمر والقمار لأنهما يؤديان إلى وقوع العداوة والبغضاء ، ويصدان عن ذكره ، ويبعدانه عن الصلاة . ولم يكتفى الإسلام بتحريم شرب الخمر ، بل حرم كل ما يتصل بها ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمول إليه» [رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد واللفظ لأبى داود].

أما عن المواد المخدرة ، وأكثرها انتشارًا الكوكايين والهيروين والحشيش والأفيون والقات وغيرها ، فلم ترد آيات صريحة فى القرآن الكريم تحرِّم هذه المواد ، وإنما جاء تحريمها ضمنًا فى التفاسير . فتعاطى المخدرات التى تذهب العقل ،

لها تأثير بالغ الخطورة فسيولوجيًا ، أى لها ضرر بالغ على وظائف الأعضاء . هذا بالإضافة إلى الأضرار الاجتماعية والصحية والاقتصادية التى تصيب الإنسان . فمضار تعاطى المخدرات لا يقل بأى حال من الأحوال عن المضار التى يسببها شرب الخمر التى حرمها الإسلام . فعن الرسول ﷺ أنه قال: «كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام» [أخرجه مسلم فى كتاب الأشربه وابن ماجه وأحمد] .

* * *

الفصل الثانى : تطهير النجاسات الخبيثة

الطهارة من الأخباث فى اللغة تعنى النظافة من الأقذار والأوساخ . أما فى الشرع فهى تعنى إزالة عين النجاسة من البدن والثوب والمكان الذى يصلًّى فيه. والقاعدة العامة فى إزالة النجاسة هى إزالة أثرها حتى لا يبقى لها ما يدل عليها من جرم أو لون أو رائحة أو طعم . والأخباث هى القذارة أو النجاسة التى قد تتعلق بأى منها . ومن شروط صحة الصلاة أن يطهر المسلم أعضاء جسمه ، وجميع ملابسه ، ومكان صلاته من الأخباث التى قد تتعلق بأى منها .

وقد أمر الله تعالى عباده بالتطهر من الخبائث والنجاسات التى ثبت ضررها ، لأنها مواطن تتولد فيها الجراثيم الضارة . وقد أثبت القرآن الكريم نجاسة بعض الأعيان أو الأشياء منذ أربعة عشر قرنًا ، فى حين أنه لم يتوصل العلم إلى كشف أضرارها إلا منذ أمدٍ قريب بعد اكتشاف المجهر .

وإزالة النجاسة بالماء من خصوصية الأمة المحمدية ، حيث كان السلف يقطع محل النجاسة إن كانت جلدًا أو قماشًا . أما حكم إزالة النجاسة فى الإسلام، فإنها تنقسم إلى قسمين هما على النحو التالى :

* **النجاسة الحكمية أو المعنوية** . وهى النجاسة التى لا جرم مرئى أو محسوس لها أى لا ترى بالعين المجردة ، ولا لون ولا طعم ولا رائحة لها ، كبول جف ويبس، فيكفى فى تطهيرها صبُّ الماء على جميع مواردها مرة واحدة ، ويفضل ثلاث مرات . ولو كان سيلان الماء على النجاسة من غير فعل فاعل كالمطر ، فإنها تطهر لأن إزالة النجاسة لا تحتاج إلى نية .

* **النجاسة العينية أو الحسية** . وهى النجاسة التى تشاهد بالعين المجردة ، ومحسوسة بإحدى الحواس ، ولها صفات النجاسة وهى جرم وطعم ولون ورائحة، فتظهر بإزالة أثر جرمها ومعالجة أوصافها. فإن كان الجرم رطبًا، فيجفف وتزال عينه . وإن كان جافًا ، فيحك ويفرك حتى تزول عينه ، ثم يغسل بالماء مرة واحدة فيطهر ، ويفضل ثلاث مرات . وإن احتاج إلى الصابون أو غيره من المنظفات ، فيغسل بالماء والمنظف .

ومطهرات النجاسة تشمل عدَّة وسائل منها : استخدام المائع الطاهر ، أو دلك النعل بالأرض ، أو تجفيف الأرض بحرارة الشمس ، أو مسح المحاجم بالخرق المبتلة بالماء ، أو استخدام النار ، أو استعمال الدباغة ، أو تقوُّر السمن الجامد إذا ماتت فيه فأرة مثلاً ، أو نَزْح بئر الماء من النجاسة ، أو دخول الماء من جانب وخروجه من جانب آخر ، أو حفر الأرض بتقليب الأعلى إلى الأسفل. فيجب إزالة النجاسة بإحدى هذه الوسائل ، إلا ما عفى عنها لتعذر إزالتها أو عسر الاحتزاز منه دفعًا للحرج . وإليك تفصيلاً بطرق تطهير الجامد المتنجس ، والمائع المتنجس ، وهو على النحو التالى :

تطهير الجامد المتنجس . يجب أن يراعى الإنسان طهارة الإناء عند نجاسته بصب الماء عليه ، وذلك بتدويره من أعلى إلى أسفل مع إمالته ، لأنه لو دار الماء فى الإناء فقط بدون إمالة ، تكون النجاسة قد انتشرت فى أنحائه . ويرى الحنابلة أنه تُطهر الآنية التى لا تتسرب النجاسة منها بمرور الماء عليها ، أو انفصالها عنها سبع مرات . أما الحنفية فيرون أن الأوانى المتنجسة ثلاثة أنواع : فخار وخشب وحديد ونحوه ، وتطهيرها على أربعة أوجه : حرق، ونحت ، ومسح ، وغسل، وهى على النحو التالى :

* إذا كان الإناء من فخار أو حجر ، ودخلت النجاسة فى أجزائه ، فإنه يطهر بالحرق إن كان جديدًا ، وبالغسل إن كان عتيقًا .

* إذا كان الإناء من حديد أو نحاس أو رصاص أو زجاج ، فإنه يطهر بالمسح إن كان مصقولاً ، وبالغسل إن كان خشنًا .

كذلك تطهر بالمسح السطوح المصقولة كالآنية المدهونة ، والمرايا ، والزجاج ، والسيف ، والسكين ، والظفر ، والعظم ، وصفائح الفضة غير منقوشة ، وموضع الحجامة إذا مُسحت بثلاث خِرَق رطبة أجزأه عن الغسل .

كما يجب أن يراعى الإنسان طهارة الجوامد التى تشربت حنطة النجاسة مثل اللحم المطبوخ فى ماء نجس ، ظاهرًا وباطنًا بصب الماء عليها ، إلا في حالة الطوب الذى عجن بنجاسة جامدة ، فإنه لا يقبل التطهير . وإليك أقوال بعض المذاهب الفقهية :

* يرى المالكية أنه لا يقبل التطهير من الجامد الذى تشرب النجاسة كاللحم ، بخلاف إذا حلت به النجاسة بعد نضحه فإنه يقبل التطهير .

* يرى الحنفية أنه تقبل الأوانى النجسة التطهير على الوجه المتقدم ، وإن كانت مما يطبخ كاللحم والحنطة فلا تطهر بعد الغليان أبدًا لأن أجزاءها تكون قد تشربت النجاسة .

* يرى الحنابلة أنه يقبل البيض المسلوءة التطهير لصلابة قشره ، أما اللحم المطبوخ أو المسلوق فهو لا يقبل التطهير مطلقًا .

تطهير المائع المتنجس . يجب أن يراعى الإنسان طهارة المائعات كالزيت والسمن والعسل ، والمائعات التى أصابتها النجاسة لا تطهر لأنها تشربتها ، وانتشرت فى جميع أجزائها ، فيجب إراقتها ، وذلك لقول الرسول ﷺ عن الفأرة التى تموت فى السمن: «إن كان جامدًا فألقوها وما حولها ، وإن كان مائعًا فلا تقربوه» وفى رواية أخرى «فأريقوه» . ولو أمكن تطهيره شرعًا لم يقل ذلك الرسول ﷺ لأن فى الإراقة إضاعة للمال، ويقول الحنفية أنه يطهر بصب الماء عليها ورفعه منها ثلاثة ، أو توضع فى إناء مثقوب (مَصْفَة) ، ثم يصب عليه الماء فيعلو الدهن ويحركه ، ثم يفتح الثقب إلى أن ينزل الماء .

وليس عجبًا فى دين جعل الطهارة مفتاحًا لأولى عبادته وهى الصلاة. فقد اشترط الشارع لصحة الصلاة أن يكون بدن المسلم نظيفًا موصوفًا بالطهارة من النجاسات، وثوب المسلم نظيفًا أى موصوفًا بالطهارة من الأخباث، ومكان الصلاة نظيفًا أى موصوفًا بالطهارة من الأقذار، فلا يصح أن يقف المسلم فى الصلاة يناجى ربه بالقراءة والذكر والدعاء، إلا إذا كان على أنظف وأطهر بدن، وفى أجمل وأطهر لباس، وفى أحسن وأطهر مكان. لذلك كانت إزالة النجاسة من البدن والثوب والمكان الذى يصلى فيه واجبًا عند جميع المذاهب الفقهية بالإجماع. وقد ذهب الحنفية إلى أحكام إزالة النجاسة، وهى على النحو التالى:

* إزالة النجاسة فرض، إذا زادت على قدر الدرهم، وتبطل الصلاة بوجودها.
* إزالة النجاسة واجب، إذا تساوت مع قدر الدرهم، وتصح الصلاة بها مع الكراهة.
* إزالة النجاسة سنَّة، إذا قلت عن قدر الدرهم، وتصح بها الصلاة.

ويقدر الدرهم فى النجاسة المائعة بملئ قعر الكف. ويمكن تفصيل طرق تطهير البدن والثوب والمكان الذى يصلى فيه على النحو التالى:

تطهير البدن المتنجس :

يجب أن يراعى الإنسان طهارة بدنه من مختلف النجاسات قبل قيامه إلى الصلاة، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «طهروا هذه الأجساد طهركم الله، فإنه ليس من عبد يبيت طاهرًا إلا بات فى شعاره ملك، لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهرًا»، وشعاره يعنى فراشه. ويقصد من إزالة النجاسة من البدن تحسين حال المصلى حال مناجاة الله تعالى. فإذا أصاب البدن نجاسة يجب غسلها بالماء الطهور حتى تزول النجاسة من لون ورائحة.

والوسيلة الطيبة لنظافة البدن وتطهيره مما يتعلق به من نجاسات وأوساخ وأخباث هى تنشيطه بكثرة الاستحمام، مع تعميم البدن بالماء وإفاضة هذا الماء على جميع أجزاء الجسم بما فيه شعر الرأس. والاستحمام يزيل ما علق

بالجسم من غبار وعرق ، وينشط الجسم فيزول الكسل عن البدن ، وينشط القلب إلى العبادة .

ومن الجدير بالذكر، أن الإسلام فرض عدَّة تشريعات لصحة الأبدان لتقيها من الأمراض، وبذلك وضعت القواعد الأساسية للطب الوقائى قبل أن يفطن إليها الطب المعاصر . فمن التشريعات الوقائية ما هو على النحو التالى :

تجنب وطء الحائض . أوجب الإسلام اعتزال الحائض لأنه أذى لكل من الزوج والزوجة . والحكمة من تحريم جماع الزوجين أثناء فترة الحيض ، وتجنب الأذى الذى ينج عنه هذا الاتصال الجنسى ، هو أن مهبل المرأة يعتبر مرتعًا خصبًا لتكاثر الميكروبات ، فتصيب الرجل بالتهابات عديدة فى كل من الجهاز التناسلى والجهاز البولى للرجل ، فتمتد الجراثيم إلى داخل قناته البولية ، مما قد يؤدى بالرجل إلى الضعف الجنسى والعقم. أما المرأة فتلحق بها أذى قد يتمخض عنه مغص وصداع شديد ، وقىء متكرر ، وآلام مبرحة ، وتوتر أعصابها ، وحدَّة فى طباعها، كما يعرض المبيض للالتهابات التى تؤدى فى معظم الأحيان إلى العقم.

منع فاحشة الزنا . أوجب أوجب الإسلام تجنب الاتصالات الجنسية غير الطبيعية لأنها تسبب التلوث بالجراثيم ، مما يؤدى إلى الإصابة بمختلف الأمراض التناسلية لمرض الزهرى بأطواره الثلاثة ، ومرض السيلان ، بالإضافة إلى الأمراض الاجتماعية نتيجة انجاب أطفال غير شرعيين . ويحذر الرسول ﷺ من الزنا بقوله : «يا معشر الناس ، اتقوا الزنا فإن فيه ست خصال : ثلاثًا فى الدنيا وثلاثًا فى الآخرة . أما التى فى الدنيا : فيذهب البهاء ، ويورث الفقر ، وينقص العمر. وأما التى فى الآخرة : فسخط الله ، وسوء الحساب ، وعذاب النار».

عزل ذوى العدوى . أوجب الإسلام عزل المشتبه فيهم بسبب الأمراض المعدية كالطاعون والكوليرا والجزام . وبذلك وضعت التشريعات للحجر الصحى التى بها تضمن عدم انتشار هذه الأمراض ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها»

[أخرجه البخارى وأحمد واللفظ للبخارى] . فعدم المخالطة مع هؤلاء المرضى والابتعاد عنهم هو أفضل الوسائل للوقاية منهم .

تعجيل دفن الموتى . أوجب الإسلام سرعة غسل الميت بالماء الطهور، ثم تكفينه، ثم دفنه، حتى لا تتعفن جثته، ، مما يؤدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض المعدية بين الأصحاء .

تطهير الثوب المتنجس :

يجب أن يراعى الإنسان طهارة ثوبه من مختلف النجاسات قبل قيامه إلى الصلاة ، لقول الله تعالى فى سورة المدثر «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» .

ويطهر الثوب المتنجس ولو مرَّة واحدة متى زالت عين النجاسة ولونها ورائحتها ، وذلك إذا غسل فى ماء جارٍ أو صُبَّ الماء عليه . أما إذا غسل فى وعاء، فإنه لا يطهر إلا بالغسل ثلاثًا بشرط أن يعصر فى كل مرَّة منها . وقد اختلف الفقهاء فى كيفية إزالة الأخباث من الثوب ، وذلك على النحو التالى :

* إذا أصاب الثوب نجاسة حكمية كالبول ونحوه إذا جفَّ ، فإنه يُطَهّر بغسله بالماء مع حكه ودلكه بالأصابع ثم عصره كسائر النجاسات ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «تنزهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه» أما عن المذاهب الفقهية، فإنه يكفى فى تطهيرها جريان الماء عليها ولو مرة واحدة عند الشافعية والمالكية ، ولا يكفى أقل من ثلاث غسلات عند الحنفية ، ولا يكفى أقل من سبع غسلات عند الحنابلة .

* إذا أصاب الثوب نجاسة كبول الصبى الذى لم يبلغ العامين ، أى لا يزال يرضع ، فإنه يُطهَّر برش الماء عليه . أما بول البنت وبول الصبى الذى يتغذى على الطعام ، فإنه يغسل كسائر النجاسات ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «بول الغلام الرضيع يُنضح ، وبول الجارية يُغسل» [رواه الترمذى وأحمد واللفظ لأحمد]. والنضح هو رش الماء على موضع البول حتى يغمر دون دلك أو عصر .

* إذا أصاب الثوب نجاسة من المنى ، فإنه يُطَهَّر بغسله إذا كان رطبًا ، وفركه إذا كان يابسًا ، فقد قيل : «كنت أفرك المنى من ثوب الرسول ﷺ فيصلى فيه» [رواه أبو داود والإمام أحمد].

* إذا أصاب الثوب نجاسة من مذى الرجل أو قذى المرأة، فإنه يُطَهَّر بغسله بالماء ، أو رش الماء عليه ، فعن الرسول ﷺ أنه قال عندما سُئل عن كيفية تطهير الثوب من المذى : «يكفيك أن تأخذ كفًا من ماء فتنضح به ثوبك حيث ترى أنه قد أصاب منه» [أخرجه الترمذى وأبو داود وأحمد] .

* إذا أصاب الثوب نجاسة من دم الحيضة ، فإنه يُطهَّر كما قال الرسول ﷺ عندما سألته امرأة: إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة ، كيف تصنع به ؟ قال: «تحتُّه ثم تُقرصُه بالماء ثم تنضحه ثم تصلى» [أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة] ، وتحتُّه تعنى تحكه لإزالة عين النجاسة ، وتُقرصُه تعنى تدليك موضع الدم بأطراف الأصابع ليتحلل بذلك ، وتنضحه يعنى تغسله أو تشطفه .

* إذا أصاب الثوب نجاسة من كلب أو خنزير ، فلابد من غسلها سبع مرات أولا بالتراب عند الشافعية والحنابلة ، ويغسل ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا عند المالكية والحنفية .

تطهير المكان المتنجس :

يجب أن يراعى الإنسان طهارة المكان الذى يُصلِّى فيه من مختلف النجاسات قبل قيامه إلى الصلاة ، فعندما أتى أعرابى وبال فى المسجد ، فثار إليه الناس ليقعوا به فقال لهم الرسول ﷺ : «دعوه وأهريقوا على بوله سَجْلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» [أخرجه البخارى فى كتاب الأدب] ، فَسَجْلاً تعنى دلوًا ، وذنوبًا تعنى دلوًا صغيرًا. فالأرض تُطهر بصب الماء الطاهر عليها بعد زوال عين النجاسة إذا كان لها جرم. وقد زاد الحنفية مطهرًا آخر للأرض وهو الجفاف وتلاشى الرائحة .

أما النَّعل أو الخُف المتنجس ، فيطهَّر بالدلك أو المسح بالأرض ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «إذا وطئ أحدكم بنعله الأذى، فإن التراب طهور له» [أخرجه أبو داود فى كتاب الطهارة] ، وقال «فإذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعله ، فلينظر فيها فإن رأى بها خبثًا فليُمِسَّه بالأرض ثم ليصل فيهما» [أخرجه الإمام أحمد فى باقى سنن المكثرين] . أما إذا تشرَّب النَّعل أو الخُف بالبول والنَّجس ، فلا يجزئ المسح، بل يجب غسله .

* * *

الفصل الثالث : تيسير الطهارة الخبيثة

من مبادئ الشريعة الإسلامية مراعاة اليسر ، وإجازة التخفيف ، ورفع الحرج عن المؤمنين فى جميع التكاليف الشرعية التى كلف بها الله تعالى عباده، وذلك بقصد تهذيب النفوس البشرية ، وسمو الروح الإنسانية ، ومن هنا جاءت آيات القرآن الكريم توضح هذا المبدأ السامى. ففى بيان رسالة المسلم فى الحياة، يقول الله تعالى فى سورة الحج (78) :

« . . . وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . . . »

ويقول الله تعالى فى سورة البقرة (185) :

« . . . يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ . . . »

وإذا كان الإسلام قد بنى على اليسر ورفع الحرج فى عباداته وتكاليفه فى أحوال عامة ، فإنه شرَّع ألوانًا من الاستثناءات والإعفاءات والتسهيلات فى أحوال خاصة ، وهى التى توجد للإنسان نوعًا من المشقة ليؤده ويثقل ظهره ، ويقعد به عن مواصلة السير .

وإزالة النجاسة عن بدن وثوب ومكان المصلى واجبة إلا ما عفى عنه ، رفعًا للحرج ودفعًا للمشقة . لذلك عفا المشرع الحكيم عن بعض النجاسات لصعوبة الاحتراز منها ، وهى على النحو التالى :

* أثر النجاسة على ثوب أو بدن المرضعة من بول أو غائط رضيعها ، ولو لم يكن وليدها إذا اجتهدت فى التحرز عنهما حال نزولهما ، ويندب لها إعداد ثوب للصلاة.

* أثر النجاسة على بدن أو ثوب الإنسان من بلل الباسور كل يوم ولو مرًّ، وأما يده فلا يعفى عن غسلها إلا إذا كثر استعمالها فى إرجاعه ، بأن يزيد على مرتين كل يوم ، وإنما اكتفى فى الثوب والبدن بمرَّة واحدة فى اليوم ، ولم يكتف فى اليد إلا بما زاد على مرَّتين لأن اليد لا يشق غسلها إلا عند الكثرة ، بخلاف الثوب والبدن .

* أثر النجاسة على بدن أو ثوب أو مكان المصلى من سلس الأحداث ، كبول أو غائط أو مذى أو ودى أو منى إذا سال شىء منها بنفسه ، فلا يجب غسله عن البدن أو الثوب أو المكان الذى لا يمكن التحول عنه إلى مكان آخر إذا حصل شىء منها، ولو كل يوم مرَّة .

* أثر النجاسة على ثوب أو بدن الجزار من دم أو روث الذبائح ، أو على ثوب أو بدن نازح المراحيض من أوساخ وقاذورات ، أو على ثوب أو بدن الطبيب الجراح من نفايات الجروح كالدم والمدة والصديد والقيح، ويندب لكل منهم إعداد ثوب للصلاة .

* أثر النجاسة على ثوب أو بدن أو مكان المصلى من دمه أو دم غيره آدميا كان أو غيره ، ولو خنزيرًا إذا كانت مساحته لا تزيد عن قدر الدرهم ، ومثل الدم فى ذلك القيح والصديد .

* أثر النجاسة على ثوب أو بدن أو مكان المصلى من بول أو روث خيل أو بغال أو حمير الكلاَّف، فيعفى عنه لمشقة الاحتراز ، ويندب له إعداد ثوب للصلاة.

* أثر النجاسة على ثوب أو بدن الإنسان من ذباب أو ناموس أو نمل صغير يقع على نجاسة ويرفع شيئًا منها ، فيتعلق برجله أو فمه ثم يقع على ثوبه أو بدنه لمشقة الاحتراز. أما أثر النمل الكبير ، فلا يعفى لندرته .

* أثر النجاسة على بدن الإنسان من أثر دم موضع الحجامة بعد مسحه بخرقة ونحوها ، فيعفى عنه إلى أن يبرأ فيغسله .

* أثر النجاسة على قدمى أو ثوب الإنسان من طين المطر الموجود فى الطريق أو الشارع أو ماؤه المختلط بنجاسة ، فيعفى عنه بشرط ألا تكون النجاسة المخالطة أكثر من الطين أو الماء تحقيقًا أو ظنًّا ، وألا تصيبه النجاسة بدون ماء أو طين ؛ وألا يكون له مدخل فى الإصابة بشىء من ذلك الطين أو الماء، كأن يعدل عن طريق خال من ذلك إلى طريق فيه ذلك ، ومثل طين المطر ومائه الماء المرشوش بالطرق ، وكذلك الماء الباقى فى المستنقعات .

* أثر النجاسة على بدن أو ثوب الإنسان من أثر المِدَّة السائلة من دمامل ؛ سواء سالت بنفسها أو بعصرها .

* أثر النجاسة على بدن أو ثوب الإنسان من أثر خرء البراغيث ولو كثر ، وإن تغذت بالدم المسفوح فخرؤها نجس ، ولكن يعفى عنه ، وأما دمها ، فإنه كدم غيرها لا يعفى منه عما زاد على قدر الدرهم .

* أثر النجاسة على بدن أو ثوب الإنسان من أثر الماء الخارج من فمه وهو نائم إذا كان من المعدة ، بحيث يكون أصفر منتنًا ، فإنه نجس ولكن يعفى عنه إذا لازم.

* أثر النجاسة على بدن أو ثوب الإنسان من أثر ميتة القمل ، فيعفى منه عن ثلاث فأقل .

* أثر النجاسة على ثوب أو بدن الإنسان من السبيلين بعد إزالة عين النجاسة بما يزيلها من حجر ونحوه ، فيعفى عنه ولا يجب غسله بالماء ما لم ينتشر كثيرًا . فإذا انتشر تعيَّن غسله بالماء ، كما يتعيَّن الماء فى إزالة النجاسة عن قبل المرأة .

وخلاصة القول ، أن ما يعفى عنه من النجاسة طبقًا للشريعة الإسلامية الغراء ، يمكن تقسيمه على النحو التالى :

* ما يعفى عنه فى الماء وفى الثوب ، وهو ما لا يدركه الطَّرف ، وغبار النجس الجاف ، وقليل الدخان ، والشعر ، وفم الهرة والصبيان ، ومثل الماء ، مثل الثوب والبدن .

* ما يعفى عنه فى الماء والمائع دون الثوب والبدن ، وهو الميتة التى لا دم لها سائل ، ومنفذ الطير، وروث السمك فى الحب والدود الناشئ فى المائع .

* ما يعفى عنه فى الثوب والبدن من دم يسير ، وطين الشوارع ، ودود القز إذا مات فيه ، لا يجب غسله .

* ما يعفى عنه فى المكان فقط ، وهو ذرق الطيور فى المساجد ، والمطاف.

وهناك تقسيم آخر لما يعفى عنه من النجاسة ، وهو على النحو التالى :

* ما يعفى عن قليله دون كثيره ، وهو دم الأجنبى ، وطين الشوارع المتيقن نجاسته .

* ما يعفى عن أثره دون عينه وهو أثر الاستنجاء وبقاء ريح ، أو لون عسر زواله .

* ما يعفى عن عينه ، ولا عن أثره ، وهو ما عدا ذلك .

* ما يعفى عنه قليله أو كثيره فى الثوب والبدن ، وهو دم البراغيث ، والقمل، والبعوض ، والقيح ، والصديد ، والدمامل ، والقروح ، وموضع الحجامة ، والفصد وله شرطان : أولهما أن لا يكون بفعله ، وثانيهما أن لا يتفاحش بالإهمال .

جدول رقم (3) : وسائل الطهارة من الأخباث

رقم	عين النجاسة	كيفية إزالة أثر النجاسة
01	نجاسة مرئية على البدن	يغسل ما تلوث به المخرج من النجاسة الخارجة منه بالماء حتى تزول عين النجاسة.
02	نجاسة مرئية على الثياب	يغسل الثوب في ماء جارٍ حتى تزال عين النجاسة المرئية ورائحتها ، أو يغسل الثوب في وعاء ثلاث مرات بشرط أن يعصر في كل غسلة.
03	نجاسة حكمية على الثياب	يترك نجاسة الثوب حى يجف ، ثم يغسل بجريان الماء عليه ولو مرّة واحدة .
04	نجاسة مرئية على الأرض	يصب الماء الطاهر على الأرض المتنجسة ثلاث مرّات ، ثم تجفف كل مرّة بخرقة طاهرة ، أو يصب كميات كبيرة من الماء الطاهر على الأرض المتنجسة بحيث لا يترك للنجاسة أثرًا ، أو تجفف الأرض المتنجسة بحيث تتلاشى الرائحة .
05	نجاسة مرئية على النعل	يمسح النعل بالدلك حتى يزال أثر النجاسة . أما إذا تشرب النجس . فلا يجزئ المسح ، بل يجب غسله بالماء لإزالة النجاسة .
06	نجاسة في شيء جامد	تزال النجاسة وما حولها من جامد .
07	نجاسة في شيء مائع	لا يقبل التطهير ويتنجس .
08	نجاسة على سطح مصقول	غسل السطح المصقول بالماء ، أو المسح بما يزيل عين النجاسة .
09	نجاسة جلد الميتة	تطهر الجلود بالدبغ مستخدمًا مواد الدباغة .
10	نجاسة صيرورة الخمر	تزال المادة السكرية التى فى الخمر بأن تصير خلاً .
11	نجاسة دم الغزال	يطهر دم الغزال إذا صار مسكًا .
12	نجاسة كلب أو خنزير	يغسل سبع مرّات بالماء ، أولها بالتراب الطاهر.
13	نجاسة سؤر الكلب أو الخنزير	يغسل سبع مرّات بالماء ، أولها بالتراب الطاهر.

الباب الثالث

طهارة الأحداث

الفصـــل الأول : تعريف الأحداث الشرعية

الفصــل الثانى : تطهير الأحداث الشرعية

الفصل الثالث : تيسير الطهارة الحدثية

الباب الثالث
طهارة الأحداث

تكفلت الشريعة الإسلامية بتنظيم حياة العباد بما يضمن لهم ما يحفظ عليهم حياتهم واستقرارهم، وما يحقق لهم أمنهم وسعادتهم. والإنسان له فى حياته الدنيا غاية، وعليه أن يسعى فى سبيل أداء هذه الغاية التى تتلخص فى عبادته لله تعالى. وعبادة الخالق البارئ على الوجه الذى يطالب به الإسلام لا تتحقق إلا باتباع منهج الله تعالى من إطاعة أوامره واجتناب نواهيه. ومن أوامر الله تعالى إقامة الصلاة حتى يكون العبد على صلة وثيقة بمعبوده، إذ إن مقامها عند الخالق البارئ عظيم، وأثرها فى إصلاح العباد كبير.

فالصلاة تزكى النفس الإنسانية، وتوقظ الروح البشرية، وتنهى العبد عن فعل الفحشاء والمنكر، فيجعله الله تعالى قرير العين هادئ البال فى دنياه، ويغفر له ذنبه ويدخله جنته فى أخراه. والمصلى يحس برهبة المثول بين يدى الحضرة الإلهية يناجيه خمس مرَّات فى اليوم والليلة. فالصلاة تغسل المسلم من ذنوبه، وتطهره من خطاياه، فتجعله طاهر النفس كما لو كان البدن حين يغتسل قبل كل صلاة.

ولصحة الصلاة يجب أن يكون العبد طاهرًا من الأحداث. والحدث هو كل نجاسة معنوية اعتبرها الشارع مانعة من صحة الصلاة. والطهارة من الأحداث هى إزالة الحدث الأصغر بالوضوء، نتيجة خروج شىء من السبيلين، وإزالة الحدث الأكبر بالغسل، نتيجة جنابة الرجل والمرأة، أو حدوث دم الحيض والنفاس عند المرأة.

ومبحث طهارة الأحداث فى الفقه الإسلامى على المذاهب الأربعة. كثير الأحكام ولأداء الصلاة على وجه شرعى صحيح، وجب التعرف على مفهوم الحدث الأصغر والحدث الأكبر، وكيفية الطهارة منهما، والتيسير فى طهارتها. ولسهولة متابعة مبحث طهارة الأحداث، يوضح الجدول رقم (4) تبويبًا لأحكام الوضوء والغسل والمسح والتيمم التى نستعرضها فى هذا الباب. أما الجدول رقم (11) فى أواخر هذا الباب، فهو يعطى ملخصًا وافيًا لوسائل الطهارة الصغرى، والطهارة الكبرى، والطهارة الميسرة، والطهارة الترابية.

جدول رقم (4) : تبويب أحكام الوضوء والغسل والمسح والتيمم

الوضوء	الغسل	المسح		التيمم
		على الخف	على الجبيرة	
دليل مشروعية الوضوء	دليل مشروعية الغسل	مشروعية المسح على الخف	مشروعية المسح على الجبيرة	مشروعية الطهارة الترابية
		شروط المسح على الخف	شروط المسح على الجبيرة	شروط الطهارة الترابية
مفهوم صفة الوضوء	مفهوم صفة الغسل			
مفهوم أركان الوضوء	مفهوم أركان الغسل	أركان المسح على الخف		أركان الطهارة الترابية
مفهوم سنن الوضوء	مفهوم سنن الغسل	سنن المسح على الخف		سنن الطهارة الترابية
مفهوم أفعال الوضوء	مفهوم أفعال الغسل	أفعال المسح على الخف	أفعال المسح على الجبيرة	أفعال الطهارة الترابية
مفهوم أذكار الوضوء	مفهوم أذكار الغسل			
مفهوم مكروهات الوضوء مفهوم مبطلات الوضوء	مفهوم مكروهات الغسل	مبطلات المسح على الخف	مبطلات المسح على الجبيرة	مبطلات الطهارة الترابية
	مفهوم موجبات الغسل			

حكمة الطهارة من الأحداث :

المسلم الذى يحرص على أداء صلواته اليومية بجميع شروطها، يمتاز عن غيره من الناس بعدة أمور منها: الطهارة من النجاسات الحسية والأقذار الخبثية،

والطهارة من الأخلاق المذمومة والأدناس الباطنية، والطهارة من الرذائل الممقوتة والآثام المرذولة، والطهارة من الذنوب لتنقية السريرة.

وتظهر حكمة الطهارة عن الأحداث فى حديث الرسول ﷺ أنه قال: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء؛ فإذا غسل يديه، خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء؛ فإذا غسل رجليه، خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب» [رواه مسلم والترمذى وأحمد واللفظ لمسلم] . ويدل هذا الحديث النبوى الشريف على أن الطهارة من الأحداث ليست مجرد صب الماء على الجسم أو الجوارح للتنقية من الأقذار، بل إن من غاياتها السامية وأهدافها الغالية أن يطهر الجسم أو الجوارح طهارة معنوية.

ويقصد الشارع أنه من الواجب على كل متوضئ أو مغتسل، أن يتذكر أعضاء الوضوء بالذات، فقد يكون قد سخَّر عضوًا منها فى ارتكاب المعاصى، ومخالفة أوامر الله تعالى. فربما يكون قد:

* أنطق لسانه بكلمة كفر أو شرك أو شك، أو أطلقه فى نهش أعراض إخوانه المسلمين بالغيبة، أو تركه يوقع بين الناس بالنميمة ، أو

* أباح لعينيه تتبع العورات، أو النظر نظرات خبيثة محرمة، أو النظر نظرات احتقار وازدراء لإخوانه الفقراء والضعفاء، أو

* استعمل يديه فى إيقاع الأذى بالغير، أو سلب حقوق الناس المشروعة وظلمهم، أو

* حملته رجلاه إلى مكان فيه ما يغضب الله تعالى من عبث أو ضلال.

فغسل الإنسان لهذه الأعضاء، يوحى له أن عليه أن يغسل معها آثامها، ويجعل فى نفسه إحساسًا ووازعًا للابتعاد عن الشر.

فكل هذه الأمور وغيرها يجوز أن يقع فيها الإنسان لأنه غيرُ معصوم من الخطأ . وسوف تشهد هذه الأعضاء والجوارح عليه يوم القيامة بما فعلته، لأن الله تعالى يُنطقها إذا أنكر أو جادل. وهذه الجوارح بالذات هى الأداء فى ارتكاب الذنوب والمعاصى. لذلك كلف الشارع المتوضئ أو المغتسل بغسل هذه الأعضاء والجوارح لتطهيرها مما قد أوقعها فيه من آثام هو المتسبب لها فيها. فكأنما يُطهِّر المتوضئ بوضوئه أو المغتسل بغسله كل عضو من أعضاء بدنه، ليتذكر عدم العودة بهذا العضو إلى عمل يغضب الله تعالى ورسوله ﷺ. وبهذا يتحقق ما جاء فى الحديث النبوى الشريف السابق ذكره من خروج الخطايا من هذه الأعضاء. وتجدر الإشارة إلى الفوائد الروحية والصحية للطهارة .

فوائد الطهارة الروحية. الطهارة من الأحداث تضفى على الوجوه إشراقًا، وعلى الجسم صفاءً، وفى القلب إيمانًا، ليستعد المتوضئ أو المغتسل بعد كمال طهارته للوقوف أمام ربه يناجيه ويتضرع إليه ويسأله المغفرة والرحمة، ويرجوه الرضا والمثوبة مع التوابين والمتطهرين من صفوة خلق الله تعالى الذين رضى الخالق البارئ عنهم ورضوا عنه، وكتب لهم الفوز والنجاة فى جنات النعيم. فمن الفوائد الروحية للطهارة عن الأحداث ما هو على النحو التالى :

* الطهارة من الأحداث وسيلة لإضفاء نوع من الإحساس الروحى على النفوس مما، يساعدها على ترهيف أحاسيسها الذى هو المدخل إلى تذوق العبادة والتلذذ بها.

* الطهارة من الأحداث وسيلة لتهيئة الذهن، وتذكرة القلب، وإعداد اللسان، وتنبيه الجوارح، استعدادًا للوقوف خاشعًا بين يدى الله تعالى، حتى يتخلص من المشاغل الدنيوية، ويبدأ فى تفكير عميق فى الخالق البارئ.

* الطهارة من الأحداث وسيلة لاستحقاق الإنسان الثواب على طاعة الله تعالى، والتقرب إليه ومناجاته، والدخول فى ساحة رحمته.

* الطهارة من الأحداث وسيلة لصحة العبادات ، كالصلاة فرضًا ونفلاً ، والطواف حول الكعبة المشرفة ، وحمل أو مَسْ المصحف .

* الطهارة من الأحداث وسيلة لليقظة من النسيان لآيات الله تعالى الكونية والعلمية، ومحاولة الإنابة والرجوع إلى الإنسانية الكريمة العاقلة المفكرة، ليسعد وينعم بعبادة ربه وحده لا يشرك به أحدًا، ويعبده بما أحب وشرَّع، فيحيا الحياة الطيبة على هدى لا يضل منها ولا يشقى .

* الطهارة من الأحداث وسيلة لابتغاء مرضاة الله تعالى، مما يغذى الإيمان بالخالق البارئ، ويطبع فى النفس ملكة مراقبته التى هى من الأسباب الهامة فى سكينة النفس.

* الطهارة من الأحداث وسيلة رمزية لغسل الآثام التى يمكن أن تقوم بها أعضاء وجوارح الإنسان، وتجعل فى نفسه إحساسًا ووازعًا للابتعاد عن الشر، كما تجعل النفس فى رقابة ذاتية، وتوبة مستمرة.

فوائد الطهارة الصحية. أثبت العلم الحديث أن التعاليم الصحية التى فرضها الإسلام قد سبقت العالم بأربعة عشر قرنًا. فالطهارة المائية التى تتعلق بغسل الوجه واليدين والرأس والقدمين أى الوضوء، والتى تتعلق بتعميم جميع أعضاء الجسد بالماء أى الغسل، قد ساهمت فى منع انتشار الأمراض. فالوجه يتعرض لكثير من الأتربة والأوساخ، كما يتجلى فيه العرق بصورة واضحة، وتصيب بشرته مواد دهنية، مما يشجع على نمو الجراثيم. فغسل الوجه يزيل ما بها من أوساخ وأقذار تتراكم على البشرة؛ وغسل العين باستمرار يقيها من الأمراض، ويحافظ على حيويتها دون تعرضها للميكروبات ؛ ومضمضة الفم عدَّة مرَّات تخرج بقايا الطعام من بين الأسنان؛ وغسل اليدين إلى المرفقين له حكمة بالغة، إذ إن اليدين والأظافر تعلق بها الأوساخ والأقذار؛ وغسل الكفين له حكمة أيضًا، إذ هما أكثر أجزاء الجسم استعمالا، وكثيراً ما تتلوث بالأتربة والميكروبات عند

لمس الأشياء ؛ كما أن غسل القدمين بما فيهما من كعبين له حكمة خاصة، إذ يتعرض القدمان للإصابات والفطريات والبكتيريا، مما يجعله مرتعًا خصبًا لهذه الآفات.

هذا فضلاً عن أن اغتسال الإنسان ينشطه، ويجله يقظًا. ولما كانت الصلوات خمسًا فى اليوم والليلة، كان على المسلم أن يقوم بغسل أعضاءه المعرضة للأوساخ والأتربة خمس مرات. ولاشك أن الغسل المتكرر فيه الوقاية الأولية الفعالة، لأن الطبقة الخارجية للجلد تمنع الميكرويات من الوصول إلى داخل الجسم. فمن الفوائد الصحية للطهارة من الأحداث ما هو على النحو التالى:

* الطهارة من الأحداث وسيلة لإزالة ما يتعرض له بدن الإنسان من الاسترخاء الذى يعقب خروج الفضلات من الجسم، والفتور الذى يعقب النوم.

* الطهارة من الأحداث وسيلة لتخيف حدَّة توتر الأعصاب والانفعالات العصبية والغضب، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلِق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» [أخرجه أبو داود وأحمد] .

* الطهارة من الأحداث وسيلة لزيادة حركة القلب، وتنشيط المبادلات فى الجسم، نتيجة لتكرار عملية قبض ثم بسط العروق الشعرية السطحية الجلدية، بإراقة الماء على أعضاء الجسم مرات عديدة يوميًا أثناء الوضوء أو الغسل.

* الطهارة من الأحداث وسيلة لتنبيه الأعصاب المدركة الحركة، وجميع الأعصاب القلبية والرئوية والمعدية ، بالإضافة إلى جميع الأعضاء والغدد نتيجة لتقوية الحركات النفسية، وزيادة استنشاق الأكسجين ودفع ثانى أكسيد الكربون.

* الطهارة من الأحداث وسيلة لوقاية الإنسان من التيفود والشلل. وأكثر الأمراض الهضمية الطفيلية نفسيًا التى تتسبب من أثر دخول الجراثيم فى الفم

عن طريق تلوث الأيدى، وذلك عن طريق غسل الأيدى على الدوام، سواء أثناء الوضوء أو الغسل.

* الطهارة من الأحداث وسيلة لوقاية العيون من الإصابة بالرمد ، بدوام غسلها بالماء، وكذا لتطهير المجارى الأنفية من الجراثيم ، بدوام الاستنشاق بالماء ثم الاستنثار، وكذا لوقاية أعضاء الإنسان المكشوفة كالوجه واليدين والأذنين والرجلين من الأمراض الجلدية، بسبب اختراق الجراثيم للجسم، وذلك بدوام غسلها بالماء أثناء الوضوء أو الغسل.

شروط الطهارة من الأحداث :

تنقسم شروط الطهارة من الأحداث إلى ثلاثة أقسام هى: شروط الوجوب التى توجب على المكلفين أن يتطهروا، بحيث إذا فقدت هذه الشروط أو بعضها لم تجب الطهارة عن الأحداث؛ وشروط الصحة التى لا تصح الطهارة بدونها؛ وشروط الوجوب والصحة معًا التى إذا فقد منها شرط، فإن الطهارة لا تجب ولا تصح إذا وقع. وقد اختلفت المذاهب الأربعة فى شروط الوجوب وشروط الصحة، وشروط الوجوب والصحة معًا. ونسرد ملخصًا لشروط الوجوب وشروط الصحة، التى تضم جميع الشروط، وهى على النحو التالى: -

شروط وجوب الطهارة. يشترط لوجوب رفع الحدث الأصغر بالوضوء، أو رفع الحدث الأكبر بالغسل الأمور التالية:

* **الإسلام.** فلا يجب رفع الحدثين الأصغر والأكبر على الكافر، لأنه غير مخاطب بفروع الشريعة الإسلامية.

* **البلوغ.** فلا يجب رفع الحدثين الأصغر والأكبر على من لا يبلغ الحلم سواء كان ذكرًا أو أنثى. ويثبت البلوغ بالاحتلام فى الصبى، وبظهور العادة الشهرية فى الفتاة.

* **التمييز.** فلا يجب رفع الحدثين الأصغر والأكبر على المجنون أى فاقد العقل، أو المعتوه أى ناقص العقل، أو المصروع أى المغمى عليه، أو النائم النوم العميق.

* **القدرة.** فلا يجب رفع الحدثين الأصغر والأكبر على العاجز عن استعمال الماء لمرض ما، أو على المسلم الذى لديه ماء لا يكفى إلا لحاجته الشخصية الملحة كالشرب والطهى.

* **النقاء.** فلا يجب رفع الحدثين الأصغر والأكبر على المرأة الحائض أو النفساء، إلا بعد انقطاع الدم.

شروط صحة الطهارة. يشترط لصحة رفع الحدث الأصغر بالوضوء، أو رفع الحدث الأكبر بالغسل الأمور التالية :

* **الماء.** فلا يصح رفع الحدثين الأصغر والأكبر، إذا لم يكن الماء طهورًا، أو لم يكن الماء الطهور مباحًا، أو أن يكون الماء الطهور مغتصبًا.

* **الحائل.** فلا يصح رفع الحدثين الأصغر والأكبر، إذا وجد حائل يمنع وصول الماء إلى العضو المراد غسله كالشمع، أو الدهن، أو العجين، أو الأوساخ المتجمدة، أو عماص العين، أو طلاء الأظافر.

* **الحدث.** فلا يصح رفع الحدثين، الأصغر والأكبر إذا حدث ما يتنافى مع الوضوء أو الغسل أثناء القيام بأى منهما. فإذا أحدث المسلم حدثًا أصغر أثناء وضوئه، أو أحدث حدثًا أصغر أو أكبر أثناء غسله، فعليه إعادة وضوئه أو غسله.

* **المانع.** فلا يصح رفع الحدثين الأصغر أو الأكبر للمرأة التى لديها موانع شرعية كالحيض أو النفاس، وذلك حتى تنقى الحائض من دم الحيض أو النفساء من دم النفاس.

وحتى لا نحرم القارئ من الآراء المختلفة للفقهاء، فقد ذُكر أن شروط الوجوب تتضمن: البلوغ، ودخول وقت الصلاة، والقدرة على الطهارة من الأحداث،

ووجود الماء والقدرة على استعماله. أما شروط الصحة فتتضمن: كون الماء طهورًا، ويكون رافع الحدثين مميزًا، وعدم وجود حائل يمنع وصول الماء إلى البشرة، وعدم حدوث ما ينافى رفع الحدثين أثناء الطهارة منهما. وشروط الوجوب والصحة تتضمن: العقل، والإسلام، والنية، والعلم بكيفية رفع الأحداث، وملكية وإباحة الماء، والموالاة، والترتيب، وعدم النوم والغفلة، ونقاء المرأة من دم الحيض والنفاس.

* * *

الفصل الأول: تعريف الأحداث الشرعية

الحدث هو كل مستقذر معنوى أو نجاسة معنوية اعتبرها الشارع مانعة من صحة العبادات كالصلاة فرضًا أو نفلاً، والطواف حول الكعبة المشرفة، وقراءة القرآن الكريم، وحمل أو مَس المصحف. والطهارة من الأحداث فى اللغة تعنى النظافة من النجاسة. أما فى الشرع فهى تعنى إزالة أو رفع الحدث، سواء أكان حدثاً أصغر أو حدثاً أكبر، ويتحقق ذلك بالطهارة المائية أو الطهارة الترابية عند فقد الماء أو عدم إمكان استخدامه صحيًا.

تعريف الحدث الأصغر:

الحدث الأصغر هو كل نجاسة معنوية مانعة من صحة العبادات، ويرفع الحدث الأصغر بغسل أعضاء مخصوصة من الجسم، بترتيب مخصوص، بمطهر مخصوص، يعرف فى الشرع بالوضوء. والوضوء من أنواع الطهارة المائية التى وردت فى الشريعة الإسلامية، وهو واجب على المسلم سواء كان ذكرًا أو أنثى، وذلك عند حدوث أى من الأمور التالية:

* خروج نجاسة من السبيلين عيناً كالبول والغائط، أو ريحا كالفساء أو الضراط وهو ريح خارج من الدبر بصوت أو بغير صوت لأنه يمر فى طريقه على القاذورات التى فى الجسم، ويكتسب رائحتها الكريهة؛ أو سائلاً كالمذى وهو ماء رقيق أبيض يخرج من قبل الذكر عند المداعبة وثوران الشهوة؛ والمذى وهو ماء رقيق يخرج من قبل الأنثى عند المداعبة وثوران الشهوة؛ والمنى الخارج بدون تدفق، فمنى الرجل هو ماء أبيض غليظ لزج ذو رائحة كرائحة العجين أو البيض

يخرج عادة من الذكر بتدفق ولذة، أما منى المرأة فهو ماء رقيق يميل إلى الاصفرار يخرج عادة من الفرج؛ والودى وهو ماء أبيض ثخين يخرج غالبا عقب البول عند حمل شيء ثقيل؛ والهادى وهو ماء أبيض يخرج من قبل المرأة قرب الولادة أو السقط؛ ودم الاستحاضة وهو دم يخرج من قبل المرأة عقب فترة الحيض المعتادة أو قبل سن البلوغ أو بعد سن اليأس.

* خروج نجاسة من غير السبيلين، كالدم، والقيح، والمِدَّة، والصديد، والدود، والحصى، ونحو ذلك. وقد خالف فى ذلك الشافعية والمالكية، واشترط الحنابلة أن يكون حجم النجاسة كبيرًا بحسب العرف. أما الحنفية فقد اشترطوا أن يكون سائلاً ويتجاوز موضع خروجه.

* لمس من يشتهى من الجنس الآخر بقصد الشهوة أو وجدانها. وقد ذهب إلى ذلك جميع الأئمة ما عدا الحنفية الذين يرون أن اللمس لايعتبر حدثا أصغر.

* مس فرج الرجل أو المرأة بباطن الكف أو الأصابع بدون حائل. وقد ذهب إلى ذلك جميع المذاهب الأربعة ما عدا الحنفية الذين يكتفون بغسل اليدين بعد مس الذكر وحلقة الدبر.

* استغراق فى النوم الذى لايبقى معه إغراق مع عدم التَّمكن، أى يُمكِّن مقعدته من الأرض. ويرى الشافعية والحنفية أن النوم ليس بناقض بذاته، وإنما هو مظنَّة لخروج شيء من أحد السبيلين. أما المالكية والحنابلة فيرون أن النوم بنفسه لايعتبر حدثًا أصغر، فمن نام نومًا مستغرقًا، وجب رفع هذا الحدث سواء كان متمكنًا أو غير متمكن.

* غيبة العقل بالجنون، أو الصرع، أو الإغماء، أو بتعاطى المخدرات أو المسكرات أو الدواء، أو بالتخدير، سواء قلَّ أو كثر. وقد اتفقت جميع المذاهب الأربعة فى ذلك، لأن الذهول عند هذه الأسباب أبلغ من النوم المستغرق.

* خروج فضلات الأكل والشرب من الفم، وهو القيء، وأقله ملء الفم، وخالف فى ذلك الشافعية والمالكية.

وهناك أحداث صغرى أخرى اختلفت فيها المذاهب الأربعة، وهى أكل لحم الخنزير والإبل عند الحنابلة، والقهقهة فى الصلاة عند الحنفية، والارتداد عن الإسلام عند المالكية والحنابلة، والشك فى الحدث أو سببه عند المالكية. فالحدث الأصغر ليس نجاسة محسوسة أو منظورة، وإنما اعتبرها الشارع هكذا.

تعريف الحدث الأكبر:

الحدث الأكبر هو كل نجاسة معنوية مانعة من صحة العبادات. ويرفع الحدث الأكبر بتعميم جميع أجزاء الجسم بمطهر مخصوص وبطريقة مخصوصة، ويعرف فى الشرع بالغسل. والغسل من أنواع الطهارة المائية التى وردت في الشريعة الإسلامية، وهو تارة واجب على الرجل، وتارة واجب على المرأة، وتارة واجب على الرجل والمرأة معًا ، وفى ذلك تفصيل عند الفقهاء .

وجوب الغسل على الرجل. يجب على الرجل أن يغتسل بعد أن يحدث له حدثًا أكبر، وهو على النحو التالى :

* نزول منى الرجل بشهوة يقظة أو مناما. ويرى الشافعية أنه متى خرج المنى وتحقق كونه منيا، سواء كان بشهوة أو بغيرها، فإنه يعتبر حدثا أكبر. أما الحنابلة فيرون أنه إذا سبق نومه سبب يوجب اللذة، أو إذا احتلم فى نومه فإنه لايعتبر حدثا أكبر.

وجوب الغسل على المرأة. يجب على المرأة أن تغتسل بعد أن يحدث لها حدثًا أكبر، وهو على النحو التالى:

* ارتفاع دم الحيض عن المرأة. والحيض هو دم يخرج من فرج المرأة أثناء

سنوات خصوبتها على فترات شهرية أقلها يوم وليلة، وأطولها خمسة عشر يوما، ويميل لونه إلى السواد أو الحمرة أو الصفرة أو الكدرة.

* ارتفاع دم النفاس عن المرأة. والنفاس هو دم يخرج من فرج المرأة عند الولادة، وإن كان المولود مسقطاً، ويتحقق النفاس ولو بلحظة، أى إذا ولدت وانقطع دمها عند الولادة، وينقضى نفاسها إذا كانت بلا دم. كما أنها .لاتكون نفساء لو شق بطنها وخرج منها المولود. ومدة النفاس أطولها ستون يوماً، إلا عند الحنفية والحنابلة الذين يرون أنها قد تصل إلى أربعين يوماً.

* خروج المنى من المرأة بشهوة يقظة أو مناما، ويعتبر حدثا أكبر إذا كان نزول المنى بسبب الاحتلام أو الملاعبة أو النظر أو الفكر أو نحو ذلك.

وجوب الغسل على الرجل والمرأة. يجب على الرجل والمرأة أن يغتسلا بعد أن يحدثا حدثًا أكبر، وهو على النحو التالى:

* التقاء الختانين، أى إيلاج أو توارى أو تغيب حشفة الرجل أى رأس إحليل الذَّكر، فى فرج المرأة أى فتحة الذَّكر فى قبل المرأة، سواء تم الإنزال أو لم يتم، ويرى الحنفية أنه لابد من الإنزال ليكون حدثا أكبر.

فالحدث الأكبر الذى يستوجب الطهارة المائية أى الغسل يحدث عند جماع الرجل مع امرأته، أو خروج المنى عند الرجل والمرأة بشهوة أثناء النوم أو اليقظة، أو عند انقطاع الحيض أو النفاس عن المرأة. فهذا الحدث ليس نجاسة محسوسة أو منظورة، وإنما هكذا اعتبره الشارع.

* * *

حرَّم الشارع عبادات معينة على المحدث حدثا أصغر والمحدث حدثا أكبر، وقد اختلفت المذاهب الفقهية فى.تفصيلات الأفعال المحرمة ، والاختلاف الحادث بين الأئمة ليس اختلافًا جوهريا فى معظم الحالات ، وإنما كان لرحمة أرادها الله

تعالى للمسلمين ، حتى يوسّع عليهم فى عباداتهم . والعاقل من أخذ نصيبه من الدنيا عالمًا بطبيعتها ، متذكرًا الآخرة وأهوالها ، والله تعالى من وراء القصد وهو يهدى السبيل . ويمكن تفصيل هذه المحرمات عند مختلف الفقهاء والعلماء على النحو التالى :

أداء الصلاة . يحرم على المحدث حدثًا أصغر والجنب (أى المحدث حدثًا أكبر) والحائض والنفساء الصلاة فرضًا أو نفلاً وصلاة الجنازة وسجدتى الشكر والتلاوة ، فيقول الله تعالى فى سورة النساء (43) .

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا . . .»

وقول الرسول ﷺ : «لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول» [رواه النسائى وأبو داود واللفظ للنسائى] ، أى صدقة من مال حرام ؛ وقوله : «إذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة» [متفق عليه] . فالمرأة لا تصلى مدة الحيض أو النفاس ، وغير مأمورة بقضاء صلاتها بعد ظهورها . أما الاستحاضة فتدع صلاتها أيام إقرائها ، ثم تغتسل وتتوضأ عند كل صلاة وتصلى .

طواف الكعبة . يحرم على المحدث حدثًا أصغر والجنب والحائض والنفساء الطواف بالبيت الحرام ، لقول الرسول ﷺ لعائشة رضى الله عنها عندما حاضت أثناء الحج : «إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم ، فاقضى ما يقضى الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت حتى تطهرى» [متفق عليه] ؛ وقوله : «الطواف بالبيت صلاة» [من حديث أخرجه النسائى فى كتاب مناسك الحج] .

حمل المصحف . يحرم على المحدث حدثًا أصغر والجنب والحائض والنفساء حمل المصحف أو مسّه ، لقول الله تعالى فى سورة الواقعة (77 - 79) :

«إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ»

كما يحرم مس نقود منقوش عليها آيات قرآنية ، أو كتابة آيات قرآنية . ويجوز حمل المصحف فى المتاع كالحقيبة مثلاً ، ويجوز أيضًا حمل أو مَس كتب التفسير إذا كان كلام التفسير هو الغالب . أما عن رأى الأئمة فهو : يرى الشافعية تحريم لمس أو حمل المصحف ولو بحائل منفصل ؛ ويرى الحنفية جواز لمسه أو حمله خوفًا من الغرق أو الحرق ؛ ويرى الحنابلة جواز حمله أو مسِّه بحائل طاهر.

قراءة القرآن . يحرم على الجنب والحائض والنفساء قراءة القرآن الكريم ، ولو آية ، لقول على بن أبى طاب كرَّم الله وجهه : «كان رسول الله ﷺ يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنبًا» [رواه الترمذى فى كتاب الطهارة] . أما المحدث حدثًا أصغر ، فيجوز له قراءة القرآن لأن الحدث الأصغر لا يصيب الفم من الداخل، بخلاف مَس المصحف لأنه باليد والحدث يصيبها . وتوجد اختلافات غير جوهرية بين الأئمة الأربعة بخصوص تحريم قراءة القرآن على المحدث حدثًا أكبر والحائض والنفساء .

دخول المسجد . يحرم على الجنب والحائض والنفساء دخول المسجد أو الجلوس فيه أو التردد عليه ، لقول الرسول ﷺ : «إن المسجد لايحل لجنب ولا حائض» [رواه ابن ماجه] . أما المحدث حدثًا أصغر ، فيجوز له دخول المسجد على أن يتوضأ قبل الصلاة .

اعتكاف بالمسجد . يحرم على الجنب والحائض والنفساء الاعتكاف بالمسجد، خوفًا من تلويثه من دم الحيض أو النفاس أو منى الجنب. أما المحدث حدثًا أصغر، فيجوز له الاعتكاف فى المسجد إذا تطهر بالوضوء .

أداء الصوم. يحرم على الحائض والنفساء الصوم ــ كما يحرم عيها الصلاة ــ ويجب عليها قضاء الصوم لما فاتهما ــ بخلاف ما فاتهما من الصلاة دفعًا للمشقة ، فقد سئلت عائشة رضى الله عنها : ما بال الحائض تقضى الصوم ولا

تقضى الصلاة ؟ قالت : «كان يصيبنا ذلك مع رسول الله ﷺ ، فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة» [من حديث رواه مسلم وغيره] . أما الصائم الذى احتلم ليلاً ولم يستيقظ إلا بعد الفجر فيصوم وصومه صحيح، والصائم الذى احتكم نهارًا فيكمل صيامه ، وكلاهما يغتسلان ، وإذا جامع صائمًا زوجته عمدًا اثناء الصيام فيفسد صومه .

وطء الزوجة. يحرم على المسلم وطء زوجته الحائض أو النفساء ، لقول الله تعالى فى سورة البقرة (222) :

« ... فاعتزِلوا النِساء فِي المحيضِ ولا تقربوهن حتىٰ يطْهُرْن ... »

ولا يجوز أن يستعوض الرجل دبر امرأته بدلاً من فرجها . ويحرم على المرأة التى لا تخبر رجلها بحدوث حيضها فيجامعها فيقع فى الحرمة (وهى فى هذه الحالة تسمى الغائصة) ؛ وكذا على المرأة التى لا تكون حائضًا وتدَّعى الحيض حتى تمنع زوجها من جماعها (وهى فى هذه الحالة تسمى المغوصة) .

إيقاع الطلاق . يحرم على المسلم إيقاع الطلاق على الحائض والنفساء ، لما فيه من إيذاء لشعور الزوجة طيلة مدة الحيض أن النفاس ، فيقول الله تعالى فى سورة الطلاق (1) :

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِن ... »

فلا يجب أن يطلقها إلا بعد أن تطهر .

وجدير بالذكر، أنه يباح للحائض والنفساء الإحرام بالعمرة والحج، والوقوف بعرفة، إلا الطواف حول الكعبة، فلا يحل لها إلا بعد الطهر والغسل. وخلاصة القول أن الاختلاف بين الأئمة الأربعة بشأن التحريم على المحدث والجنب والحائض والنفساء غير جوهرية . والجدول رقم (5) يوضح ما يحرم فعله على المحدث حدثًا أصغر، والجنب، والحائض والنفساء.

جدول رقم (5): أفعال محرمة على المحدث والجنب والحائض والنفساء

رقم	الأفعال الدينية أو الدنيوية المحرمة	المحدث حدثًا أصغر	المحدث حدثًا أكبر	
			الرجل أو المرأة الجنب	المرأة الحائض والنفساء
01	أداء الصلاة فرضًا أو نفلاً والسجدات	*	*	*
02	طواف حول الكعبة المشرفة	*	*	*
03	مَس المصحف أو حمله	*	*	*
04	قراءة القرآن الكريم ولو آية		*	*
05	دخول مساجد الله تعالى		*	*
06	اعتكاف بمساجد الله تعالى		*	*
07	صوم رمضان أو أيام أخرى			*
08	جماع الزوج لزوجته			*
09	إيقاع الطلاق على زوجته			*

* * *

الفصل الثانى: تطهير الأحداث الشرعية

التطهر من الأحداث الشرعية هو رفع أو إزالة كل من الحدث الأصغر والحدث الأكبر لصحة العبادات. فرفع الحدث الأصغر يتأتى بالطهارة الصغرى وهى ما يعرف فى الشرع بالوضوء. أما رفع الحدث الأكبر فيتأتى بالطهارة الكبرى وهو ما يعرف فى الشرع بالغسل. وقد دلت الآيات القرآنية التى تحض على الطهارة على بيان أعضاء الجسم التى تغسل لاستيفاء الوضوء، وعلى بيان الغسل عند الجنابة أو الحيض أو النفاس. كما جاءت أحاديث السنَّة النبوية على كيفية الوضوء والغسل لاستيفاء الطهارة .

والفقه الإسلامى يقدم بكل وضوح أحكام الطهارة من الأحداث الشرعية، وآراء المذاهب الفقهية فى الوضوء والغسل، فيجب على كل مسلم أن يلم بها إلمامًا كاملاً حتى يقى نفسه من الخطأ أو الزلل فى عبادة الله تعالى على وجه شرعى صحيح.

رفع الحدث الأصغر:

يشترط لصحة الصلاة والطواف حول الكعبة المشرفة، ومَسْ أو حمل المصحف، أن يتطهر المصلى من الحدث الأصغر، الذى يتحقق بالوضوء. والوضوء فى اللغة معناه الوضاءة، وهو الحسن والنظافة، ومعناه الماء الذى يتوضأ به. وفى الشرع معناه طهارة مخصوصة لأعضاء مخصوصة من الجسم، بمطهر مخصوص وهو الماء الطهور، لغسل الوجه واليدين والرجلين ومسح الرأس، وذلك لأداء أفعال مخصوصة من العبادات. ورفع الحدث الأصغر أو إزالته يقصد به الطهارة الصغرى.

ولما كانت الطهارة للعبادة، فتصبح أعمال الوضوء نفسها عبادة، وهذا ما جعل أولياءَ الله الصالحين العاملين بسنَّة الرسول ﷺ يحسنون الوضوء.

ويتعقلون ما فى أسراره من معانى الاستعداد والتأهب للصلاة. والدخول فى ساحة التجلى والمناجاة حتى يعتريهم حالات وجدانية على قدر ما بنفوسهم من حب وشوق وطاعة لله تعالى. وعملية الوضوء قد تكون فى حد ذاتها من أعمال العبادات التى تجعل الإنسان أهلاً لرضوان الله تعالى ومحبته للمتطهرين منهم، لذلك وجب عدم الاتيان بأفعال الوضوء بطريقة آلية.

وسنتناول عملية الوضوء من عدَّة جوانب منها: دليل مشروعيتها، وصفتها وفرائضها أو أركانها، وسننها، وأفعالها، وأذكارها، ومكروهاتها، ومبطلاتها، وهى على النحو التالى:

دليل مشروعية الوضوء. الوضوء فى حد ذاته عبادة وقربة إلى الله تعالى يتسلح بها المسلم. وقد ثبت وتأكدت مشروعية الوضوء بالقرآن الكريم، والسنَّة الشريفة، وإجماع الأمة، وذلك على النحو التالى:

* **القرآن.** ثبتت مشروعية الوضوء فى القرآن الكريم، فيقول الله تعالى في سورة المائدة (6) :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ . . . »

فالوضوء هو الطهارة المائية لرفع الحدث الأصغر. وكان واجبًا فى صدر الإسلام لكل صلاة، فنسخ يوم الخندق، وصار يُؤدَّى به صلوات كثيرة عند المحافظة عليه.

* **السنة.** ثبتت مشروعية الوضوء بالسنَّة الفعلية والقولية. أما عن السنَّة الفعلية، فقد تلقى الرسول ﷺ فرضية الصلاة فى مكة المكرمة ليلة الإسراء والمعراج، فنزل جبريل عليه السلام وضرب الأرض بقدميه، فنبع الماء وتوضأ أمام الرسول ﷺ، وصلَّى معه. وبذلك تعلم الرسول ﷺ كيفية الوضوء والصلاة، ثم نزلت الآية القرآنية السابقة فى المدينة المنورة تأمر بالوضوء. أما مشروعية

الوضوء بالسنّة القولية، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «لايقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» [رواه البخارى فى كتاب الحيل والنسائى وغيرهما] .

* **الإجماع**. انعقد إجماع الأمة الإسلامية، وآراء الأئمة على مشروعية الوضوء ولزومه لصحة الصلاة ، والطواف حول الكعبة ، وحمل أو مَسْ المصحف.

وقد فرض الله تعالى الوضوء لرفع الحدث الأصغر، استعدادًا للصلاة. فجوهر الصلاة هو أن يتصور المسلم نفسه أمام الخالق خاشعًا، ولكى يتهيأ ذهنه لذلك ويتخلّص من شواغل الحياة الكثيرة، فرض عليه الوضوء قبل أن يقوم إلى العبادة.

مفهوم صفة الوضوء. الصفة الشرعية للوضوء هى أنه إما أن يكون فرضًا أو واجبًا، أو مندوبًا، أو مكروهًا، أو محرمًا، ويمكن تفصيل ذلك على النحو التالى:

* **صفة الوضوء المفروض**. قد يكون الوضوء فرضًا، أى طلب الشارع فعله طلبًا محتمًا بالدليل القطعى، ولازمًا على المحدث حدثًا أصغر، إذا أراد القيام بالعبادات فى الحالات التالية :

* الوضوء لأداء الصلوات المفروضة، والنوافل، وصلاة الجنازة، والسجدات.

* الوضوء للمس أو حمل المصحف .

هذه هى صفة الوضوء المفروض.

* **صفة الوضوء الواجب**. قد يكون الوضوء واجبًا، أى ثابتًا بدليل ظنىٍّ، فيه شبهة لمن يريد الطواف حول الكعبة المشرفة وهى الحالات التالية:

* توجب على المسلم صدقة، إذا طاف حول الكعبة طواف القدوم أو طواف الوداع أثناء الحج أو العمرة بغير وضوء، وكان محدثًا حدثًا أصغر.

* توجب على المسلم دمًا، أى ذبح شاة من الماعز، إذا طاف حول الكعبة طواف العمرة أو طواف الإفاضة بغير وضوء، وكان محدثًا حدثًا أصغر.

* **صفة الوضوء المندوب.** قد يكون الوضوء مندوبًا أى مستحبا، أى طلب الشارع فعله ولكنه أدنى طلب من الأمور المسنونة التى فعلها الرسول ﷺ وواظب عليها، .ويندب الوضوء في الحالات التالية:

* الوضوء عند كل صلاة لصاحب السلس، الذى لا ينطقع بوله معظم الوقت.
* الوضوء عند كل صلاة للمرأة المستحاضة.
* الوضوء قبل غسل الجنب أو الحائض أو النفساء.
* الوضوء لمن أراد الأكل أو الشرب أو النوم وهو على جنابته.
* الوضوء للنوم على طهارة، وبعد الاستيقاظ من النوم.
* الوضوء بعد لمس امرأة أجنبية، عند مذهب الحنفية.
* الوضوء قبل الاغتسال من الجنابة.
* الوضوء عند دخول أى مسجد عامة، ومسجد الرسول ﷺ خاصة.
* الوضوء عند حلول وقت كل صلاة، إذا لم يبطل الوضوء الأول.
* الوضوء عند الوقوف بعرفة.
* الوضوء عند قراءة القرآن الكريم.
* الوضوء عند ذكر الله تعالى.
* الوضوء عند إلقاء دروس فى الفقه والشريعة الإسلامية.
* الوضوء قبل غسل الميت أو حمله إلى مثواه الأخير.
* الوضوء للأذان والإقامة لأداء الصلاة.
* الوضوء بعد كل خطيئة يقترفها الإنسان، فمثلاً بعد الكذب بكلام مختلق، أو بعدالنميمة، أو بعد التملق والنفاق والمداهنة، والغيبة، والغضب.

* **صفة الوضوء المكروه.** قد يكون الوصوء مكروهًا، أى كره الشارع فعله، ويكره الوضوء فى الحالات التالية:

* الوضوء فى مكان نجس خشية التلوث بالنجاسة.

* الوضوء مسرفًا فى استعمال الماء الطهور.

* الوضوء على وضوء، إذا اتحد المجلس من غير ضرورة أو عذر.

* الوضوء مستعينًا بغيره بدون عذر.

هذه هى صفة الوضوء المكروه.

* **صفة الوضوء المحرم** . قد يكون الوضوء محرمًا ، أى حرم الشارع فعله . ويحرم الوضوء فى الحالات التالية :

* الوضوء مستعملاً ماء مملوك للغير .

هذه هى صفة الوضوء المحرم .

مفهوم أركان الوضوء. الوضوء طهارة مائية صغرى تتعلق بالوجه واليدين والرأس والرجلين كشرط من شروط صحة الصلاة ؛ لإزالة الحدث الأصغر، لقول الله تعالى فى سورة المائدة (6) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ . . .»

ولايتحقق الوضوء إلا بإتيان الأركان أو الفروض التى ذكرت فى هذه الآية، وهى على النحو التالى:

* **النية.** قصد الفعل ومحلها القلب، وتكون عند أول غسل جزء من الوجه. ويرى الحنابلة أن النية شرط، فلو تقدمت الفعل صح، لما روى عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[رواه البخارى وأبو داود وابن ماجه]. وذهب الحنفية إلى أن النية سنّة. وحقيقة النية هى الإرادة المتوجهة نحو فعل الوضوء ابتغاء رضوان الله تعالى وامتثالاً لأمره. والنية عمل قلبى، لا دخل للسان فيه، فالتلفظ بالنية غير واجب.

* **الوجه**. إسالة الماء على الوجه. وحَد الوجه من منبت شعر الرأس إلى أسفل الذقن طولاً، وما بين شحمتى الأذنين عرضًا.

* **اليدين**. غسل اليدين مع المرفقين، والمرفق هو المفصل البارز بين العضد والساعد، وفى حالة لبس خاتم ضيق فى الإصبع أو سوار فى الذراع، لزم تحريكه حتى يصل الماء إلى ما تحته.

* **الرأس**. مسح الرأس، وقد اختلفت الأئمة فى القدر المفروض مسحه. فيرى المالكية والحنابلة أنه يجب مسح جميع أجزاء الرأس، فقد روى عن الرسول ﷺ أنه مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر، أى بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما إلى المكان الذى بدأ منه، ومسح أحيانًا على العمامة وحدها، وأحيانًا أخرى مسح على ناصيته وعمامته. ويرى الحنفية أنه يجب مسح ربع الرأس، أما الشافعية فيرون أنه يجب مسح جزء يسير من الرأس أى بعض الرأس.

* **الرجلين**. غسل الرجلين أو القدمين مع الكعبين، فعن الرسول ﷺ أنه قال عندما رأى الناس يتوضئون ويمسحون على أرجلهم: «ويل للأعقاب من النار، مرتين أو ثلاثًا» [متفق عليه] .

* **الترتيب**. ترتيب الفرائض كما وردت فى النص القرآنى الكريم، أى البدء، بالوجه، ثم اليدين، ثم مسح الرأس، ثم غسل الرجلين مع الكعبين. ويرى الشافعية والحنابلة أن الترتيب فرض، في حين أن المالكية والحنفية يرون أن الترتيب سنَّة لا فرض.

* **الموالاة**. المتابعة بين أعضاء الوضوء المذكورة، بحيث لايتخلل بين غسل العضو والعضو الآخر مدَّة يجف فيها العضو الأول عند اعتدال الزمان والمكان، وهذا عند المالكية والحنابلة، وقد وافقهم الشافعية والحنفية بالنسبة لوضوء صاحب العذر كمن به سلس بول وغيره، أما الصحيح فالموالاة بالنسبة له سنَّة.

وقد أضاف المالكية إلى هذه الفرائض ركن الدلك. وهو إمرار اليد على

العضو مع الماء أو بعده. وأضاف الحنابلة المضمضة والاستنشاق لدخول الفم والأنف فى حَد الوجه، ومسح الأذنين لدخولهما فى حَد الرأس. كما اختلفت المذاهب الأربعة فى فرائض الوضوء، والجدول (6) يوضح أركان الوضوء على المذاهب الأربعة.

جدول رقم (6) : أركان الوضوء على المذاهب الأربعة

رقم	الشافعية	المالكية	الحنفية	الحنابلة
01		النية		
02	غسل جميع الوجه	غسل جميع الوجه	غسل الوجه	غسل الوجه ومنه المضمضة والاستنشاق
03	غسل اليدين مع المرفقين	غسل اليدين مع المرفقين	غسل اليدين مع المرفقين	غسل اليدين مع المرفقين
04	مسح بعض الرأس	مسح جميع الرأس	مسح ربع الرأس	مسح جميع أجزاء الرأس ومنها الأذنان
05	غسل الرجلين مع الكعبين	غسل الرجلين مع الكعبين	غسل الرجلين مع الكعبين	غسل الرجلين
06		دلك الأعضاء		
07	ترتيب غسل الأعضاء			ترتيب غسل الأعضاء
08		موالاة بين أعضاء الوضوء		موالاة بين أعضاء الوضوء

مفهوم سنن الوضوء. الوضوء له سنن وهى ما أثر عن الرسول ﷺ غير ما جاء فى القرآن الكريم من قول أو فعل أو تقرير، وهى ما واظب الرسول ﷺ عليها. ويكره ترك سنَّة من هذه السنن، ويحرم المتوضئ ثواب السنَّة التى تركها، مع صحة الصلاة، ويمكن سرد هذه السنن على النحو التالى:

* **الاستعاذة.** استعاذة المتوضئ بالله تعالى بقوله: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». ويستحب دائمًا الاستعاذة بالله تعالى قبل البدء فى أى عمل دينى أو دنيوى.

* **التسمية.** تسمية بالله تعالى بقوله: «باسم الله أوله وآخره». فعن الرسول ﷺ أنه قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» [رواه الترمذى والنسائى وابو داود وأحمد

وغيرهم]. وقال الحنابلة إن التسمية فرض على الذَّاكر، وأما النَّاسى فوضوءه صحيح.

* **السواك**. دلك الأسنان بعود السواك أو فرشة الأسنان لإزالة الاصفرار، وتقوية اللثة، وتطهير الفم، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» [رواه البخارى والنسائى وابن ماجه وغيرهم].

* **الكفين**. غسل الكفين ثلاثا فى أول الوضوء، لما روى عن أوس الثقفى رضى الله عنه أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ توضأ فاستوكف ثلاثا»، واستوكف يعنى غسل الكفين. وقال الحنابلة يجب غسل الكفين فى حالة الاستيقاظ من النوم ويأثم تاركه، وإن كان وضوءه صحيحًا، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى إنائه حتى يغلسها ثلاثًا، فإنه لايدرى أين باتت يده» [رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم واللفظ لأحمد].

* **المضمضة**. إدخال الماء فى الفم ومجها ثم رميها خارج الفم لضمان طهارته، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا توضأت فمضمض» [من حديث رواه أبو داود فى كتاب الطهارة]. وقال الحنابلة إن المضمضة فرض لدخول الفم فى حَد الوجه. ويسن المبالغة فى المضمضة. وقال الحنفية والماليكة يسن أن تكون المضمضة ثلاث غرفات.

* **الاستنشاق**. إدخال الماء فى الأنف حتى يصل إلى الخياشيم، ثم استنثار ما فيها لإزالة الرطوبات الملتصقة بجوانب الأنف الداخلية، لما روى عن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا توضأ أحدكم فليجعل فى أنفه ماء ثم ليستنثر» [رواه النسائى فى كتاب الطهارة]. وقال الحنفية والمالكية: يسن أن يكون الاستنشاق بثلاث غرفات. وقال الحنابلة أن الاستنشاق فرض لدخول الأنف فى حَد الوجه، وقالوا أن الاستنثار واجب عندما يتوضأ بعد الاستيقاظ من النوم، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه» [أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة].

* **التخليل**. تخليل اللحية الكثة بالماء، إذ كان الرسول ﷺ إذا توضأ، أخذ كفًا من ماء فأدخله تحت حنكه فخلّل به، قائلاً: «هكذا أمرني ربي عز وجل» [أخرجه أبو داود فى كتاب الطهارة]. أما المحرم فيكره له التخليل لئلا يتساقط منه شعر. وكذا تخليل أصابع اليدين والرجلين، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك» [أخرجه الترمذى فى كتاب الطهارة]، وذلك لضمان وصول الماء إلى ما بين الأصابع عند تشبيك أصابع اليد فى كل غسلة، وإدخال أصابع اليدين بين أصابع الرجلين. ويسن تحريك الخاتم والأساور ونحوهما لضمان وصول الماء إلى ما تحتهما، وإلا وجب نزعهما أثناء الوضوء.

* **التحجيل**. إطالة التحجيل بأن يغسل ما فوق المرفقين والكعبين، بحيث تطول المساحة المغسولة لليدين والرجلين، ليطول البياض والنور عليهما يوم القيامة، فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال «إن أمتى يأتون يوم القيامة غُرّاً محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غُرته فليفعل» [أخرجه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم]. والتحجيل هو بياض فى رجل الفرس، وهو من العلامات التى تعرف بها الأمة الإسلامية يوم القيامة.

* **الغرة**. إطالة الغُرَّة بأن يغسل جزءًا من مقدم الرأس، بحيث يزيد ما يغسل من الوجه ليطول النور والبياض فى الجبهة، وذلك للحديث النبوى الشريف السابق ذكره. والغُرَّة، وهى بياض فى جبهة الفرس، من العلامات التى تعرف بها الأمة الإسلامية يوم القيامة.

* **المسح**. مسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد غير الماء الذى غسل به العضو السابق، فقد روى أن الرسول ﷺ مسح فى وضوئه رأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما، وأدخل إصبعيه فى صماخى أذنيه.

* **التيامن**. تقديم اليمنى على اليسرى فى غسل اليدين والرجلين، وذلك لما روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «إذا توضأتم فابدؤوا بميامنكم» [رواه ابن ماجه].

* **الترتيب**. ترتيب فرائض الوضوء كما وردت فى القرآن الكريم، وهذا عند الحنفية والمالكية. أما عند الشافعية والحنابلة، فالترتيب ركن كما تقدم، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «ابدؤوا بما بدأ الله عز وجل به» [رواه أحمد وابن ماجه واللفظ لأحمد].

* **الدلك**. إمرار اليد على العضو أثناء صب الماء أو بعده. فعن عبدالله بن زيد رضى الله تعالى عنه أن الرسول ﷺ توضأ فجعل يقول: «هكذا: يَدْلُك» [أخرجه أحمد فى سند المدنيين].

* **التثليث**. تكرار غسل الأعضاء المخصوصة ثلاث مرات، فقد كان وضوء الرسول ﷺ ثلاثًا ثلاثًا. فقد جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الوضوء فأراه ثلاثاً ثلاثاً وقال: «هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم».

* **الموالاة**. متابعة غسل الأعضاء المخصوصة بدون انقطاع أو انشغال بعمل آخر، بحيث لايجف العضو قبل غسل العضو الآخر، إلا أن المالكية والحنابلة يرون أن الموالاة فرض كما تقدم.

* **القبلة**. استقبال القبلة حال الوضوء كلما أمكن ذلك. وفى هذا رجاء لاستجابة الدعاء، ولكونه عبادة، إلا أن المالكية والحنفية يرون أن استقبال القبلة أثناء الوضوء مندوب.

* **التشهد**. قراءة التشهد عند انتهاء الوضوء والدعاء لحديث عمر رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» [أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما].

* **الصلاة**. صلاة ركعتين بعد الوضوء، وهى سنة الوضوء. فعن الرسول ﷺ أنه قال: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين يقبل عليهما بوجهه وقلبه وجبت له الجنة» [أخرجه النسائى فى كتاب الطهارة].

هذا الوضوء سلاح المؤمن، فبه يغفر الله تعالى للعبد ذنبه، ويستر عيبه، ويصلح حاله، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض

خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه، حتى تخرج من تحت أشعار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له» [أخرجه النسائى.فى كتاب الطهارة].

وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذالكم الرباط» [أخرجه الترمذى والنسائى وأحمد ومالك فى الموطأ]. وقد اختلفت المذاهب الأربعة فى سنن الوضوء، والجدول رقم (7) يوضح سنن الوضوء على المذاهب الأربعة.

مفهوم أفعال الوضوء. المسلم عادة ما يجمع بين فرائض وسنن الوضوء ليثاب عليها ثوابًا عظيمًا. وقد ورد فى كتب فقه السنّة وصف لوضوء الرسول ﷺ، ويستحب أن يتوضأ المسلم على النحو التالى:

* ينوى فى قلبه أن يتوضأ للطهارة وعبادة الله تعالى مخلصًا له وحده.
* يستعيذ بالله تعالى، ثم يسم الله عز وجل.
* يغسل يديه إلى الرسغين أى كفيه ثلاثًا مع تخليل أصابع يديه.
* يستاك لتنظيف أسنانه سواء بعود السواك أو فرشة الأسنان.
* يتمضمض ويستنشق بالماء ثلاثًا، آخذًا بكفه اليمنى غرفة من الماء لفيه وأنفه، فيمج بالماء من فمه، ثم يستنثر الماء من أنفه باليد اليسرى.

جدول رقم (7) : سنن الوضوء على المذاهب الأربعة

رقم	الشافعية	المالكية	الحنفية	الحنابلة
01			النية	
02	التسمية		التسمية	
03	المضمضة	غسل اليدين إلى الكوعين	غسل اليدين إلى الرسغين	غسل الكفين ثلاثا
04	السواك		السواك ولو بالأصبع	
05	المضمضة	المضمضة	المضمضة ثلاثًا ولو بغرفة واحدة	المضمضة قبل غسل الوجه
06	الاستنشاق بثلاث غرفات	الاستنشاق والاستنثار	الاستنثار بثلاث غرفات	الاستنشاق والاستنثار
07	تخليل اللحية		تخليل اللحية الكثة	
08	مسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما	مسح الأذن ظاهراً وباطناً	مسح الأذنين ولو بماء الرأس	أخذ ماء جديد للأذنين بعد مسح الرأس
09	تثبيت كل من الغسل والمسح	تجديد الماء لمسح الرأس (الرجوع بالمسح إن بقي بلل باليد بعد المسح المفروض)	استيعاب الرأس بالمسح مرّة	
10	تخليل أصابع اليدين والرجلين			
11			الدلك	
12	التيامن		التيامن	التيامن
13	التدليك			
14	التتابع		الترتيب	
51	الموالاة		الموالاة	
16				قراءة التشهد بعد الفراغ من الوضوء
17				الاحتراس من الإسراف في الماء والتقتير

* يغسل وجهه كله من منبت شعر الرأس إلى أسفل الذقن ، وبين الأذنين ثلاثًا مع الدلك.

* يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثًا، مع تخليل أصابعه بالماء، بادئًا بغسل اليمنى ثم اليسرى مع الدلك.

* يمسح رأسه مع أذنيه ظاهرهما وباطنهما ثلاثًا، آخذًا الماء بيديه فيبدأ بمقدم رأسه، ثم يذهب بهما إلى قفاه، ثم يردهما حتى يرجع إلى المكان الذى بدأ منه.

* يغسل رجليه مع الكعبين ثلاثًا، مع تخليل أصابع الرجلين بالماء، مبتدئًا بالرجل اليمنى ثم اليسرى مع الدلك.

* يغسل كفيه، ثم يلفظ بالشهادتين، ثم يتوجه إلى القبلة، داعيًا الله تعالى.

وحتى لا يكون الوضوء عملية آلية خالية من كل معنى ، يجب على المتوضئ أن يداوم على ذكر الله تعالى ، ويقرن هذا بالتفكير فيما يعمله بقصد الطهارة للعبادة، فتصبح أعمال الوضوء نفسها عبادة . وهذا ما جعل أولياء الله الصالحين العاملين بسنَّة الرسول ﷺ يحسنون الوضوء ويتعقلون ما فى أسراره من معانى الاستعداد والتأهب للصلاة ، والدخول فى ساحة التجلى والمناجاة ، حتى يعتريهم حالات وجدانية على قدر ما بنفوسهم من حب وشوق وطاعة للخالق البارئ .

مفهوم أذكار الوضوء. لم يثبت أن الرسول ﷺ كان يدعو أثناء الوضوء، وما ثبت عنه غير التسمية فى أول الوضوء، والشهادة عند الانتهاء من الوضوء يعتبر من الزيادات. ويمكن للمتوضئ أن يدعو بالمأثور من الدعوات عند غسل كل عضو من أعضاء الوضوء، فيدعو عند التوجه للوضوء بالدعاء التالى:

«باسم الله العظيم، والحمد لله على دين الإسلام، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم إنى أسألك اليمن والبركة، وأعوذ بك من الشوم والهلكة».

ويدعو المتوضئ عند غسل يديه بعد الاستعاذة والتسمية بالدعاء التالى:

«الحمد لله الذى جعل الماء طهورا والإسلام نورا، ربّ أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربّ أن يحضرون، اللهم احفظ يدى من معاصيك كلها».

ويدعو المتوضئ عند المضمضة بالدعاء التالى:

«اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

ويدعو المتوضئ عند غسل الوجه بالدعاء التالى:

«اللهم بيض وجهى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه».

ويدعو المتوضئ عند غسل اليد اليمنى بالدعاء التالى:

«اللهم أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا».

ويدعو المتوضئ عند غسل اليد اليسرى بالدعاء التالى:

«اللهم لاتعطنى كتابى بيسارى ولا من وراء ظهرى»

ويدعو المتوضئ عند مسح الرأس بالدعاء التالى:

«اللهم حرّم شعرى وبشرى على النار، وأظلنى تحت عرشك يوم لاظلّ إلا ظلك»

ويدعو المتوضئ عند مسح الأذنين بالدعاء التالى:

«اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»

ويدعو المتوضئ عند غسل الرجل اليمنى بالدعاء التالى:

«اللهم ثبت قدمى على الصراط يوم تُزل فيه الأقدام»

ويدعو المتوضئ عند غسل الرجل اليسرى بالدعاء التالى:

«اللهم اجعل ذنبى مغفورا، وسعيى مشكورا، وتجارتى لن تبور»

ويدعو المتوضئ، رافعا رأسه إلى السماء، بالدعاء التالى:

«اللهم اجعلنى من التوابين، واجعلنى من المتطهرين»

ثم يختم بقراءة سورة القدر.

مفهوم مكروهات الوضوء. يكره للمتوضئ أن يترك سنَّة من سنن الوضوء حتى لا يحرم ثوابها، لأن فعل المكروه يوجب حرمان الثواب. وتتحقق الكراهية بترك هذه السنن. وعلى المتوضئ أن يحافظ على السنن المختلف فى فرضيتها أو وجوبها . ونسرد مكروهات الوضوء على النحو التالى:

* يكره الوضوء فى مكان نجس كزريبة البهائم أو فى المرحاض، خوفًا من أن يصاب بشىء من رشاش الماء المتنجس لسقوطه على الموضع المتنجس.

* يكره الاستعانة بأحد أثناء الوضوء بغير عذر.

* يكره الإسراف فى صب الماء على الأعضاء و التقطير فيه أثناء الوضوء.

* يكره الزيادة فى غسل الأعضاء عن ثلاث مرَّات أثناء الوضوء.

* يكره اللغو والحديث مع الغير أثناء الوضوء، والكلام بغير ذكر الله تعالى إلا لحاجة ضرورية .

* يكره المبالغة فى المضمضة والاستنشاق للصائم، مخافة أن يفسد صومه.

* يكره المسح للرقبة بماء جديد، لأنه غلو فى الدين.

* يكره اللطم بالماء للوجه أثناء غسله، وإنما يغسل غسلاً مريحًا حتى لايصيب غيره فيؤذيه.

* يكره الإهمال فى غسل الأعضاء التى ربما لايصلها الماء لانخفاضها أو التئامها كالعقب وبطن القدمين، وما بين أصابع الرجلين.

* يكره الاكتفاء بإسقاط الماء على الأعضاء بدون تدليك، مستغلاً فى ذلك ارتفاع الصنبور، وترك اليدين أو الرجلين تحته.

* يكره النفض باليدين بعد الانتهاء من الوضوء للتخلص من رذاذ الماء المتعلق باليدين.

ويستحب فى الوضوء مراعاة عدّة أمور لما فيها من خير ونفع وآداب مـأثورة، ومنـهـا الجلـوس فى مكـان مرتفـع قليـلاً منعًـا من بلل رشاش الماء المستعمل فى الوضوء، واستقبال القبلة ما أمكن ذلك، والاقتصاد فى استعمال الماء بغير تبذير أو تقتير.

مفهوم مبطلات الوضوء. الإنسان إذا استمر على وضوئه، فإنه يمكنه أن يؤدى به أى عدد من الصلوات إلى أن يحدث له حدثًا أصغر مما ينقض وضوءه، فإن أراد الصلاة فليتوضأ من جديد. فالوضوء له نواقض تبطله، وتخرجه عن إفادة المقصود منه، وهى على النحو التالى:

* خروج نجاسة من السبيلين القبل والدبر، ويشمل ذلك البول والغائط، لقول الله تعالى فى سورة النساء (43) :

« . . . أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ . . . »

والريح الذى يخرج من الدبر أو القبل، وكذا خروج المنى والمذى والقذى والودى والهادى، ودم الاستحاضة. ويراعى أن الريح الذى يخرج من الفم وهو يعرف بالجشاء الذى كان محتبساً فوق المعدة لاينقض الوضوء. والريح الذى يخرج من الأنف وهو يعرف بالعطاس الذى كان محتبساً فى الدماغ لاينقض الوضوء أيضًا.

* خروج نجاسة من غير السبيلين كالدم والقيح والصديد والحصى والدود، ويرى المالكية أن الحصى والدود لاينقضان الوضوء إذا كانا متولدين فى المعدة.

* مس السبيلين أى القبل والدبر بغير حائل. ويرى الشافعية والحنابلة أن مس ذكر الآدمى وحلقة الدبر من نفسه ومن غيره صغيرًا وكبيرًا، ينقض الوضوء، إلا أن الشافعية اشترطوا أن يكون المَس بباطن الكف أو الأصابع، واشترط الحنابلة أن يكون المَس باليد بطنًا وظهرًا. ويرى المالكية أن المرأة لاينتقض وضوؤها بمس فرجها. أما الحنفية فيرون أن مس الذكر وحلقة الدبر لا ينقضان الوضوء، إلا أنه يندب غسل اليدين بعد مسهما .

* لمس المرأة المشتهاة بقصد الشهوة أو وجدانها. ويرى المالكية والحنابلة أن اللمس ينقض الوضوء ولو محرمًا إذا كان بقصد اللذة، أما إذا كان اللمس غير مقصود فلا ينتقض الوضوء، إلا أن المالكية اشترطوا وجود اللذة لنقض الوضوء وإلا فلا. ويرى الشافعية أن اللمس ينقض الوضوء، ولو كان الرجل هرمًا والمرأة عجوزًا. ويرى الحنفية أن اللمس لاينقض الوضوء إلا بالمباشرة الفاحشة، وهو تلاصق الفرجين من غير حائل، فقد روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن الرسول ﷺ قال: «القبلة لاتنقض الوضوء ولاتفطر الصائم». وأما المقصود بقول الله تعالى فى سورة النساء (43) :

« . . . أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ . . . »

فهو الجماع بين الرجل والمرأة.

* زوال العقل سواء أكان ذلك بالجنون، أو الإغماء، أو السكر بالخمر، أو التخدير بالبنج.

* استغراق فى النوم الذى لايبقى معه إدراك عند المالكية. وذهب الشافعية والحنفية إلى أنه لاينقض الوضوء نوم الإنسان قاعدًا ممكنًا مقعده من الأرض. ويرى الحنابلة أن النوم الكثير من القاعد والقائم ينقض الوضوء بخلاف النوم اليسير.

وهناك أمور تنقض الوضوء، اختلف عليها الأئمة، فالحنفية يرون أن القهقهة فى الصلاة، والقيء الذى يملأ الفم يوجب الوضوء. ويرى المالكية أن الشك فى انتقاض الوضوء، والارتداد عن الإسلام يوجب الوضوء. ويرى الحنابلة أن أكل لحم الإبل، وتغسيل الميت ناقض للوضوء. وقد اختلفت المذاهب الأربعة فى مبطلات الوضوء، والجدول رقم (8) يوضح نواقض الوضوء على المذاهب الأربعة.

جدول رقم (8) : نواقض الوضوء على المذاهب الأربعة

رقم	الشافعية	المالكية	الحنفية	الحنابلة
01	ما خرج من السبيلين ما عدا المنى	خروج المنى بغير لذة	ما خرج من السبيلين	ما خرج من السبيلين
02	النوم إلا نوم الممكن قعدته من الأرض	النوم إذا كان ثقيلاً، أو قصيرًا أو طويلاً، سواء كان مضطجعًا أو جالسًا	النوم إلا نوم المتمكن	النوم إلا النوم اليسير من القائم والقاعد
03	التقاء بشرتى الرجل والمرأة الأجنبية بلا حائل سواء أكان ذلك بشهوة أو غيرها	لمس غيره بيده أو بجزء من بدنه		
04	لمس فرج الآدمى قبلاً أو دبرًا بباطن الكف بلا حائل حيًا أو ميتًا	مس الذكر بباطن الكف، وبدون حائل	مس ذكر منتصب بلا حائل	مس ذكر الآدمى المنتصب بلا حائل
05			سيلان نجاسة كدم أو قيح	كل نجس خرج من باقى البدن
06	الشعور بإغماء أو جنون أو سكر		الشعور بإغماء أو جنون أو سكر	
07			قهقهة مصلٍ بالغ إذا سمعها من بجواره	
08				الردة
09	زوال التمييز		زوال التمييز	
10			القيء من الفم بحيث يملؤه	
11			ولادة من غير رؤية دم	
12			دم غلب على البصاق أو ساواه	
13				أكل لحم الجزور (الإبل ذكرًا كان أو أنثى)
14				تغسيل الميت

رفع الحدث الأكبر :

يشترط لصحة الصلاة والطواف حول الكعبة المشرفة، أن يتطهر المصلى من الحدث الأكبر ــ الناتج عن خروج منى الرجل أو المرأة يقظة أو احتلاماً، أو خروج دم الحيض أو دم النفاس عند المرأة، أو نكاح الرجل لامرأته ــ الذى يتحقق بالغسل، وهو تعميم جميع أعضاء الجسم بمطهر مخصوص وهو الماء الطهور. ورفع الحدث الأكبر أو إزالته يقصد به الطهارة الكبرى.

والغسل فى اللغة معناة سيلان الماء على الشىء مطلقاً، وفى الشرع معناه طهارة مخصوصة للبدن كله لإزالة الجنابة عند الرجل أو المرأة، ويعد انقطاع دم الحيض أو دم النفاس عند المرأة، وذلك بمطهر مخصوص، حتى يمكن أداء أفعال مخصوصة من العبادات.

دليل مشروعية الغسل. الغسل فى حد ذاته عبادة وقربة إلى الله تعالى، يتسلح بها المسلم، وقد ثبتت وتأكدت مشروعية الغسل بالقرآن الكريم، والسنَّة الشريفة، وإجماع الأمة، وذلك على النحو التالى:

*** القرآن.** ثبتت مشروعية الغسل فى القرآن الكريم، بقول الله تعالي فى سورة النساء (43) :

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا . . .»

وقول الله تعالى فى سورة المائدة (6):

« . . . وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا . . .»

وقول الله تعالى فى سورة البقرة (222) :

« . . . فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ . . .»

فالغسل هو الطهارة المائية لرفع الحدث الأكبر.

* **السنة.** ثبتت مشروعية الغسل بالأحاديث النبوية الشريفة لرفع الجنابة، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إن تحت كل شعرة جنابة، فاغسلوا الشعر ونقوا البشرة» [أخرجه أبو داود وقال عنه ضعيف]، وعند انقطاع دم الحيض والنفاس، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة، فإذا ذهب قدرها فاغسلى عنك الدم وصلى».

* **الإجماع.** انعقد إجماع الأمة الإسلامية، وآراء الأئمة على مشروعية الغسل ولزومه لصحة الصلاة.

وقد فرض الله تعالى الغسل لرفع الحدث الأكبر، وذلك لما له من فوائد جمة. فقد ثبت طبيا وعمليا أن جسم الإنسان يفقد قوته وحيويته بعد الانتهاء من الجماع، وليس من شيء يعيد إليه تلك القوة والحيوية مثل أن يغسل بدنه كله، ويدلكه جزءًا جزءًا بالماء الطهور، مما يمد الجسم بنشاط فى حركة الدم، كما أن الغسل ينشط الدورة الدموية.

مفهوم صفة الغسل. الصفة الشرعية للغسل هى أنه إما أن يكون فرضًا، أو واجبًا، أو سنَّة، أو مندوبًا، أو مكروهًا ، أو محرمًا ، وهى على النحو التالى:

* **صفة الغسل المفروض.** قد يكون الغسل فرضاً، أى طلب الشارع فعله طلباً محتمًا بالدليل القطعى، ولازمًا على المحدث حدثًا أكبر، إذا أراد القيام بالعبادات فى الحالات التالية:

* الغسل من الجنابة لكل من الرجل والمرأة.
* الغسل من الحيض أو النفاس عند انقطاع الدم.
* غسل الميت نفسه.

هذه هى صفة الغسل المفروض.

* **صفة الغسل الواجب.** قد يكون الغسل واجبًا، أى ثابتًا بدليل ظنّى، وذلك فى الحالات التالية:

* غسل الجمعة، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل» [أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد].

* غسل العيدين أى لصلاة عيد الفطر وعيد الأضحى.

* غسل المسلم الذى يقوم بتغسيل الميت وحمله إلى مثواه الأخير، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «من غسل ميتاً فليغتسل، ومن حمله فليتوضأ» [أخرجه أحمد بتمامه وأخرجه آخرون بدون الوضوء].

* **صفة الغسل المسنون.** قد يكون الغسل مسنونًا، فالاغتسالات المسنونة هى التى يمدح المكلف على فعلها ويثاب، وإذا تركها لا لوم عليه ولاعقاب وهي فى الحالات التالية:

* غسل الإحرام بالحج أو العمرة، فعن الرسول ﷺ أنه قال «تجرد لإهلاله واغتسل» [أخرجه الترمذى فى كتاب الحج]، وإهلاله يعنى رفع صوت المحرم بالتلبية.

* غسل الوقوف بعرفة للحج.

* غسل من أسلم وهو خاليًا من الحدث الأكبر.

* غسل لصلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف.

* غسل المستحاضة بعد انقطاع الدم.

هذه هى صفة الغسل المسنون.

* **صفة الغسل المندوب.** قد يكون الغسل مندوبًا أو مستحبا، أى طلب الشارع فعله، ولكنه أدنى طلب من الأمور المسنونة التى فعلها الرسول ﷺ وواظب عليها، ويندب الغسل فى الحالات التالية:

* الغسل بعد الحجامة.

* الغسل لدخول مكة المكرمة، ويذكر أن الرسول ﷺ فعل ذلك.

* الغسل لدخول المدينة المنورة.

* الغسل لمن أفاق من جنون أو إغماء أو سكر.

وقد اختلفت الأئمة الأربعة فى كون الغسل مسنونًا أو مندوبًا ، فقد أجمع الشافعية والحنابلة على أن جميع الاغتسالات غير المفروضة هى اغتسالات مسنونة .

* **صفة الغسل المكروه.** قد يكون الغسل مكروهًا، أى كره الشارع فعله ويكره الغسل فى الحالات التالية:

* الغسل فى مكان نجس خشية التلوث بالنجاسة.

* الغسل مسرفاً فى استعمال الماء الطهور.

* الغسل مستعيناً بغيره بدون عذر.

هذه هى صفة الغسل المكروه .

* **صفة الغسل المحرم** . قد يكون الغسل محرمًا ، أى حرم الشارع فعله ، ويحرم الغسل فى الحالات التالية :

* الغسل مستعملاً ماء مملوك للغير .

هذه هى صفة الغسل المحرم .

مفهوم أركان الغسل. الغسل طهارة مائية كبرى تتعلق بتعميم الجسد بالماء كشرط من شروط صحة الصلاة؛ لإزالة الحدث الأكبر، مصداقاً لقول الله تعالى فى سورة المائدة (6) :

« . . . وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا . . .»

وقول الله تعالى فى سورة البقرة (222) :

«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ . . .»

ولايتحقق الغسل إلا بإتيان أركان وفروض الغسل، وهى على النحو التالى:

* **النية**. وهى قصد الفعل ومحلها القلب، وتكون عند غسل أول جزء من البدن. وينوى الرجل أو المرأة رفع الحدث الأكبر أى إزالة الجنابة، فى حين أن المرأة تنوى غسل الحيض أو النفاس بعد انقطاع الدم.

* **التعميم**. وهو تعميم البدن بالماء الطهور، ويجب إيصال الماء إلى كل ما يمكن إيصاله بلا حرج مرة واحدة حتى لو بقى جزء يسير من البدن لم يصبه الماء. كما يجب أن يعم الماء الأجزاء الغائرة من جسد الإنسان كعمق السرة، ومواضع الجروح الغائرة، وإزالة كل حائل يمنع وصول الماء إلى ما تحته، كعجين أو شمع أو فازلين أو عماص في العينين، وتحريك الخاتم ليصل الماء إلى ما تحته، وتحريك الحلى الضيق كالأساور والحلق، وإزالة مواد التجميل كطلاء الأظافر وغيره. ويتم الغسل أيضًا بالانغماس والغطس فى النهر أو البحر، وكذا الاستحمام تحت «الدوش» مع مراعاة الشروط السابقة كالنية وإيصال الماء إلى جميع أجزاء البدن.

وقد زاد الحنفية والحنابلة على فرائض الغسل المضمضة والاستنشاق. وزاد المالكية على ذلك دلك جميع الجسد مع صب الماء أو بعده مع الموالاة، وهى عبارة عن الإتيان بأفعال الغسل متتالية فى زمن متصل عن غير تفريق.

مفهوم سنن الغسل. الغسل له سنن، وهى ما أثر عن الرسول ﷺ. ويكره ترك أى سنَّة من هذه السنن، إذ يحرم المغتسل ثواب السنَّة التى تركها، مع صحة الصلاة، وهذه السنن يمكن سردها على النحو التالي:

* **التسمية**. تسمية بالله تعالى، إلا أن الحنابلة ذهبوا إلى أن التسمية واجبة كما فى الضوء.

* **الكفين**. غسل اليدين إلى الكفين.

* **الفرج**. غسل الفرج إذا لم يكن عليه نجاسة، وإلا كان واجبًا، ويجب أن يصل الماء إلى حلقة الدبر مع نية رفع الحدث الأكبر، مخافة ألا يصل إليه الماء حال القيام بانطباق الإليتين.

* **الوضوء**. أداء أفعال الوضوء ما عدا الرجلين، مع مراعاة الدلك والتثليث، والتيامن، والموالاة، وتخليل أصابع اليدين والرجلين، وتخليل الشعر واللحية، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إن تحت كل شعرة جنابة فاغسلوا الشعر وأنقوا البشرة» [أخرجه ابن ماجه وأبو داود وقال عنه ضعيف]. والمرأة إن كانت منقوضة الشعر، وجب غسل ظاهره وباطنه؛ وإن كانت مضفورة الشعر، وجب غسل أصول شعرها من غير حل الضفائر، فتعممه بالماء حتى يصل إلى جلد رأسها كله.

* **التيامن**. إفاضة الماء الطهور على جميع أجزاء البدن، بدءاً بغسل الرأس، ثم الشق الأيمن، ثم الشق الأيسر، حتى يعم الماء جميع الجسد.

* **القدمين** . غسل القدمين مع البدء بالقدم اليمنى ثم اليسرى كا فى الوضوء ويراعى أن كل سنَّة فى الوضوء فهو سنَّة فى الغسل كالدلك والموالاة والترتيب والتثليث.

* **العورة**. ستر العورة أثناء الغسل، ولو كان بخلوة، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل حيى ستير فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوار بشىء» [أخرجه أحمد والنسائى واللفظ لأحمد].

وقد اختلفت الأئمة الأربعة فى سنن الغسل، ويمكن الرجوع إلى الفرائض والسنن علـى المذاهب الأربعة فى الجدول رقم (9). والغسل وحده يكفى عن الوضوء، فليس الوضوء شرطاً فى الغسل، والوضوء لايجب عند الغسل إذا انتقض وضوء المغتسل أثناء غسله أو بعد الغسل، كأن حدث له ما ينقض وضوئه. ويراعى على المغتسل كالمتوضئ إبعاد الوسوسة، والتشكك، والتردد، فإن ذلك من الشيطان، وشدة الوسوسة نوع من الجنون، والشرع يمقت ذلك.

مفهوم أفعال الغسل. المسلم يجمع عادة بين أركان وسنن الغسل ليثاب عليها ثوابًا عظيمًا، وقد ورد فى كتب فقه السنَّة كيف كان الرسول ﷺ يغتسل، وكذا كيف تغتسل المرأة، وهما على النحو التالى:

جدول رقم (9) : أركان وسنن ومندوبات الغسل على المذاهب الأربعة

رقم	الشافعية	المالكية	الحنفية	الحنابلة
الأركان	النية بالغسل	النية بالغسل	....	....
	....	....	....	التسمية
	تعميم ظاهر الجسد بالماء	تعميم الجسد بالماء	تعميم البدن بالماء	تعميم الجسد والرأس بالماء
	....	....	المضمضة والاستنشاق	الاستنشاق
	....	دلك جميع الجسد مع صب الماء	....	....
	....	موالاة غسل الأعضاء	....	....
السنن	....	....	النية بالغسل من الجنابة	....
	وضع قطنة بالمسك فى فرج المرأة	....	....	....
	التسمية بنية الغسل	....	التسمية فى أول الغسل	....
	غسل اليدين إلى الكوعين	غسل اليدين إلى الكوعين	غسل اليدين إلى الكوعين	....
	إزالة القذر المانع لوصول الماء إلى البشرة	....	....	....
	الوضوء بالكامل قبل الغسل	....	غسل الفرج ثم الوضوء بدون القدمين	إزالة ما على البدن ثم الوضوء قبل الغسل
	المضمضة والاستنشاق	المضمضة والاستنشاق والاستنثار	....	....
	غسل الرأس أولاً مع تثليث الغسل	....	....	....
	....	....	غسل الشق الأيمن ثم الأيسر	غسل الشق الأيمن ثم الأيسر
	....	....	تثليث غسل الأعضاء	تثليث غسل الأعضاء
	تخليل الشعر والأصابع	....	....	....
	غسل الأعالى قبل الأسافل	....	....	....
	....	....	غسل الرأس قبل البدن ثلاثاً	....
	الموالاة	....	....	الموالاة
	التيامن	....	....	....
	....	....	....	الدلك
	استقبال القبلة وستر العورة	....	....	....
	....	....	ترتيب أعمال الغسل	....
	....	....	سنن الوضوء هى سنن الغسل	....
المندوبات	....	غسل أعضاء الوضوء ثلاثاً	....	....
	....	غسل أعالى البدن قبل أسافله	....	....
	....	تثليث غسل الرأس لتعميمها بالماء	....	....
	....	غسل الشق الأيمن ثم الأيسر	....	....
	....	تقليل صب الماء بلا حد	....	....
	....	السكوت إلا ذكر الله تعالى	....	....

* **أفعال غسل الرجل.** كان الرسول ﷺ يغتسل من الجنابة كما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله إذا اغتسل من الجنابة، يبدأ فيغسل يديه، ثم يفرغ بيمينه على شماله، فيغسل فرجه ثم يتوضأ، وضوءه للصلاة ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه فى أصول الشعر حتى إذا رأى أن قد استبرأ، حفن على رأسه ثلاث حفنات، ثم أفاض على سائر جسده، ثم يغسل رجليه» [أخرجه مسلم فى كتاب الحيض]، ويحفن يعنى يملأ الكف من الماء، ويفيض يعنى يسيل الماء. ويمكن تلخيص أفعال الغسل للمسلم الجنب على النحو التالى:

* ينوى أداء الغسل، مع الاستعاذة بالله تعالى، ثم التسمية باسم الله تعالى.

* يغسل الفرج وينظفه من النجاسة التى تكون قد علقت به من الجنابة.

* يغسل اليدين إلى الرسغين.

* يؤدى أفعال الوضوء ما عدا الرجلين، دون ذكر دعاء الوضوء.

* يعمِّم الجسد كله بكافة أجزائه، ما عدا الفرج، إذ لا يجوز مسه بباطن الكف مطلقًا بمجرد البدء فى الوضوء، مع مراعاة البدء بالأجزاء العليا قبل السفلى، وبالميامن قبل المياسر، وإيصال الماء لكافة أجزاء الرأس والجسد.

* يغسل القدمين مع البدء باليمنى قبل اليسرى كما فى الوضوء.

* يلفظ بالشهادتين بعد الخروج من الحمام، داعياً لله تعالى.

* يدعو بالدعاء التالى : «اللهم اجعلنى من التوابين ، واجعلنى من المتطهرين ، واجعلنى من عبادك الصالحين ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك من كل ذنب وأتوب إليك» .

وقد روى عن ميمونة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: «وضعت لرسول الله ﷺ غسلاً وسترته فصب على يده فغسلها مرة أو مرتين ثم أفرغ بيمينه على

شماله فغسل فرجه، ثم دلك يده بالأرض، أو بالحائط ثم تمضمض واستنشق، وغسل وجهه ويديه، وغسل رأسه، ثم صب على جسده، ثم تنحَّى فغسل قدميه...» [رواه البخارى فى كتاب الغسل].

* **أفعال غسل المرأة.** غسل المرأة كغسل الرجل إلا أن المرأة لايجب عليها أن تنقض ضفيرتها إن وصل الماء إلى أصل الشعر، لحديث أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله إنى امرأة أشد ضفر رأسى، أفأنقضه لغسل الجنابة؟ قال: «لا، إنما يكفيك أن تحثِّى على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضين عليك الماء فتطهرين» [رواه مسلم فى كتاب الحيض]، وضفر الرأس يعنى الشعر المجدول، والحثية تعنى ملء الكف من الماء. كما روى عن أنس رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «إذا اغتسلت المرأة من حيضها نقضت شعرها نقضًا وغسلته بخطمى وإشنان، وإن اغتسلت من جنابة صبت الماء على رأسها صبًا وعصرته» . من ذلك يتضح أن على المرأة أن تنقض ضفائرها عند الاغتسال بعد الحيض والنفاس، لا عند الغسل بعد الجنابة. ويمكن تلخيص آراء المذاهب الأربعة فى إيصال الماء إلى أصل شعر المرأة على النحو التالى :

* يرى الشافعية أنه يجب تعميم الشعر بالغسل ظاهرًا وباطنًا، خفيفًا كان أو غزيرًا، ويجب نقض مضفوره، إن توقف وصول الماء إلى باطنه على نقضه، ولافرق فى ذلك بين الرجل والمرأة. أما الشعر المعقد بنفسه بدون ضفر، فإنه يعفى عن إيصال الماء إلى باطنه.

* يرى المالكية أنه يجب إيصال الماء إلى البشرة التى تحت الشعر سواء كان الشعر خفيفًا أو غزيرًا، مضفورًا أو غير مضفور، ويجب نقض المضفور منه إن اشتد ضفره، ولايجب نقضه إن لم يشتد ضفره، ويكفى جمعه وتحريكه ليدخل إليه الماء.

* يرى الحنفية أنه إذا كان شعر المرأة مضفورًا، لايجب عليها نقضه فى الغسل إذا بلغ الماء أصول الشعر، كما يجب عليها بَلّ ضفائرها بالماء. أما إذا كان

شعر المرأة غير مضفورٍ ، وجب إيصال الماء إلى جميع الشعر أصولا وفروعًا ، وظاهرًا وباطنًا . وإذا كان على رأس المرأة طيب ونحوه يمنع من وصول الماء إلى أصول الشعر، وجب عليها إزالته.

* يرى الحنابلة أنه يجب على المرأة نقض شعرها فى الغسل من الحيض والنفاس دون الجنابة، أى ليس عليها نقض شعرها للغسل من الجنابة، لأنه يشق فيها نقضه لتكراره بكثرة.

ويستحب للمرأة إذا اغتسلت من الحيض أو النفاس، أن تأخذ قطعة من القطن أو نحوه، وتضيف إليها طيبًا، ثم تتبع بها أثر الدم، لتدفع رائحة دم الحيض أو النفاس.

مفهوم أذكار الغسل . لم يثبت أن الرسول ﷺ كان يدعو أثناء الغسل . وما ثبت عنه غير التسمية فى أول الغسل والشهادة عند الإنتهاء منه يعتبر من الزيادات.

مفهوم مكروهات الغسل . يكره للمغتسل أن يترك سنَّة من سنن الغسل حتى لا يحرم ثوابها ، لأن فعل المكروه يوجب حرمان الثواب ، وتتحقق الكراهية بترك هذه السنن ، وعلى المغتسل أن يحافظ على السنن المختلف فى فرضيتها أو وجوبها ونسرد مكروهات الغسل على النحو التالى :

* يكره الغسل فى مكان نجس كالمرحاض ، لما يخشى أن يتطاير إليه النجاسة.
* يكره الإسراف فى صب الماء أو التقتير فيه أثناء الغسل .
* يكره الغسل بدون ساتر ، إذ يحرم كشف العورة إلا لمن يحل له النظر كزوجته.
* يكره الغسل فى الماء الراكد الذى لا يجرى .
* يكره الكلام بغير ذكر الله تعالى أثناء الغسل إلا لحاجة ضرورية .

ويستحب فى الغسل مراعاة عدَّة أمور لما فيها من خير ونفع وآداب مأثورة، ومنها

الجلوس فى مكان مرتفع قليلاً منعًا من بلل رشاش الماء المستعمل فى الغسل، واستقبال القبلة ما أمكن ذلك، والاقتصاد فى استخدام الماء بغير تبذير أو تقتير .

مفهوم موجبات الغسل. الأمور التى توجب الغسل لصحة العبادات تشمل : خروج المنى من حشفة الرجل ، ومن فرج المرأة ، سواء كان فى حالة اليقظة أو اثناء النوم مطلقًا ؛ والتقاء الختانين وهو مواراة الحشفة فى القبل أو الدبر بلا حائل يمنع اللذة ؛ وانقطاع دم الحيض والنفاس ؛ والولادة ولو بغير دم ؛ والوفاة؛ والدخول فى الإسلام .

★ ★ ★

الفصل الثالث: تيسير الطهارة الحدثية

من مبادئ الشريعة الإسلامية مراعاة اليسر، وإجازة التخفيف، ورفع الحرج عن المؤمنين فى جميع التكاليف الشرعية التى كلف الله تعالى بها عباده، وذلك بقصد تهذيب النفوس البشرية، وسمو الروح الإنسانية، ومن هنا جاءت آيات القرآن الكريم مبنية على هذا المبدأ السامى. ففى ختام آية الطهارة، يقول الله تعالى فى سورة المائدة (6) :

«... مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»

ولقد كان الرسول ﷺ المثل الأعلى فى تطبيق مبدأ التيسير والتخفيف فى العبادة، وغرس ذلك فى نفوس أصحابه، وجاءت توجيهاته إليهم صريحة وواضحة.

وقد قرر الإسلام مبدأ هامًا فى العبادات من أجل الإنسان والحياة، وهو مبدأ التخفيف أو الإعفاء فى عباداته، أى مبدأ الرخص، إذ اقتضت ذلك مطالب الحياة أو ضرورتها أو هما معاً. فمن رخص الطهارة التى أقرها الدين الحنيف، وأوضحتها الأحكام الفقهية، أن الله تعالى قد رخص للمسلم المتعذر عليه استعمال الماء، أو الذى لم يتوافر له ماء للوضوء أو الغسل، التيمم بالصعيد الطيب، أى التراب الذى به غبار، وذلك تيسيرًا من الله تعالى، ورحمة بعباده.

تيسير المسح على الخف :

المسح على الخف رخصة من رخص التيسير على المسلمين في أمور طهارتهم ، مما يؤكد سماحة هذا الدين الذي لايكلف الإنسان فوق طاقاته. والمسح على الخف معناه في اللغة هو إمرار اليد على الخف، ومعناه شرعًا هو أن يصيب البلل خفًا مخصوصًا، في زمن مخصوص، بكيفية مخصوصة.

مشروعية المسح على الخف. المسح على الخفين ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة والإجماع. أما القرآن الكريم، فيقول الله تعالى في سورة المائدة (6) :

« ... وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ... »

فيجوز المسح، لأن كلمة «وَأَرْجُلَكُمْ» بالجر عطفاً على «وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ».

وأما السنّة فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا توضأ أحدكم فلبس خُفيه فليمسح عليهما وليُصلِّ، ولايخلعهما إن شاء إلا من جنابة». وأما الإجماع فقد انعقد إجماع الأمة الإسلامية على مشروعية المسح على الخفين.

شروط المسح على الخف. الرخصة الممنوحة للمسح على الخف مقيدة بمواصفات معينة للخف، وبشروط محددة لمقدار المسح ومدته، حرصاً على نظافة القدمين وتهويتهما تجنبًا لرائحتهما النتنة الكريهة. وشروط المسح على الخف هي على النحو التالي:

* كون الخف شرعيًا، أي أنه يمكن أن يكون عبارة عن حذاء مصنوع من جلد أو جوخ طاهر، أو من جورب مصنوع من قماش سميك، بحيث يكون ساترا للقدمين مع الكعبين، صالحًا للمشي به مسافات بدون مشقة، مانعًا لوصول الماء إلى ما تحته، ثابتاً على القدمين بدون رباط، طاهراً ما لم تكن النجاسة معفواً عنها، مملوكاً للشخص شرعاً، خالياً من الثقوب.

* لبس الخف على طهارة مائية، لقول الرسول ﷺ للمغيرة بن شعبة لما أراد أن ينزع خفى الرسول الكريم لبغسل رجليه فى وضوئه: «دعهما فإنى أدخلتهما طاهرتين» [أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والدارمى]، ومسح عليهما. ولاينزع الخفين بعد المسح. أما لو نزعهما وجب عليه غسل رجليه، وإلا بطل وضوؤه.

* تعميم ظاهر أعلى الخف بالمسح عند المالكية والحنابلة، ويستحب مسح أسفله، وقال الشافعية أنه يتحقق مسح أى جزء من أعلى الخف ولو بوضع أصبعيه المبتلتين من غير إمرار، والزيادة على ذلك فهو سنَّة. ويرى الحنفية أنه يمسح من ظاهر الخف المشغول بالقدم قدر طول ثلاثة أصابع وعرضهما من أصغر أصابع اليد .

* مدة المسح يوم وليلة (مدة الصلوات الخمس فقط) للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر ، سواء كان سفره يبيح له قصر الصلاة أم لا .

أركان المسح على الخف. للمسح فرض واحد ، وهو مسح قدر ثلاثة أصابع من أصغر أصابع اليد على أعلى الخف ، فلا يمسح على جوانبه ولا على أسفله.

سنن المسح على الخف. للمسح سنَّة واحدة ، وهى مد الأصابع مفرجة، بادئًا من رؤوس الأصابع إلى الساق .

أفعال المسح على الخف. المقصود بالمسح على الخف أنه مجرد رمز إلى غسل الرجلين، ومحافظة على عادة غسل الرجلين، فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: «لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، لقد رأيت رسول الله يمسح على ظاهر خفيه» [أخرجه أبو داود فى سننه فى كتاب الطهارة].
ومن أفعال الوضوء مع المسح على الخفين ما هو على النحو التالى:

* ينوى المسح على الخف ضمن نية الوضوء.

* يبلل اليدين بالماء ثم ينفضهما.

* يضع الكف اليمنى مفرقة الأصابع على ظاهر الخف الأيمن، مبتدئاً من مقدم كل خف من جهة الأصابع إلي نهايته في مقدم الساق فوق الكعب اليمنى مرَّة واحدة.

* يضع الكف اليسرى مفرقة الأصابع إلى نهايته فى مقدم الساق فوق الكعب اليسرى مرَّة واحدة.

مبطلات المسح على الخف. المسح على الخف يبطل فى عدة أمورة ضرورية، يمكن ذكرها على النحو التالي:

* حدوث ثقوب فى الخف، أو قطع فى الخف، ولو كانت يسيرة. وقد ذهب المالكية إلى أنه يعفى عن الثقوب إذا كانت أقل من ثلث القدم. ويرى الحنفية أنه يعفى عن الثقوب اليسيرة التى هى أقل من ثلاث أصابع من أصغر أصابع الرجل.

* نزع الخف من الرجل، أو انكشاف جزء من القدم. وقد ذهب المالكية إلى أنه لايبطل إلا بخروج كل القدم إلى ساق الخف على الصحيح.

* انقضاء مدة المسح ولو شكا. يرى المالكية أنه لايبطل المسح بانقضاء المدة، لأن المدة غير معتبرة عندهم، وإذا طرأ أحد هذه النواقض وكان متوضئاً فعليه غسل الرجلين دون إعادة الوضوء. إذا كان الماسح من أصحاب الأعذار كمن له سلس بول وغيره فإنه يعيد الوضوء كله، إذ إن الموالاة عندهم فرض.

* حدوث موجب للغسل كالجنابة أو الحيض أو النفاس، وذلك لحديث صفوان بن عسال رضى الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سفرًا ألا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة» [رواه الترمذى وغيره].

تيسير المسح على الجبيرة:

المسح على الجبيرة رخصة أخرى من رخص التيسير على المسلمين فى أمور طهارتهم، لأن الدين يسر لاعسر. وهذا الشرع الرحيم يؤكد أن هذا الدين سمح، إذ لايكلف الإنسان فوق طاقاته.

والجبيرة هى مواد مصنوعة من الجبس الطبى، أو الرباط الضاغط، أو الشاش المعقم، توضع على عضو الوضوء المكسور أو المجروح أو المريض بداء معين. فعندما يكون غسل هذا العضو فيه ضرر محقق، كالخوف من زيادة الألم، أو تأخر فى الشفاء، أو نحو ذلك، فإنه يلزم تغطيته ليحول بينه وبين الماء أو الأتربة أو الجراثيم، بحيث ألا يتجاوز الغطاء موضع الداء إلا بقدر الاستمساك على العضو.

والمسح على الجبيرة معناه فى اللغة هو إمرار اليد على الجبيرة، وشرعًا هو أن يصيب البلل خفًا مخصوصًا، فى زمن مخصوص.

مشروعية المسح على الجبيرة. المسح على الجبيرة ثبتت مشروعيته بالسنَّة القولية، إذ قال الرسول ﷺ فى الرجل الذى شج رأسه، فغسلها، فمات: «إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يُعصِّب (شك الراوى) على جرحه خِرقة، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده» [رواه أبو داود فى كتاب الطهارة]. فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته» [رواه أحمد فى سنده]. كما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه سأل الرسول ﷺ عندما انكسرت إحدى يديه، فقال: «... فأمرنى أن أمسح على الجبائر» [أخرجه ابن ماجه فى كتاب الطهارة].

شروط المسح على الجبيرة. الرخصة الممنوحة للمسح على الحبيرة مقيدة بشروط معينة، وهى على النحو التالى:

* كون غسل العضو للمريض ضار به .

* غسل الجزء المكشوف فقط من عضو الوضوء بالماء، بشرط أن تكون الجبيرة غير زائدة على محل الجزء المريض إلا بما لابد منه للرباط أى الجبيرة.

* مسح غطاء العضو للمريض مرَّة واحدة فقط.

ولايشترط للمسح على الجبيرة تقدم طهارة معينة، ولاتوقيت بزمن محدد.

أفعال المسح على الجبيرة. المقصود بالمسح على الجبيرة أنه مجرد رمز إلى

غسل عضو الوضوء المريض. ومن أفعال الوضوء مع المسح على الجبيرة ما هو على النحو التالى:

* ينوى المسح على العضو المريض ضمن نية الوضوء.
* يبلل اليد اليمنى بالماء ثم ينفضها.
* يمسح الكف على ظاهر الجبيرة مرة واحدة.
* يكمل غسل أعضاء الوضوء حسب الترتيب السابق ذكره.

ويراعى أنه لافرق بين الرجل والمرأة في أفعال المسح على الجبيرة أو المسح على الخف. فما جاز للرجل جاز للمرأة على حد سواء.

مبطلات المسح على الجبيرة. المسح على الجبيرة يبطل فى عدَّة أمور ضرورية، يمكن سردها على النحو التالى:

* سقوط الجبيرة عن غير عمد، ولو فى الصلاة.
* نزع الجبيرة بسبب شفاء عضو الوضوء.
* استبدال الجبيرة بأخرى.

ويجب إعادة الوضوء فى جميع هذه الحالات.

تيسير الطهارة الترابية:

الطهارة الترابية التى يشار إليها بالتيمم رخصة من رخص التيسير على المسلمين فى أمور طهارتهم، لأن الدين يسر لاعسر. وهذا الشرع الحكيم يؤكد أن هذا الدين سمح، ولايكلف الإنسان فوق طاقاته.

والتيمم طهارة ترابية بدلاً من الوضوء أو الغسل، ولايعدل عن الأصل إلى البدل إلا عند الفقدان والعدم، وتجديد وتثليث التيمم غير مستحب بخلاف الوضوء. والتيمم يركز على عضوين، فى حين يغسل أربعة أعضاء أو أكثر فى الوضوء .

والتيمم يعنى فى اللغة القصد، وفى الشرع مسح الوجه واليدين بالصعيد الطاهر على وجه مخصوص بنيّة استباحة لون من ألوان العبادة التى لاتتم إلا بوضوء أو غسل، وذلك لفقد الماء أو عدم القدرة على استعماله. والقصد من الطهارة الترابية ألا يترك الصلاة بحجة عدم وجود الماء.

والتيمم يكون من جنس الأرض، وهو تراب طاهر له غبار، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا، وجعلت تربتها لنا طهورًا إذا لم نجد الماء» [أخرجه مسلم فى كتاب المساجد].

والتيمم أمر تعبدى فى جملته يقصد به الإذعان والخضوع لأمر الله تعالى. وَرُبَّ سائل يتساءل عن سبب التيمم، والتراب لايؤدى إلى النظافة كالماء، ولايزيل نجاسة. فيجيب الشرع بأن حكمة ذلك هى أن كلاً من الحدثين الأصغر والأكبر يشغلان النفس، ولاتهدأ النفس إلا إذا وجدت طريقة للتخلص من شواغلها حتى تقبل على عبادتها راضية مطمئنة. ومن حكم التيمم ما هو على النحو التالى:

* محافظة على عادة الوضوء أو الغسل لأن سلطان العادة على النفس شديد، فترك عمليةِ الوضوء زمنًا طويلاً، قد يؤدى به إلى ضيق ومشقة عندما يرجع إليه.

* استعاضة الماء عند فقده بالتراب فى الطهارة، لأن الماء والتراب هما العنصران الأساسيان فى نشأة الإنسان، واستمرار وجوده. كما أن الماء هو الأصل فى الطهارة من الأقذار والأدناس.

* اكتفاء بعضوين من سائر أعضاء الوضوء، وهما الوجه واليدين. وقد ترك الرأس والرجلين، لأن وضع التراب على الرأس مكروه، إذ يعطى الإيحاء بوجود مصائب؛ أما الرجلان فهما محل ملامسة التراب دائماً فلا ضرورة لمسحهما.

* اختيار الوجه بالتراب هو المظهر الذى به يخضع الإنسان لخالقه ويعظمه، ومسح اليدين بالتراب هو رمز لتطهيرهما من آثامهما.

مشروعة الطهارة الترابية. التيمم يشتمل على مسح الوجه واليدين بصعيد مطهر بنية. وقد ثبتت مشروعية التيمم بالكتاب والسنَّة والإجماع، وذلك على النحو التالى:

* **القرآن.** ثبتت مشروعية التيمم فى القرآن الكريم، بقول الله تعالى فى سورة النساء (43) :

« . . . وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا . . .»

فالتيمم هو الطهارة الترابية التى فُرضت لرفع الحدث الأصغر أو الحدث الأكبر.

* **السنة.** ثبتت وتأكدت مشروعية التيمم بالأحاديث النبوية الشريفة. فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال «جعلت الأرض كلها لى ولأمتى مسجدًا وطهورًا فأينما أدركت رجلاً من أمتى الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره» [من حديث أخرجه أحمد فى مسند الأنصار]. وقال أيضًا: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصلِّ، وأُحلِّت لى الغنائم، وكان النبى يبعث فى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة» [رواه البخارى ومسلم والنسائى واللفظ للبخارى].

* **الإجماع.** انعقد إجماع الأمة الإسلامية، وآراء الأئمة على مشروعية التيمم ولزومه لصحة الصلاة.

شروط الطهارة الترابية. التيمم يبيح للإنسان القيام بالصلوات المفروضة،

والنوافل التطوعية وصلاة الجمع، وصلاة العيدين، والطواف حول الكعبة المشرفة. ويشترط لصحة التيمم عدة شروط نذكرها على النحو التالى :

* **الوقت.** لايصح التيمم قبل دخول وقت الصلاة، إلا أن الحنفية يرون أنه يصح التيمم قبل دخول الوقت.

* **النية.** لايصح التيمم بدون النية لاستباحة الصلاة، أو رفع الحدث القائم به إن كان جنباً وأراد الصلاة أو الطواف. والنية شرط عند الحنفية والحنابلة، أما عند الشافعية والمالكية فهى ركن.

* **الحائل.** لايصح التيمم عند وجود حائل على عضو من أعضاء التيمم، من شمع أو دهن أو عازل يحول بين المسح والبشرة.

* **النقاء.** لايصح التيمم للحائض أو النفساء، أى تكون المرأة خالية من الحيض أو النفاس.

كما توجد شروط أخرى لصحة الصلاة، منها الإسلام، وفقد الماء وعدم إمكان الحصول عليه أو عدم القدرة على استعماله، وكون الصعيد الطيب طهوراً، واتباع الموالاة والترتيب، وعدم حدوث ناقض للوضوء أثناءه، وتأدية صلاة فرض واحد به مع نوافله. كما يراعى ألا تستباح عبادة أعلى شأناً من التى نوى التيمم من أجلها. فمن نوى التيمم لاستباحة مس المصحف، فلا تصح صلاته بهذا التيمم.

أما شروط وجوب التيمم للإنسان الجنب أو الذى انتقض وضوءه ويريد الصلاة فهى على النحو التالى:

* فقد الماء كلية، بحيث يتعذر الوصول إليه بسبب قهرى، كخوفه على نفسه أو عرضه أو ماله، أو حال بينه وبين الماء عدو يخشى منه سواء أكان العدو آدميا قاطعا للطريق أو حيوانًا متوحشًا مفترسًا، أو تعذر الحصول عليه لفقد وسيلة استخراجه أو ضخه.

* وجود الماء بكمية قليلة، بحيث لاتكفى أعمال الطهارة من وضوء أو غسل، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إن الصعيد الطيب طهور لمن لم يجد الماء عشر سنين» [أخرجه الترمذى فى كتاب الطهارة وأخرجه غيره]. ويرى الشافعية والحنابلة أنه إذا وجد ماء ولكن لايكفى للطهارة المائية، وجب عليه أن يستعمل ما تيسر له منه فى بعض أعمال الطهارة، ثم تيمم عن الباقى.

* وجود الماء بقدر محدود، بحيث تشتد الحاجة إليه فى طعامه وشرابه، وسقى الحيوانات، وإزالة النجاسة. فقد قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى الرجل الذى يكون فى السفر فتصيبه الجنابة ومعه قليل من الماء ويخاف أن يعطش: «فيتيمم ولايغتسل». وعن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه قال: «عدة من الصحابة تيمموا وحبسوا الماء لسقياهم».

* عجز عن استعمال الماء لأى سبب من الأسباب الشرعية، كأن يغلب على ظنه حدوث مرض نتيجة استخدام الماء أو زيادة المرض، أو تأخر الشفاء، أو بناء على نصيحة طبيب مسلم صادق. فقد روى عن جابر رضى الله عنه أنه قيل للرسول ﷺ أن أحد الرجال أصيب بحجر فشجه فى رأسه، ثم احتلم، فنصحه أصحابه بأن يغتسل لقدرته على استعمال الماء، فاغتسل فمات، فقال الرسول ﷺ : «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإنما شفاء العى السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة، ثم يمسح عليه، ويغسل سائر جسده» [رواه ابو داود].

* خوف من شدة برودة الماء، بأن يغلب عليه حصول ضرر باستعماله، بشرط أن يعجز عن تسخينه، أو لايتيسر له دخول الحمام، فإنه يتيمم ثم يصلى ولا إعادة عليه، إلا أن الشافعية يرون أنه تجب عليه الإعادة. أما الحنفية فيرون أنه لايتيمم للخوف من شدة برودة الماء إلا إذا كان محدثًا حدثًا أكبر، لأنه هو الذى يتصور الضرر، أما المحدث حدثاً أصغر فإنه لايتيمم إلا إذا تحقق الضرر.

* خشية فوات الوقت باستعمال الماء، ولكنه إذا تيمم يدركه، فله أن يتيمم ويصلى ولا إعادة عليه عند المالكية. أما الحنفية فيرون أن عليه إعادة الصلاة. ويرى الشافعية والحنابلة أنه لايجوز له التيمم مع وجود الماء، فليستعمل الماء وإن خرج الوقت.

أركان الطهارة الترابية. التيمم له أركان لايصح التيمم بدونها، وإذا نقض ركن منها يكون التيمم غير صحيح، ولايعتد به شرعاً، وفروض التيمم هى على النحو التالى:

* **النية.** ينوى المسلم التيمم لاستباحة ما يباح بالماء بالتيمم. وذلك عند الشافعية والمالكية، أما عند الحنفية والحنابلة فالنية شرط. والفرق بين الشرط والركن هو أن الشرط تقدمه على العمل بزمن يسير، وأما الركن فلا يصح تقدمه على العمل بل هو داخل ضمن العمل.

* **الصعيد.** يستخدم المسلم الصعيد الطاهر، وهو كل ما كان من جنس الأرض غير المعادن، وهى الأرض الجافة الطاهرة، مصداقاً لقول الله تعالى فى سورة المائدة (6) :

« ... فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ... »

والصعيد هو وجه الأرض تراباً كان أو غيره له غبار.

* **الوجه.** يمسح المسلم وجهه ولو بيد واحدة. ويدخل فى الوجه اللحية ولو طالت، وكذا ما غار من الأجفان، وما بين العذار ووتد الآذان، وكذا ما تحت الوتد من البياض الذى بين الأذن والعذار. يقول الله تعالى فى سورة المائدة (6) :

« ... فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ ... »

فقد ورد هذا الركن فى السنّة والإجماع أيضا.

* **اليدين.** يمسح المسلم يديه إلى الكوعين، فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثم تنفخ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيكَ» [رواه مسلم فى كتاب الحيض].

* **الموالاة.** يوالى المسلم فى مسح الوجه واليدين، وألا يفصل بينهما بفاصل طويل. ويرى الشافعية والحنفية أن الموالاة سنَّة.

* **الترتيب.** يبدأ المسلم بالوجه ثم اليدين، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «نبدأ بما بدأ الله به» [من حديث أخرجه النسائى وغيره]، ولحديث عبد الله بن عمر: «التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين» [أخرجه الترمذى من كتاب الطهارة]، إلا أن المالكية والحنفية يرون أن الترتيب سنَّة لافرض.

* **الأرض.** يضرب المسلم على الأرض، فعند المالكية الفرض هو ضربة واحدة أى وضع الكفين على التراب، أما الضربة الثانية فهى سنَّة.

سنن الطهارة الترابية. التيمم له سنن منها ما هو مسنون، ومنها ما هو مندوب، فمن فعلها ثاب على فعلها، ومن تركها لايأثم وصح تيممه، ونسرد السنن على النحو التالى:

* **التسمية.** يسمى المسلم بالله تعالى، إلا أن الحنابلة يرون أن التسمية واجبة، أى يبطل التيمم بتركها عمداً، وتسقط سهواً أو جهلاً. والتسمية مستحبة عند كل أمر ذىْ بال.

* **السواك.** يدلك المسلم أسنانه بعود السواك أو فرشة الأسنان لإزالة الاصفرار، وتطهير الفم، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب» [رواه البخارى والنسائى وابن ماجه].

* **الكفين.** يضرب المسلم بباطن كفيه على ما يتيمم به، إلا أن المالكية يرون أن الضربة الأولى ركن، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «إنما يكفيك أن تضرب بيديك فى الأرض» [رواه مسلم].

* **الأصابع**. يفرج المسلم أصابعه عند الضرب بالتراب، ليتخلل الغبار بين أصابعه، مع تخليل اللحية والأصابع.

* **اليدين**. ينقض المسلم الخاتم فى الضربة الأولى. وأما فى الضربة الثانية فنزع الخاتم فرض، إلا أن الحنفية يرون أنه يكفى التحريك.

* **الترتيب**. يبدأ المسلم بالوجه قبل اليدين، إلا أن الشافعية والحنابلة يرون أن الترتيب فرض.

* **التيامن**. يبدأ المسلم بمسح اليد اليمنى قبل اليسرى، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «ابدءوا بميامنكم» [أخرجه ابن ماجه فى كتاب الطهارة].

* **التخليل**. يخلل المسلم أصابعه، وأضاف الحنفية تخليل اللحية.

* **الموالاة**. يوالى المسلم مسح الوجه واليدين، بحيث لايتخلل مسح الوجه ومسح اليدين فاصل طويل، أو يفصل بين فرائض التيمم بفاصل.

* **القبلة**. يستقبل المسلم القبلة حال التيمم، كما فى الوضوء.

* **الذكر**. يذكر المسلم ربه عند مسح الوجه واليدين فى التيمم، ثم يدعو بالإتيان بالشهادتين وغيرهما كما فى الوضوء.

أفعال الطهارة الترابية. المسلم الذى يشرع فى التيمم لاستباحة لون من ألوان العبادة بقصد الطهارة بدلاً من الوضوء أو الغسل، لسبب من الأسباب التى تبيح هذه الطهارة الترابية، يقصد مكاناً فيه تراب لين، أو جداراً عليه تراب، أوإناء عليه طبقة من غبار، ثم يقوم بأعمال التيمم على النحو التالى:

* ينوى بالقلب مع الاستعاذة والتسمية، لاستباحة لون من ألوان العبادات، كأداء الصلاة، أو مس المصحف، أو قراءة القرآن، أو غيره.

* يضرب الكفين على الصعيد الطيب ضربة أولى، ثم ينفضهما، ويمسح وجهه مرة واحدة بباطن كفيه.

* يضرب الكفين على الصعيد الطيب ضربة ثانية، ثم ينفضهما، ويمسح يديه بباطن كفيه، بدءاً من أطراف الأصابع إلى المرفقين.

ومسح الذراعين يبدأ بمسح باطن الكف الأيسر على ظاهر الكف الأيمن، ماراً بظاهر الساعد الأيمن إلى المرفق. وبالمثل مسح باطن الكف الأيمن على ظاهر الأيسر، ماراً بظاهر الساعد الأيسر إلى المرفق. ويراعى لصق باطن الكف الأيسر (الأيمن) بظهر أصابع الكف الأيمن (الأيسر) تاركاً الإبهامين.

هذا ما ذهب إليه الشافعية والحنفية. أما المالكية والحنابلة فيرون أن التيمم يصح بضربة واحدة على الأرض، ومسح الوجه واليدين بها، ويرون أيضًا أن مسح اليدين إلى الكوعين فرض، وأما مسح اليدين إلى المرفقين فهو سنَّة. ويراعى أنه لا يجوز الجمع بين فريضتين بتيمم واحد، ولابين فريضة صلاة وطواف، وسواء فى ذلك الصحيح والمريض والبالغ والصبى، وله أن يصلى ما شاء من النوافل. وقد اختلفت آراء الفقهاء فى فرائض وسنن ومندوبات وشروط التيمم، والجدول رقم (10) يوضح فرائض وسنن التيمم على المذاهب الأربعة.

مبطلات الطهارة الترابية. المسلم يتيم لأداء صلاة فرض واحد مع ما يلحق بها من نوافلها، ثم يتجدد فى كل صلاة. ومبطلات التيمم ما هو على النحو التالى:

* يبطل التيمم عند زوال العذر المبيح للتيمم، كأن وجد الماء بعد فقده، أو قدر على استعمال الماء بعد عجزه. ولكن إذا صلى المسلم بالتيمم، ثم وجد الماء، أو قدر على استعماله، بعد الفراغ من الصلاة ، وجب عليه الوضوء، ثم إعادة الصلاة، إلا أن الشافعية والمالكية يرون أنه متى شرع فى الصلاة، بحيث كبر تكبيرة الإحرام، لايجب عليه قطع الصلاة ولاإعادتها وصلاته صحيحة.

* يبطل التيمم كل ما يبطل الوضوء لأنه البديل الفعلى له، ويمكن الرجوع إلى مبطلات أو نواقض الوضوء للتعرف عليها.

* * *

جدول رقم (10) : أركان وسنن ومندوبات وشروط التيمم على المذاهب الأربعة

رقم	الشافعية	المالكية	الحنفية	الحنابلة
الأركان	النية والترتيب	النيـة	....	الترتيب
	....	الضربة الأولى	....	....
	مسح الوجه ثم اليدين مع المرفقين	مسح الوجه واليدين إلى الكوعين	المسـح	المسـح
	....	....	الضربتان	....
	نقل التراب إلى أعضاء التيمم	....	....	....
	التراب الطهور الذي له غبار	....	....	....
	....	المـوالاة	....	الموالاة في الحدث الأصغر
السنن	التسمية	....	التسميـة	....
	السـواك	....	....	....
	نفض التراب من اليدين	....	....	....
	نزع الخاتم	....	تفريج الأصابع مع تحريك الخاتم	....
	التخليل والتحجيل	....	تخليل اللحية	....
	استقبال القبلة حال التيمم	....	....	....
	الموالاة والتيامن	....	الترتيب والموالاة والتيامن	....
	....	البدء بالوجه قبل اليدين	....	....
	....	الترتيب	....	....
	....	....	الضرب بباطن الكفين	....
	....	....	المسح بالكيفية المخصوصة	....
	....	....	....	تأخير التيمم لآخر الوقت
المندوب	....	التسمية، والسواك، والصمت	....	....
	....	استقبال القبلة حال التيمم	....	....
	....	تبكير التيمم أول الوقت	....	....
	....	....	تأخير التيمم لآخر الوقت	....
الشروط	....	....	النيـة	النيـة

مفهوم فاقد الطهورين. من فقد الماء الطهور والصعيد الطيب، بأن حبس في مكان ليس به مطهر، أو عجز عن الوضوء والتيمم معاً لمرض ونحوه، عليه أن يصلى صلاة حقيقية ويقتصر على الفرائض فقط، ويكتفى بقراءة الفاتحة إن كان جنباً، على أن يعيد هذه الصلوات عند وجود أحد الطهورين. فقد اختلف العلماء بوجوب الصلاة عليه، وكيف تكون صلاته. ونسرد آراء المذاهب الأربعة على النحو التالى:

* يرى الشافعية أنه يجب عليه أن يصلىَ فى الوقت لحرمته، ثم يعيد الصلاة، ويقتصر على ما لاتصح الصلاة بدونه، إذا كان محدثاً حدثاً أكبر.

* يرى المالكية أن المعتمد فى فاقد الطهورين هو أن الصلاة تسقط عنه، أداءً وقضاءً.

* يرى الحنفية أنه يجب عليه أن يصلى فى الوقت لحرمته، ثم يعيد الصلاة وتكون صلاته غير حقيقية، بل بتشبه بالمصلين، فلا يقرأ ولاينوى سواء أكان محدثًا حدثًا أصغر أو أكبر.

* يرى الحنابلة أنه يجب عليه أن يصلى صلاة حقيقية، ولايعيد، إلا أنه يقتصر على ما لاتصح الصلاة إلا به.

وقد روى عن عائشة رضى الله عنها، أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل الرسول ﷺ ناسًا من أصحابه فى طلبها، فأدركتهم الصلاة، فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا الرسول ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم، فقال أسيد بن حضير: «جزاك الله خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر قط، إلا جعل الله لك منه مخرجًا، وجعل للمسلمين منه بركة» [أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم]. فلما لم يأمرهم الرسول ﷺ بإعادة الصلاة، ولم ينكره عليهم، استدل الحنابلة بعدم وجوب الإعادة على من صلى فاقداً للطهورين.

جدول رقم (11) : وسائل الطهارة من الأحداث

رقم	نوعية الطهارة	وسيلة الطهارة	أفعال الطهارة
01	الطهارة الصغرى	الوضوء	* ينوى الوضوء، مع الاستعاذة بالله تعالى ، والتسمية * يغسل يديه إلى الرسغين ثلاثا * يستاك لتنظيف أسنانه * يتمضمض ثم يستنشق ويستنثر بالماء ثلاثًا * يغسل وجهه ثلاثا * يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثًا * يمسح رأسه مع أذنه ظاهرهما وباطنهما * يغسل رجليه حتى الكعبين ثلاثًا * يغسل كفيه، ثم يلفظ بالشهادتين
02	الطهارة الكبرى	الغسل	* ينوى أداء الغسل، مع الاستعاذة بالله تعالى، والتسمية. * يغسل الفرج وينظفه من النجاسة نتيجة الجنابة. * يؤدى أفعال الوضوء ما عدا الرجلين * يعمم الجسد بالماء ماعدا الفرج * يغسل القدمين كما في الوضوء * يدعو الله تعالى بعد الانتهاء من الوضوء
03	الطهارة الميسرة	المسح	**المسح على الخف.** * ينوى المسح على الخف ضمن نية الوضوء * يبلل اليدين بالماء ثم ينفضهما * يتوضأ ما عدا الرجلين * يضع الكف اليمنى مفرقة الأصابع على ظاهر الخف الأيمن * يضع الكف اليسرى مفرقة الأصابع على ظاهر الخف الأيسر **المسح على الجبيرة.** * ينوى المسح على الجبيرة ضمن نية الوضوء * يتوضأ بغسل جميع الأعضاء * يمسح على العضو المغطى بالجبيرة.
04	الطهارة الترابية	التيمم	* ينوى بالتيمم لاستباحة لون معين من ألوان العبادات * يضرب الكفين على الصعيد الطيب ضربة أولى، ثم ينفضهما، ويمسح وجهه مرة واحدة * يضرب الكفين على الصعيد الطيب ضربة ثانية، ثم ينفضهما، ويمسح يديه بباطن كفيه، بدءاً من أطراف الأصابع إلى المرفقين.

الجـزء الثانـى
الطهـارة الباطنـة

الـبـاب الـرابـع : طـهــارة الـجـوارح

الـبـاب الـخـامـس : طـهــارة الـقـلـب

الـبـاب الـسـادس : طـهــارة الـسـر

الطهارة الباطنة هى طهارة المسلم المعنوية التى تزينه أمام الله تعالى بمحاسن الصفات، وطاعة الجوارح ، وخشوع القلب ، ومكارم الأخلاق ، وشفافية الروح ، ونمو الوجدان ، وسمو النفس ، وتزكية السرائر. وقد عنى الإسلام بالطهارة الباطنة لأنها الأساس فى استقامة الظاهر . فإذا تحقق للمسلم تطهير باطنه ، بعد أن يكون قد طهر ظاهره ، فإنه يصبح إنسانًا قرآنيا محمديا فى كل حركاته ، وسلوكياته ، ومعاملاته ، وبهذا يكون خير مثال لما أراد الله تعالى بشرعة الطهارة .

فقد أمر الله تعالى المسلم بالطهارة والتَّطهر من المهد إلى اللحد ، وأمره بأن تكون الطهارة خُلُقه وسلوكه يمارسها فى الظاهر والباطن ، مع نفسه ومع الناس ، ومع كل حركة وسكنة ، ومع كل نية وقصد ، ومع كل جهر وعلانية . فالطهارة الباطنة هى طبيعة كل تصرف وحركة وقول وعمل للمسلم ، وكلمات تعبر عن حقيقته إيمانًا ، وفطرته الربانية على الطهارة فى كل حياته أى من مولده حتى مماته .

فالفطرة الربانية التى فطر الله تعالى الناس عليها مركوزة فى كيان الإنسان ، وهى شعور عميق فى نفوس البشر ، وهى أساس الحيرة والقلق والشقاء لمن لا يستجيب لدواعى فطرته ، أو ينحرف بها عن صراطها المستقيم . فالطفل يولد على الفطرة السليمة النقية ، ويشب على البراءة والطهارة ، ولكنه عندما يحتك بالمحيطين به من الأهل والأقارب والمعارف ، تنحرف فطرته عن طريقها السوى . ودليل هذه الفطرة أن الإنسان يتطلع إلى القدرة الإلهية ، والإشراقة الهادية ، والسكينة المطمئنة . وعندما تظلم الحياة من حوله ، وتضيق به السبل، وتنقطع به الأسباب ، يتوجه بقلبه إلى هذه القدرة الإلهية التى فطر على الاعتماد

عليها والاستعانة بها ، فيدعوها مخلصًا ، ويسألها المخرج والنجاة . أما عندما تضحك الحياة من حوله ، فتصحو الحيوانية فى كيانه ، وتجذبه إلى الحضيض.

لقد أنزل الله تعالى منهجه هدى ورحمة للمتقين ، وجعله دستورًا شرع فيه السعادة والفلاح للمسلمين ، ورسم فيه حدودًا كاملة وآمنة للمؤمنين . وقد تكفل المنهج بتنظيم حياة العباد بما يضمن لهم ما يحفظ عليهم حياتهم واستقرارهم، وما يحقق لهم أمنهم وسعادتهم ، وما يبعدهم عن مقتضيات هموم وقلق حياتهم . والمؤمن الحق هو الذى يتخطى هذه الهموم بالتقرب إلى الله تعالى وحده ، ويخلص له فى عبادته ، ويقصد وجهه فى عم ، ويلتزم بأوامره حسب شرعه ، ويجتنب نواهيه وفقًا لمنهجه ، فكل أمر مردُّه الله تعالى . والمسلم الطاهر يشعر برقابة الله تعالى فى جميع أقواله وأفعاله، مما يُولِّد فى نفسه ضرورة نقد ذاته ومحاسبة نفسه . والمنهج الربانى يوفر للعبد أسباب العزة والكرامة .

والقرآن الكريم هو حديث للإنسان عن الإنسان ، حيث يشهده مع كل خطوة يخطوها فى مسيرته فى الحياة الدنيا، ويرصده على كل طريق يطرقه فى رحلته فى هذه الدنيا، ويرشده إلى مواقع الخير ويدعو إليها، ويكشف له عن وجوه الشر يحذره منها . ومن ثَمَّ فإن القرآن الكريم يتناول فلسفة كاملة عن الإنسان من حيث نشأته وتكوينه ، ومن حيث تكريمه وتفضيله، ومن حيث طبيعته واستعداده، ومن حيث مهامه وتبعاته . والذى يتدبر القرآن الكريم عن تصور نشأة وتكريم وطبيعة ومهام الإنسان يجد أمورًا تستحق الذكر ، ويمكن الاطلاع عليها بالتفصيل فى الفصل الثالث من الباب الثانى فى كتاب «الإنسان فى القرآن الكريم» للمؤلف ، ونكتفى بسردها هنا فى صورة مختصرة على النحو التالى

نشأة الإنسان وتكوينه. خلق الله تعالى الإنسان من تراب الأرض ، وسوَّاه فى أحسن صورة ، ونفخ فيه من روحه المقدسة ، وأنشأه عن طريق التزاوج .

تكريم الإنسان وتفضيله. أفاض الله تعالى على الإنسان بنعمة العلم والمعرفة، وأسجد له الملائكة للتكريم والتشريف ، وأنعم عليه بالاستخلاف في الأرض ، وسخَّر له ما في السموات وما في الأرض .

طبيعة الإنسان واستعداده. زوَّد الله تعالى الإنسان بالطاقات والمواهب، وجبله على التوحيد الخالص ، وحمَّله أمانة التكليف ، وحذَّره من الشيطان الرجيم .

مهام الإنسان وتبعاته. أسبغ الله تعالى على الإنسان الفردية والجماعية، وأهَّله للكمال والنقص ، ومنحه التمييز والاختيار ، وابتلاه بالسَّراء والضَّراء .

والمنهج الربانى الذى أنزله الله تعالى على عباده، يتناسب مع الخصائص التى أودعها الله تعالى فى الإنسان عند خلقه ، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الخصائص على النحو التالى :

صفة الظلم والكفر. يصف القرآن الكريم الإنسان بأنه دائم الظلم والكفر ، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة إبراهيم (34) :

« . . . إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ»

فالإنسان يتصف بالكفر بالنعمة . والكفر بالله نقيض الإيمان به ، إلا أن اجتماع النقيضين فى الإنسان أمر يتفق مع طبيعته . فهو من الناحية البيولوجية حيوان ذو غريزة شهوة البطن والجنس ، ومن الناحية المعنوية إنسان ذو عقل يختار به فى مواطن الاختيار .

صفة العجلة والتسرع. يصف القرآن الكريم الإنسان بأنه دائم العجلة والتسرع، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة الإسراء (11) :

« . . . وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً»

فالإنسان يتصف بالتعجل فى الحكم على نفسه أو ذويه ، فيتسرع فى الدعاء على شخصه أو أهله بالموت أو اللعنة . فلو استجاب الله تعالى لدعائه لهلك .

صفة البخل والتقتير. يصف القرآن الكريم الإنسان بأنه دائم البخل والتقتير مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة الإسراء (100) :

«... وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً»

فالإنسان يتصف بالبخل والشُح ، إلا من هداه ووفقه الخالق البارئ .

صفة الجدل والنقاش. يصف القرآن الكريم الإنسان بأنه دائم الجدل والنقاش، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة الكهف (54) :

« ... وَكَانَ الإنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً»

فالإنسان يتصف بكثرة المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق والباطل.

صفة الضيق والمعاناة. يصف القرآن الكريم الإنسان بأنه دائم الضيق والمعاناة، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة البلد (4) :

«لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ»

فالإنسان يتصف بدوام العيش فى ضيق ومعاناة ، وشدة ومشقة ، لما يعانيه منذ مولده من الشدائد فى الحياة الممزوجة باللذات والآلام ؛ وما يعانيه بعد بلوغه من الابتلاء بأمانة التكليف والمسئولية ؛ وما يعانيه فى حياته من الناس من حدَّة اللسان ، وأذى اليد ، وحسد النفس .

صفة الكفور والجحود. يصف القرآن الكريم الإنسان بأنه دائم الكفور والجحود، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة العاديات (6) :

«إِنَّ الإنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ»

فالإنسان يتصف بالكنود وهو الكفور الذى يعد المصائب وينسى نعم الله تعالى.

صفة الهلع والفزع. يصف القرآن الكريم الإنسان بأنه دائم الهلع والفزع، إذا مسَّه الشر جزوعًا ، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة المعارج (19) :

«إِنَّ الإنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا»

فالإنسان يتصف بأنه مجبول على الأخلاق الدنيئة ، أى إذا مس الإنسان الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب والهلع .

صفة الضعف والوهن. يصف القرآن الكريم الإنسان بأنه دائم الضعف والوهن، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة النساء (28) :

« . . . وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً»

فالإنسان يتصف بأنه ضيق الأفق ، قصير النظر ، حياته هى اللحظة التى يعيشها، فإذا أصابته سراء فرح ومرح ، وإذا أصابته ضراء يئس وقنط. والضعف البشرى يؤدى إلى هوى النفس الذى يدعو الإنسان إلى أن يستبيح حرمات غيره.

صفة الظلم والجهل. يصف القرآن الكريم الإنسان بأنه دائم الظلم والجهل، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة الأحزاب (72) :

« . . . إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً »

فالإنسان يتصف بأنه ظلوم أى كثير الظلم ، فهو وحده الذى ظلم نفسه فحملها ما لا طاقة له به . ولما كان الإنسان قادرًا على حق المعصية . فالغرور هو الطريق السريع إلى المعصية ، وإلى الظلم والاستبداد فى الأرض . والإنسان يتصف أيضًا بأنه جهول ، فهو وحده المسئول عن عمله ، المحاسب عليه ثوابًا وعقابًا ، لا يحمل أحد عنه تبعة مسعاه ، ولا يفوت بغير جزاء ، ولكنه يستهين بهذا الجزاء لأنه غير مرئى وغيب عنه ، فيجعله يستهين بعذاب الله تعالى.

مشروعية الطهارة الباطنة :

بداية الطهارة تتواكب مع بداية الإسلام ، وتتصدر أوامره ، حتى عُرف الإسلام بأنه دين الطهارة والمتطهرين . وقد حثّ الرسول ﷺ أتباعه الذين آمنوا برسالته أن يحذوا حذوه فى التَّطهر. وقد فرض الله تعالى الطهارة الباطنة على كافة المسلمين ، وليس هناك دليل على فرضية الطهارة الباطنة أقوى من الآيات

القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وإجماع الأمة الإسلامية ، وهى على النحو التالى :

القرآن . ثبتت مشروعية الطهارة الباطنة فى القرآن الكريم ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (13) :

«فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ . . .»

وقول الله تعالى فى سورة الأحزاب (32) :

«يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا»

وقول الله تعالى فى سورة الشمس (7 - 10) :

«وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا»

وقول الله تعالى فى سورة المدثر (1 - 5) :

«يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ»

وقول الله تعالى فى سورة البقرة (222) :

« . . . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»

فلا عجب أن يمتدح الله تعالى من يتطهرون ويجعلهم فى مراتب أحبابه، وتدل هذه الآية على التوبة والتّطهر . فالتوبة هى إزالة الرذائل والذنوب والآثام ، والتّطهر هو طهارة الجوارح ، وطهارة القلب ، وطهارة السِّر .

السنة. ثبتت مشروعية الطهارة الباطنة بالسنة النبوية الشريفة ، فقد حض الرسول ﷺ على التمسك بالفضائل الكريمة ، والأخلاق المحمودة ، والعقائد المشروعة. فعن الرسول ﷺ أنه قال : «الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان،

وسبحانه الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» [أخرجه مسلم وأحمد والدارمى واللفظ لمسلم].

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أنه قال : قيل يا رسول الله، أى الناس أفضل ؟ قال : «كل مخموم القلب صدوق اللسان» ، قال : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : هو « التقى النقى لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد» [أخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد]. وعن أبى سعيد الخدرى أن الرسول ﷺ قال: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأى المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه» [أخرجه الإمام أحمد فى سنده]، فقلب أجرد يعنى قلب نظيف، وسراج يزهر يعنى سراج يضىء ، وقلب منكوس يعنى قلب مقلوب ، وقلب أغلف يعنى قلب عليه غلاف ، وقلب مصفح يعنى قلب قاس.

الإجماع . انعقد إجماع الأمة الإسلامية وآراء الأئمة والفقهاء على مشروعية الطهارة الباطنة .

وسائل الطهارة الباطنة :

الطهارة خُلُق الإنسان وسلوكه يمارسها فى الظاهر والباطن مع نفسه ، ومع جماعته ، ومع ربه . والإنسان فى حياته الدنيا يدور فى ثلاث دوائر ، ذكرها الرسول ﷺ ، وعنى به لأنها ، على حسب قوله : الطريق الأمثل الذى يحفظ للإنسان إنسانيته ، وهى على النحو التالى :

* اعتبار الإنسان مخلوقًا كرَّمه الله تعالى ، وهذه الدائرة مركزها الفرد نفسه ، وكل ما يصدر عنه من تصرفات ، سواء أكانت بالإيجاب أم بالسلب ، فإنما هو لتكوين الذات بما يجعلها صالحة للحياة .

* اعتبار الإنسان زوجًا ورب أسرة مسئولاً عنها وعن استقرارها وسعادتها، وهذه الدائرة مركزها الأسرة ، وما يحفظ عليها حياتها فى نفسها، ويحفظ الصلة التى تربط بين أفرادها دون مساس بحقوق كل منهم، ودون تعرض الأسرة لما قد يقضى على حياتها أو ينغِّص عليها معيشتها ، وفى ذلك يستلزم نوعًا من التضحية من جانب كل فرد فى الأسرة لصالح الأسرة نفسها ككل .

* اعتبار الإنسان عضوًا فى جماعة يحس بإحساسها ويؤمن بانتسابه إليها ، وهذه الدائرة مركزها الجماعة التى تنتسب الأسرة إليها ، والجماعة بالنسبة للأسرة التى تتكون منها كالأسرة بالنسبة لأفرادها ، فنوع الحياة التى تحياها الأسرة موقوف على نوع الحياة التى تحياها الجماعة ككل ، مع مراعاة ما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات لا عن كراهية وخوف ولكن عن رضا وحب، وفى ذلك تتسع التضحية فى سبيل الجماعة .

والناس الذين فطروا على حب الخير ، وألفوا ممارسة الفضائل عن الرذائل، هم الذين تصفو نفوسهم ، وتطهر قلوبهم ، وتطوع جوارحهم ، وتخلص جبلتهم من شوائب الشر ، فيسمون بكل كمالاتهم عن ارتكاب خطيئة ، أو اقتراف جريرة ، أو دنو من الفواحش والآثام ، وهؤلاء هم المصطفون الأخيار عند الخالق البارئ كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحجرات (3) :

« . . . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ»

أما الناس الذين فسدت فطرتهم ، وتعودوا على حب الشر ، والميل إلى ارتكاب الرذائل ، والتنكر للخيرات ، والتَّجهُّم للفضائل ، هم الذين خالط الهوى نفوسهم ، وسيطر الشيطان بهواجسه على قلوبهم ، وطغى الغرور على تصرفات جوارحهم ، فأغراهم بالشرور والآثام ، وحضهم على الطغيان والعناد، فهؤلاء هم الضالون الأشرار عند الخالق البارئ ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الجاثية (23):

« أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»

فالمسلم يعلم إن متاع الدنيا ونعيمها ليس غاية من غايات الوجود ، فلا يجب أن يعيش فى دنياه باحثًا عن اللذات وغارقًا فى الشهوات ، بل عليه أن يقيد نفسه فى استمتاعه بالحياة بقيدين هما الحلال والاعتدال . فلا يظلم نفسه بانتهاك الحرمات ، ولا يعتدى بالخروج إلى حد الإسراف ؛ بل يلتزم بما رسمه المنهج الربانى له من الطريق الوسط فى دنياه وفى سلوكه فيها ، وفى تمتعه بها، فخير الأمور الوسط كما قال الرسول ﷺ .

والمؤمن الحق هو من يقوم على حراسة نفسه من الوقوع فى المعصية. فإذا غلبه هواه ، ثم زلَّ زِلَّة ، فإنه يجد له مخرجًا من هذا البلاء بالتوبة إلى الله تعالى، حيث يكون الدواء والشفاء . والإسلام لا ينكر على الناس أن تقع منهم الزلاَّت والسَّقطات لأنهم بشر ، ولكن يجب أن يكون مع الذنب خوف وندم ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة آل عمران (135) :

«وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»

فمن شأن الإنسان العاقل أن يطلب النجاة من أهوال النار التى صوَّرها القرآن الكريم فى صورة مخيفة مفزعة ، ترعد من هولها السموات والأرض ، والسلامة من الوقوع فيها ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة آل عمران (185):

« . . . فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ . . .»

فالإسلام قد جعل للمؤمنين وسائل عديدة للأمان من النار ، والنجاة من الوقوع فيها ، وهى على النحو التالى :

* دوام اتباع المنهج الربانى فى إطاعة الأوامر واجتناب النواهى للوقاية من الخطأ والزلل ، ويكون ذلك مصاحبًا بالعمل الصالح دنيويًّا واجتماعيًّا وغريزيًّا ، فى ظل الإيمان الصادق بالله تعالى ، مع التنويه إلى قول الله تعالى أن الحسنة بعشر أمثالها ، وأن السيئة بسيئة .

* دوام التعوذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم ، بالالتجاء إلى الله تعالى، لأن العياذ بالله تعالى هو الملجأ ، فيتحصن به عز وجل ، ويطمع فى رحمة الله تعالى الواسعة ، فرحمته وسعت كل شيء .

* دوام الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والترك بالجوارح ، والعزم على اللاعودة إلى المعاصى ، وهذه هى التوبة النصوح التى هى عهد وميثاق بين العبد وربه ، فمن المسلم التوبة ، ومن الرب الصفح .

فليتب الناس توبة نصوحا ، وليتق الله تعالى فيهم ، فإن دار الدنيا هى دار ممر وليست دار مقر ، وهى دار عمل وليست دار بقاء ، ولابد من الارتحال عنها يومًا ما ، فليعد الإنسان نفسه لهذا اليوم .

مراتب الطهارة الباطنة :

الطهارة الباطنة شعيرة من شعائر العبادة التى فرضها الله تعالى على عباده ، وهى أصل الفطرة الربانية فى كل تصرف وحركة وقول وعمل يقوم به المسلم . فهى طاعات ونواهٍ تستوجب من المسلم أن يعتنى عناية فائقة بأحكامها وشرائعها التى تمكنه من الاستيعاب الكامل للمنهج الربانى ، حتى يقى نفسه الزلل والخطأ فى أعظم غاية يقوم بها فى حياته الدنيا ، ألا وهى عبادة الخالق البارئ على وجه شرعى صحيح .

والطهارة الباطنة بمفهومها الواسع ، وبما تحمله من معانٍ سامية ، تشمل ثلاث مراتب وهى : طهارة الجوارح ، وطهارة القلب ، وطهارة السِّر . ويمكن تفصيلها على النحو التالى :

طهارة الجوارح. هى التخلِّى عن الجرائم الآثمة والموبقات المحرمة التى تدنِّس جوارح الإنسان ، وذلك عن طريق مراقبة الله تعالى فى الأعمال الدنيوية بإطاعة أوامره واجتناب نواهيه فى مجالات التعامل والعمل والمال واللهو وغيرها ؛ وفى الأعمال الاجتماعية بإطاعة أوامره واجتناب نواهيه فى مجالات

الأنفس والأسرة والمجتمع والأنساب وغيرها ؛ والأعمال الغريزية بإطاعة أوامره واجتناب نواهيه فى مجالات الجنس والزواج والفرج والبطن وغيرها .

طهارة القلب. هى التخلِّى عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة التى تدنِّس قلب الإنسان وتلوثه وتضعفه وتميته إذا تراكمت عليه ، وذلك عن طريق مراقبة الله تعالى فى التمسك بمكارم الأخلاق الربانية والنبوية والإنسانية ، ونبذ رذائل الأخلاق الربانية والنبوية والإنسانية . وكذا عمارة القلب بالإيمان الصادق ، والعقائد المشروعة .

طهارة السّر. هى التخلِّى عن المعاصى المنكرة والنوازع الفاحشة التى تدنِّس النفس البشرية ، وذلك عن طريق الارتقاء بوجدان وأحاسيس النفس إلى أعلى درجات الإيمان بالله تعالى التى لا يرقى إليها إلا من قتل دنياه وأحيا آخرته ؛ والإدراك الكامل فى كونه عبدًا خالصًا لله تعالى بكل كيانه وأعماله وأقواله ؛ والامتثال إلى ما أمر الله تعالى به ، والانتهاء عما نهى ؛ والندم عما اقترف من معاصى ؛ والإقلاع عما اقترف من ذنوب ؛ والإكثار من عمل الصالحات حتى يقبل الله تعالى توبته ، ويتجاوز عن سيئاته ؛ فهذا لا يراه إلا عين الله تعالى ، وهو العليم الخبير السميع .

* * *

الباب الرابع

طهارة الجوارح

الفصل الأول : سمات الأعمال الدنيوية

الفصل الثاني : سمات الأعمال الاجتماعية

الفصل الثالث : سمات الأعمال الغريزية

الباب الرابع
طهارة الجوارح

طهارة الجوارح هى إحدى مراتب الطهارة الباطنة التى توجب على المسلم تطهير بصر عينيه ، وسمع أذنيه ، وشم أنفه ، ونطق لسانه ، وبطش يديه ، ومشى رجليه ، وغريزة بطنه ، وشهوة فرجه ، من الذنوب والآثام . ولا يتأتى هذا إلا بالالتزام الصادق بمنهج الله تعالى، وكثرة الاستغفار مع صدق النية الخالصة فى البعد عن كل ما يشتبه فى كونه من المحرمات ، والتوبة النصوح ، فهى عهد وميثاق بين العبد وربه ، فمن العبد التوبة ، ومن المعبود الصفح .

وقد تحدث القرآن الكريم عن الجوارح التى وهبها الله تعالى للإنسان ، بحيث تقوم كل منها بوظائفها ، لاستخدامها فى الدفاع عن حياته ومعيشته ، والبقاء على نوعه وجنسه ، والمحافظة على نفسه وأسرته ، والتعامل مع ربه وجماعته .

فقد أنعم الله تعالى على الإنسان بعينين ليبصر بهما . وحاسة البصر لما لها من أهمية كبيرة فى حياة الإنسان ، وجب على المسلم أن يحرص على طهارتهما ، بأن يوجه بصره الوجهة السليمة التى تبعده عن الخطايا ، فعن الرسول ﷺ عندما سئل عن حق الطريق أنه قال : «... غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر» [أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد]، وعندما سئل عن نظر الفجأة، قال : «اصرف بصرك» [أخرجه أبو داود وأحمد والدارمى]. وهكذا فإن المسلم إن لم يطهر بصره بتجنبه السيئات من الرؤى فإنه يأثم . ويأتى البصر يوم القيامة شاهدًا على صاحبه بما زجَّ به إليه من خطايا .

مما لا يستطيع الإنسان أن ينكره ، ومما يكون مصيره جهنم وبئس المصير ؛ وشاهدًا له بما وجهه الوجهة السليمة .

وأنعم الله تعالى على الإنسان بأذنين ليسمع بهما . ولما كانت حاسة السمع ذات أهمية قصوى للمسلم طيلة حياته، فإنه يجب أن يحرص على طهارتهما، لأن السمع هو المدخل الذى يصل إليه كل صوت حوله فى الوجود يسمعه ، فيميز الطيب ويستجيب له ، ويميز الخبيث فينأى عنه . والمسلم العارف لحدود الله تعالى يُطهِّر سمعه بأن يجتنب الخوض فى أعراض الناس ، والتصنت على ما يشين ويحط من أقدار الناس ، كما يُجنِّب سمعه من تتبع العورات ، وسماع الغيبة والنميمة . وليعلم الإنسان أن أذنيه ستأتى يوم القيامة، مع سائر جوارحه، تشهد له أو عليه يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ لله تعالى .

كما أنعم الله تعالى على الإنسان بأنف ليشم به . وحاسة الشم ذات فائدة عظيمة للإنسان ، لما لها من فوائد جمَّة فى التمييز بين ما هو حلال وما هو حرام . والمسلم العارف لحدود الله تعالى ، يحرص على طهارة شمه ، بألا يتعمد شم الطيب من النساء الأجنبيات خشية الفتنة ، وشم الطيب أثناء الإحرام ، وشم الطيب المسروق أو المغصوب. وليعلم الإنسان أن أنفه سيأتى يوم القيامة ، مع سائر جوارحه ، تشهد له أو تشهد عليه ، ليعرف مصيره إلى الجنة أو النار .

وأنعم الله تعالى على الإنسان بلسان لينطق به . واللسان عضو خطير، لذلك وجب الحرص على طهارته ، لأن الإنسان يستطيع أن يعبر بلسانه عن رغباته وعواطفه ، ويتكلم عن مشاعره وأحاسيسه ، فإذا أحسن استخدام لسانه ، فسوف يسعد فى دنياه وآخرته ، وإذا فشل فى كبح جماحه ، فسوف يسبب فى ضياعه وهلاكه . والمسلم الذى يفرض الطهارة على سلوكياته ، يستخدم لسانه فيما يرضى الله تعالى من دوام ذكر المولى عز وجل ، ويعرف أوامر الخالق فيأتمر بها ، ويعرف نواهى البارئ فينتهى عنها . ومن نماذج اللسان التى تُشقى

صاحبها إذا مارس الفحش والفسوق والعصيان : (1) اللسان الكذوب وهو الذى يتعمد الكذب على الناس ، مما ينشر بينهم العداوة والبغضاء ؛ (2) اللسان البذىء الذى يتعود على قول الفحش ، مما يصبح سبابًا وقذافًا وهجامًا ؛ (3) اللسان النَّمام وهو الذي يمشى بين الناس بالوقيعة والدس والخراب . وشتان بين اللسان الطاهر العفيف واللسان السيئ اللعين يوم أن يشهد لصاحبه أو عليه يوم القيامة

وأنعم الله تعالى على الإنسان بيدين يبطش بهما . وحاسة البطش لا تقل طهارة عن سائر الجوارح ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» [أخرجه البخارى ومسلم]. فالمسلم العارف لحدود الله تعالى، يجب أن تكون يداه عفيفتين، لا يمدهما إلى حرام يغضب الله تعالى ، بل إلى حلال طيب يرضى عنه الرسول ﷺ. كما عليه أن يمد يديه ليساعد ضعيفًا أو كفيفًا أو مظلومًا، وأن يجير بيديه مستجيرًا ، وأن يمد يديه عونًا لجار أو لذى قربى ، وأن يرفع يديه لنصرة الإسلام، وأن يتصدق بيديه ابتغاء مرضاة الله تعالى . وتأتى اليدان يوم القيامة شاهدتين على صاحبهما أو له ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا.

وقد أنعم الله تعالى على الإنسان برجلين يمشى بهما . وحاسة المشى لما لها من أهمية كبرى فى حياة الإنسان ، وجب على المسلم أن يحرص على طهارتهما ، بالسعى إلى طريق الله تعالى ، كارتياد مجالس الخير . أما المسلم الذى لا يعرف حدود الله تعالى ، فإنه يمشى برجليه فى الطريق الذى يؤدى إلى الإضرار بمسلم أو جلب الأذى له ، أو يمشى بهما نحو منكر حرمه الله تعالى مثل حانات الفسق والمجون وأماكن الدعارة والفواحش ، أو يمشى بهما إلى خيانة أو سرقة أو ضياع حق مسلم . وليعلم الإنسان أن رجليه ستأتيان يوم القيامة ، مع سائر جوارحه ، لتشهدا عليه أو له ، والأمر يومئذ لله تعالى .

كما أنعم الله تعالى على الإنسان بفرج لإشباع شهوته الجنسية . ولما كانت الغريزة الجنسية ذات أهمية قصوى لبقاء النوع ، وجب على المسلم أن يحرص على طهارة فرجه من كل حرام وصيانته من كل إثم ، ويبعد به عن كل

ما يغضب الله تعالى . فالمسلم مطالب بألا يضع نطفته فى غير ما أحل الله تعالى له حتى لا يقع فى جريمة زنا ، فيبوء بغضب من الله تعالى وشديد عقابه. من أجل هذا وجب على المسلم رجلاً كان أو امرأة أن يحافظا على طهارة فرجهما ؛ ليكونا من ورثة الفردوس الفائزين برضاء الله تعالى ورضوانه . وليعلم الإنسان أن فرجه سيأتى يوم القيامة مع سائر جوارحه ، يشهد له أو عليه .

كما أنعم الله تعالى على الإنسان ببطن لتخزين الطاقة التى تحركه والبطن عضو هام بجسد الإنسان . فإذا شاء الله تعالى أن تكون البطن طاهرة نقية ، كان صاحبها سعيدًا فى الدنيا والآخرة ، وإن شاء له غير ذلك ، فلا يلومن إلا نفسه . فالإنسان يجب أن يأكل ويشرب حتى يحيا ويمارس دوره الذى خلقه الله تعالى من أجله فى الحياة الدنيا . والمسلم الذى يخشى الله تعالى ، لا يلقى فى بطنه من الطعام والشراب إلا ما أحل الله تعالى له من الطيبات والنعم التى خلقها وسخرها الخالق البارئ لعباده . وحرم الله تعالى أكل الحرام ، فينبت لحمه من الحرام ، ولا يكون مصيره غير النار . كما حرم الله تعالى أكل مال اليتيم. والمسلم العارف لحدود الله تعالى ، يجب أن يطهر بطنه من كل منكر أو سيئ ، ولا يجب أن يأكل كثيرًا حتى لا يصاب بالتخمة ، فيكسًل عن العبادة والسعى لذكر الله تعالى ، وليعلم الإنسان أن بطنه ستأتى يوم القيامة مع سائر جوارحه ، تشهد عليه يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا ، والأمر يومئذٍ لله تعالى .

* * *

جوارح الإنسان تنقاد إلى طاعة الله تعالى ، ولا تنطق إلا باسمه ، ولا تسبِّح إلا لذاته ، ولا تعمل إلا لمرضاته . وقد سخر الله تعالى هذه الجوارح لإرادة الإنسان فى حياته الدنيا لتطيع أوامره سواء بإتيان الطاعات أو بارتكاب المحرمات . ولكن تأتى هذه الجوارح لتكون شاهدة على صاحبها يوم القيامة بما دفعه إليها من فسق ، وما زجَّ به إليها من خطايا ، مما لا يستطيع إنكاره ، ومما تؤدى به إلى جهنم وبئس المصير . يقول الله تعالى فى سورة النور (24) :

«يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون».

فالعينان سخرهما الله تعالى لإرادة صاحبهما ، فهما تطيعانه إذا أراد أن يتأمل فى آيات الله تعالى فى كونه ، أو ينظر إلى ما حرمه الله تعالى ؛ واللسان يطيعه فى النطق بالصدق أو الكذب ، أو الشهادة بالحق أو بالزور ، أو التفوه بالكلمة الطيبة أو الكلمة الخبيثة ؛ والأنف يطيعه إذا أراد أن يشم ما حلّله الخالق، أو يشم ما حرَّمه البارئ ؛ واليدان تطيعانه إذا أراد أن يساعد بهما عاجزًا على عبور الطريق ، أو يعتدى بهما على ضعيف ، والقدمان تطيعانه إذا أراد الذهاب إلى أماكن العبادة ، أو إذا أراد الذهاب إلى أماكن الفجور . والفرج يطيع صاحبه إذا أراد أن يصونه عما يغضب الله تعالى ، أو يطيعه فى ارتكاب جريمة الزنا مما يخلط الأنساب ؛ والبطن تطيع صاحبها فى أكل وشرب ما أحل الله تعالى له من الطيبات ، أو يلقى فى بطنه المحرمات من الطعام والشراب .

وخطورة الجوارح على الإنسان شديدة إن لم يسيطر عليها ويوجهها الوجهة القرآنية التى تبعده عن الخطايا . فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مُدرِكٌ ذلك لا محالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليدان زناهما البطش ، والرجلان زناهما الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ويُصدق ذلك الفرج ويُكذبه» [رواه مسلم وأحمد واللفظ لمسلم]. ويمكن أن نسرد ملخصًا لطهارة الجوارح على النحو التالى :

* المسلم طاهر الأذنين يجعل أذنيه أداة طاهرة عفيفة ، فيستخدمهما فيما يفيده فى حياته من خير وينأى عن سماع الخبيث .

* المسلم طاهر العينين يجعل عينيه أداة طاهرة عفيفة ، فيستخدمهما في النظر إلى ما هو محلّل له ، ويبعد نظره عن السيئات من الرؤى .

* المسلم طاهر اللسان يجعل من لسانه أداة طاهرة عفيفة ، فيستعمله فى طاعة الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فإذا أحسن المسلم

استخدام لسانه، فسوف يسعد فى الدنيا والآخرة . أما إذا لم يستطع كبح جماحه، فإنه يستسلم فى النهاية إلى الضياع والهلاك .

* المسلم طاهر الأنف يجعل من أنفه أداة طاهرة عفيفة، فيستخدمها في التمييز بين الحلال والحرام ، وبين الخبيث والطيب .

* المسلم طاهر اليدين يجعل يديه أداة طاهرة عفيفة، فيمدهما إلى كل ما هو حلال طيب يرضى الله تعالى ورسوله ﷺ ، ويبعدهما عما هو حرام يغضب الله تعالى.

* المسلم طاهر الرجلين يجعل رجليه أداة طاهرة عفيفة، فيسعى بهما فى طريق الخير والطاعة ، ويبعدهما عن السعى فى طريق الشر والعصيان .

* المسلم طاهر القلب يجعل قلبه أداة طاهرة عفيفة، فيعمره بالإيمان القوى ، فتتكشف له الأمور ، ويصبح قدوة طيبة بين الناس .

* المسلم طاهر البطن يجعل بطنه أداة طاهرة عفيفة، فيملأ بطنه من الحلال ، ولا يأكل من الحرام .

* المسلم طاهر الفرج يجعل فرجه أداة طاهرة عفيفة، فيحفظه من كل حرام، ويصونه من كل إثم .

فإذا تحقق للمسلم تطهير جوارحه ، بعد أن يكون قد طهر بدنه وثوبه ومكان صلاته ، وراض نشاطاته الدنيوية والاجتماعية والغريزية لأوامر الله تعالى والرسول ﷺ ، وكان قرآنيا محمديًا فى كل معاملاته وسلوكه اليومى ، فإنه بهذا يكون خير مثال لما أراد الله تعالى بشريعة الطهارة . ونقدم فى الفصول التالية طهارة الجوارح من خلال سمات الأعمال الدنيوية ، وسمات الأعمال الاجتماعية ، وسمات الأعمال الغريزية .

* * *

الفصل الأول : سمات الأعمال الدنيوية

من مظاهر الحياة على الأرض ، التعبير الصادق عن قيمة العمل فى المجالات الدنيوية ، والتفسير الناطق بحكمة الخالق فى تزويد الإنسان بالعقل البشرى الذي يمكنه من استخلاف الله تعالى فى هذه الأرض لعمارتها . ولن يتأتى هذا إلا إذا شعر الفرد . بالحاجة دائمًا ، وقد شاء الله تعالى لحكمة بالغة أن يكون الإنسان ، بفطرته المركوزة فى كيانه ، نزاعاً إلى المزيد من المتطلبات والاحتياجات ، لا يقنع ولا يشبع ما دام يحيا ويعيش ، فهو يقضى حياته فى حركة دائبة ، وعمل متصل ، وأمل منشود . فإن شعور الإنسان بالحاجات المتجددة والمتزايدة هو الذى حرَّكه قبلاً ، ويحرِّكه حاليًا ، وسيحركه مستقبلاً إلى العمل على إشباعها .

ومن عجيب صنع الله تعالى فى الإنسان أن يكون شعوره الدائم بالحاجة هو سرُّ قوته ودأبه على العمل . فشعور الإنسان بالحاجة إلى الغذاء والكساء والمأوى دفعه إلى تعمير الأرض ، ويتطلب هذا من الإنسان عملاً دائبًا ، وسعيًا موصولاً. والحياة تقاس قيمتها بمقدار ما يعمله الإنسان فيها، فإذا أهمل مواهبه، وعطَّل قواه ، وأغفل واجبه ، فهو يعتبر ممن عناهم الرسول ﷺ فى قوله: «وإن قومًا غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحن نحسن الظن وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

وقد وسع الإسلام مجال العمل ، ومد أنظار المسلمين إلى الحياة الآخرة، ليكون عملهم فى الحياة الدنيا نافعًا لهم فى الآخرة. ولا يتأتى ذلك إلا بالإيمان بالله تعالى والعمل على هداه ، فهما طريق النصر والحياة الطيبة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الرعد (29) :

«الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَاب»

فالعمل المنفصل عن الإيمان بالله تعالى كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف.

والمسلم الطاهر ــ سواء أكان زارعًا فى حقله أو صانعًا في مصنعه ، أو تاجرًا فى متجره، أو موظفًا فى مكتبه، أو مهنيًّا فى مكتبه، أو حرفيًا فى ورشته ــ يستطيع أن يجعل من عمله المعيشى جهادًا فى سبيل الله تعالى ، بشرط أن يكون العمل : مشروعًا فى نظر الإسلام ، ومصحوبًا بالنية الخالصة ، ومُؤدًّى بإتقان ، وملتزمًا فيه حدود الله تعالى ، وغير شاغل عن الواجبات الدينية . فعندما مرَّ على بعض الصحابة رجل يعمل بجلد وهمة ونشاط فاستفسروا عما إذا كان هذا فى سبيل الله تعالى ، أجاب الرسول ﷺ بقوله : «إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه فهو فى سبيل الله ، وإن كان يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان».

وبهذا يعيش المسلم الطاهر مجتمعه ينبوعًا يفيض بالخير والرحمة ، ويتدفق بالنفع والبركة ، يقول الحق ويدعو إليه ، ويبذل المعروف ويدل عليه ، فهو مفتاح للخير ، مغلاق للشر . والله تعالى وحده هو المشرع الحاكم لخلقه ، لأن الكون كله مملكته ، والبشر جميعًا عباده ، وهو الآمر بالطاعات ، والناهى عن المعاصى، وهو المشرِّع للحلال، والمحرِّم للحرام، بمقتضى ربوبيته، وألوهيته، فهو رب الناس ملك الناس ، إله الناس .

وسنقدم موضوع هذا الفصل على أسس مقتبسة من منهج القرآن الكريم للأخذ بأفراد المجتمع الإسلامى إلى القيم التربوية الإسلامية ، حيث سنتناول سمات الأعمال الدنيوية المباحة والمحرمة فى الإسلام ، طبقا للجدول رقم (12) :

جدول رقم (12) : سمات الأعمال الدنيوية

مباحات الأعمال الدنيوية	محرمات المعاملات الدنيوية
آداب المعاملات فى الإسلام	**حرمة المعاملات فى الإسلام**
★ سمة التعامل بالصدق والأمانة	★ سمة التخلى عن التطفيف فى الميزان
★ سمة التعامل بالتنافس الشريف	★ سمة التخلى عن الاحتكار للسلع
★ سمة التعامل بالوساطة المشروعة	★ سمة التخلى عن الغش والخداع
★ سمة التعامل بالشراكة العادلة	★ سمة التخلى عن الحلف الكاذب
آداب العمل فى الإسلام	**حرمة العمل فى الإسلام**
★ سمة العمل فى الزراعات المشروعة	★ سمة التخلى عن الزراعات المنكرة
★ سمة العمل فى الصناعات المشروعة	★ سمة التخلى عن الصناعات المنكرة
★ سمة العمل فى التجارة المشروعة	★ سمة التخلى عن التجارة المنكرة
★ سمة العمل فى الوظائف المشروعة	★ سمة التخلى عن الوظائف المنكرة
آداب المال فى الإسلام	**حرمة المال فى الإسلام**
★ سمة الحق فى التملك الشخصى	★ سمة التخلى عن الربا الفاحش
★ سمة الحق فى الانتفاع بالملك	★ سمة التخلى عن الاعتداء على الملكية
★ سمة الحق فى السعى للتملك	★ سمة التخلى عن التكديس للثروات
★ سمة الحق فى الاستثمار المالى	★ سمة التخلى عن الرشوة للمسئولين
آداب اللهو فى الإسلام	**حرمة اللهو فى الإسلام**
★ سمة الممارسة للرياضة البدنية	★ سمة التخلى عن الخمر والميسر
★ سمة الممارسة للرياضة الذهنية	★ سمة التخلى عن اليانصيب الخيرى
★ سمة الممارسة للصيد المشروع	★ سمة التخلى عن الصيد الممنوع
★ سمة الممارسة للفنون المشروعة	★ سمة التخلى عن الفنون الجنسية

مباحات الأعمال الدنيوية

الأعمال الدنيوية المباحة مجالاتها عديدة ، ولكن سنكتفى بتقديم سمات المباحات فى مجال المعاملات والعمل والمال واللهو فقط.

آداب المعاملات فى الإسلام :

خلق الله تعالى البشر ، بحيث إن كل فرد ليس عنده اكتفاء ذاتى فيما يتطلبه لمعيشته وعمله . فهو يمكن أن يستغنى عن بعض ما يملكه للآخرين ، ويحتاج إلى بعض ما يستغنى عنه الآخرون . فألهمهم الله تعالى إلى تبادل السلع والخدمات بالبيع والشراء ، حتى تستقيم حياة البشر . ويمكن سرد بعض المباحات فى مجال المعاملات على النحو التالى :

سمة التعامل بالصدق والأمانة . المسلم طاهر الجوارح يتاجر بصدق وأمانة، فصدق النية ، وصدق القول ، وصدق العمل هى السبيل إلى صلاح المعاملات وحسن التجارة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأحزاب (70 و 71) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً»

وقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «التاجر الأمين الصدوق مع الشهداء يوم القيامة» [رواه ابن ماجه]، وقال : «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقيين والشهداء» [رواه الترمذى والدارمى] . وجعل التاجر الصدوق الأمين بمنزلة المجاهد والشهيد فى سبيل الله تعالى . فمن استطاع من التجار أن يبقى عامر القلب بخشية الله تعالى ، رطب اللّسان بذكر الله تعالى ، كان جديرًا أن يكون مع الذين أنعم الله تعالى عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «يا معشر التجار إن التجار يُبعثون يوم القيامة فُجارًا إلا من إتقى الله وبَّر وصدق» [رواه الترمذى وابن ماجه] .

سمة التعامل بالتنافس الشريف . المسلم طاهر الجوارح يترك السوق والسلع بأسعارها ومبادلاتها للتنافس الفطرى ، والعوامل الطبيعية دون تدخلات مفتعلة

من رجال الأعمال ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض» [رواه مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم واللفظ لمسلم]، ويضع هذا الحديث مبدأً هاما فى المجال التجارى وهو حرية السوق، بحيث يعتمد على سياسة العرض والطلب.

سمة التعامل بالوساطة المشروعة. المسلم طاهر الجوارح يكون واضحًا فى توسطه بين البائع والمشترى لتسهيل تبادل السلع والمنافع والخدمات لهما. والوساطة التجارية ، وهى التى تعرف فى هذا العصر بالسمسرة ، أصبحت تؤدى دورًا هامًا فى عقد الاتفاقات التجارية من عمليات الاستيراد والتصدير ، وتجارة الجملة والتجزئة. ويشترط فى ذلك أمران : أولهما هو ألا يخدع السمسار أحد المتعاقدين لحساب الآخر ، أو لحساب نفسه ؛ وثانيهما هو أن يأخذ السمسار من الأجر ما يكافئ جهده ، دون غبن أو استغلال ، لحاجة الناس أو طيبتهم . وعادة ما يحصل السمسار على أجره عمولة معينة أو نسبة محدودة .

سمة التعامل بالشراكة العادلة . المسلم طاهر الجوارح يعمل طبقًا للشريعة الإسلامية فى حالة تعاقد طرفين فى مشروعات كبيرة : طرف لديه المال وينقصه الوقت أو القدرة على استثمار هذا المال ، وطرف من ذوى الدراية والكفاية والخبرة ويفتقد رأس المال المطلوب لاستغلال هذه المشروعات . فالشريعة الإسلامية لا تمانع أن يتعاون رأس المال مع أصحاب الخبرة ، أو المال مع العمل على أساس عادل فى عمليات تعرف بالمضاربة أو القراض . ففى هذه المشروعات ، يشترك كل من الطرفين المتعاقدين فى الربح والخسارة ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «يد الله على الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فإذا خان أحدهما صاحبه رفعها عنهما» . ويروى الرسول ﷺ عن ربه عزّ وجل : «أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خان أحدهما صاحبه خرجت من بينهما» [رواه أبو داود فى كتاب البيوع].

آداب العمل فى الإسلام :

هيأ الله تعالى الأرض وسخرها ذلولاً للإنسان ، فينبغى أن يسعى ليبتغى من فضل الخالق ، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة الملك (15) :

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»

فيجب على المسلم أن ينشط فى طلب الرزق . ويؤكد الرسول ﷺ أن الكرامة والمروءة تجدهما فى العمل أو المهنة أو الحرفة أو الوظيفة ما دامت لا تقوم على حرام ، ولا تعين على حرام ، ولا تقترن بحرام ، وأن الهوان هو فى الاعتماد على معونة الناس . فعن الرسول ﷺ أنه قال : «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس ، أعطوه أو منعوه» [أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم واللفظ للبخارى]. لذلك فقد حرم الرسول ﷺ أن يلجأ المسلم إلى سؤال الناس ، فيريق ماء وجهه ، ويخدش مروءته ، ويمتهن كرامته ، مصداقًا لقوله ﷺ : «الذى يسأل من غير حاجة كمثل الذى يلتقط الجمر» ، فلا يحلُّ للمسلم أن يعتمد على الصدقات من الآخرين ، وعليه ألا يكسِّل فى طلب الرزق ، بحجة التفرغ للعبادة ، ويمكن سرد بعض المباحات فى مجال العمل على النحو التالى :

سعة العمل فى الزراعات المشروعة . المسلم طاهر الجوارح إذا رغب فى العمل بالزراعة ، فإنه يعمل فى حقله أو حقل غيره بنية خالصة ، يزرع الأرض فيغرس البذور، ويرويها بالماء ، ويرعاها حتى تنمو ، ثم يجنى ثمرة مجهوده من المحاصيل والثمار. فقد هيأ الله تعالى الأرض للإنبات فجعلها ذلولاً ، وجعلها بساطًا ، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة نوح (19 و 20) :

«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا»

وقد يسَّر الله تعالى الماء ، فيحيى به الأرض بعد موتها ، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة الأنعام (99) :

« وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا . . . »

كما يرسل الله تعالى الرياح مبشرات ، فتشق السحاب ، وتلقِّح النبات ، مصداقًا لقول الله تعالى فى سورة الحجر (22) :

«وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ»

وتدل هذه الآيات القرآنية الكريمة على أن الزراعة نعمة للإنسان ، فقد يسَّر الله تعالى جميع وسائل الزراعة لعباده ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا ، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»، [رواه البخارى ومسلم وغيرهما واللفظ للبخارى] ويعنى ذلك أن الثواب مستمر ما دام الغرس أو الزرع مأكولاً منه ، أو منتفعًا به.

سمة العمل فى الصناعات المشروعة . المسلم طاهر الجوارح إذا رغب فى العمل بالصناعة ، فإنه يعمل فى المصانع بنية خالصة ، ينتج السلع الضرورية من مختلف الخامات ، فيقول الله تعالى عن قيمة الحديد فى سورة الحديد (25) :

«... وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ...»

فالصناعات المختلفة تسد حاجة المجتمع ، وتجلب له النفع . وقد أشار القرآن الكريم إلى كثير من الصناعات ، مؤكدًا أنها نعمة من فضله عز وجل ، كما يفهم من قول الله تعالى عن داوود وصناعة الحديد فى سورة سبأ (11) ، وفى سورة الأنبياء (80) ؛ وقول الله تعالى عن سليمان وعمل المحاريب والتماثيل فى سورة سبأ (13)؛ وقول الله تعالى عن ذى القرنين وإقامة سده العالى فى سورة الكهف (97)؛ وقول الله تعالى عن نوح وصناعة سفينته فى سورة هود (37) . أما عن الحرف ، فقد شجع الإسلام على القيام بالحرف الشريفة التى يحتاج إليها الناس فى معيشتهم

كالسباكة ، والنجارة ، والحدادة ، والخياطة ، وغيرها كحرف الصيد بكل صوره وأنواعه من صيد الحيوانات البحرية والبرية ، وحرفة الغوص لاستخراج الجواهر الكريمة . وقد مجَّد الإسلام حرفة رعى الأغنام التي كان الناس ينظرون إلى شاغليها نظرة فيها كثير من الازدراء والتحقير. فقد كان الرسول ﷺ يرعى الغنم التى لم تكن ملكه نظير أجر معين . وما من نبى إلا وقد عمل فى حرفة من الحرف، فموسى كان يعمل راعيًا أجيرًا ، وآدم كان حرَّاثًا ، ونوح كان نجارًا ، وإدريس كان خياطًا ، وداوود كان يأكل من عمل يده .

سمة العمل فى التجارة المشروعة. المسلم طاهر الجوارح إذا رغب العمل بالتجارة، فإنه يكتسب عيشه من النشاط التجارى. فقد دعا القرآن الكريم والسنة الشريفة إلى العمل بالتجارة والعناية بها ، وقرن الضاربين فى الأرض للتجارة بالمجاهدين فى سبيل الله تعالى ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المزمل (20):

« . . . وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يبتغون مِن فضلِ الله . . . »

وأغرى بالر‍ـ ـل عبر المحيطات بالسفن مـن أجل التجـارة ، كما يفهم من قـول الله تعالى فى سورة فاطر (12) :

« . . . وترَى الْفُلْكَ فيه موَاخر لِتَبتغُوا من فضْله ولعلَّكُمْ تَشكُرُون»

وهيأ للمسلمين فرصة للتبادل التجارى على نطاق واسع فى كل عام خلال موسم الحج ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحج (27 و 28) :

«وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وعَلَىٰ كُلِّ ضامرٍ يأتينَ من كُلِّ فجٍ عميقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ . . . »

وقد امتدح الله تعالى رواد المساجد المسبحين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى ، فأعمالهم الدنيوية لا تشغلهم عن واجباتهم الدينية . ومما هو جدير بالذكر ، أن الرسول ﷺ كان يتاجر لزوجته السيدة خديجة رضى الله عنها، وظل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يتاجر حتى يوم مبايعته للخلافة .

سمة العمل فى الوظائف المشروعة. المسلم طاهر الجوارح إذا رغب العمل فى إحدى الوظائف العامة أو الخاصة ، فإنه يكسب رزقه عن طريق الوظيفة بنية خالصة ، ما دام قادرًا على تحمل تبعات عمله ، وأداء واجباته . وتجدر الإشارة إلى أن المسلم لا يجوز له أن يرشح نفسه لعمل ليس أهلاً له ، وخاصة إذا كان فى المناصب الحساسه كمناصب الحكم والقضاء . بقول الرسول ﷺ فى أمر القضاة : «القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة ، واثنان فى النار ، فأما الذى فى الجنة ، فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ، ورجل قضى للناس علي جهل فهو فى النار» [رواه أبو داود وابن ماجه والترمدى و للفظ لأبى داود].

وقد قصَّ علينا القرآن الكريم قصة يوسف وقوله للملك ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة يوسف (55) :

«قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ»

فهذا هو أدب القرآن الكريم فى طلب الوظائف الحساسة .

آداب المال فى الإسلام :

حرص الله تعالى على أن يكتسب المسلم من الطرق المشروعة ، لتكون ملكية المال الذى يحصل عليه حلالاً . فالمال الحلال طيب ، والملكية فى المال مجرد استخلاف لا يخرج به المستخلف وهو العبد عن طاعة المستخلف وهو المعبود ، فلا يحق له أن ينفق شيئًا منه فى غير ما شرعه الله تعالى . فهذا المال هو خير وفضل من الخالق البارئ، وتتوارد نصوص القرآن الكريم على أن المال هو ملك لله تعالى لا ينازعه فيه أحد ، وهذه الملكية هى لتحقيق غرضين ضروريين هما : نفى الغرور عن قلوب الناس حين يحوزون الأموال ، ويسعون وراء الثروات ؛ وإلزام الناس بالتقيد بقوانين الشريعة الإسلامية فى التملك . ويمكن سرد بعض المباحات فى مجال المال على النحو التالى :

سمة الحق فى التملك الشخصى. المسلم طاهر الجوارح يعتبر المال ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة من وسائل تبادل المنافع ، وقضاء الحوائج ، فمن

استعمله فى هذا السبيل ، كان المال فى يده خيرًا له ولمجتمعه ؛ ومن استعمله على أنه غاية ولذَّة ، انقلب إلى شهوة تُورِّث صاحبه المهالك ، وتفتح على الناس أبوابًا من الفساد . وقد عبَّر القرآن الكريم عن المال بالخير ، إشارة إلى هذا المبدأ من مبادئ التملك ، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (180) :

«كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِين بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ»

فالمراد بالخير هنا هو المال الذى وجب الحصول عليه واستعماله فى طريق الخير ، فإذا جمع المال من الطريق المشروع ، وأنفق منه صاحبه بالاعتدال ، كان ما بقى منه فى يد صاحبه مصونًا تحميه الدولة وقوانينها ، وعلى المجتمع أن يحترم ملكيته لذلك المال ، فالملكية المشروعة مصونة .

سمة الحق فى الإنتفاع بالملك. المسلم طاهر الجوارح يتصرف بتعقل فى ملكه على حسب ما تقتضيه مصلحته الشخصية ، بشرط ألا يؤدى هذا التصرف إلى ضرر عام أو خاص ، أو ينطوى على اعتداء على حرية الآخرين . والإسلام يحتم على المالك أن ينفق من ماله على نفسه دون إسراف أو تقتير ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأعراف (31) :

«. . . وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»

فإن بذَّر وأخذ فى تبديد ثروته على أهوائه وملذاته بما ينكره الشرع والعقل ، وجب الحجر عليه لأنه سفيه . والحجر هو منع الدولة للسفيه أن يتصرف فى ماله كالعقلاء الراشدين ، وإقامة قيِّم عليه يمنعه من التصرف حتى يفىء إلى رشده ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (5) :

«وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا . . .»

فالمجتمع قيم على أموال المرء فى حالة التصرف فيه بسفاهة ، حيث إن التملك وظيفة اجتماعية فى الإسلام .

سمة الحق فى السعى للتملك. المسلم طاهر الجوارح يتملك المال بعدَّة وسائل من أهمها العمل ، فعن الرسول ﷺ أنه قال عندما سئل عن أطيب الكسب: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور» [رواه أحمد والدارمى]، فالعمل فى الإسلام شرف وواجب. والإسلام يسمح بالتملك عن طريقين هما : التملك عن طريق السعى كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النجم (39) :

«وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ»

بشرط ألا يكون فيه ظلم كالربا والميسر والاحتكار والغصب والسرقة ؛ أو غش كالتغرير فى البيع ، والكذب فى العرض ، والإخفاء للعيوب فى السلوك ؛ أو إضرار بالفرد أو المجتمع أو الدولة ؛ وكذا التملك عن طريق الهبة والإرث. وتسخير الكون للإنسان يؤدى إلى غرضين هما : أنه ليس فى الكون شىء لا يصعب على الإنسان تناوله إن أعمل عقله وعلمه ، ووجَّه همَّه وإرادته لذلك ، وما عليه إلا أنْ يجتهد فى الانتفاع منه واستثمار خيراته ؛ وكذا أنّ الناس متساوون جميعًا فى الاستفادة من خيرات الأرض والسماء التى سخرها الله تعالى دون تمييز .

سمة الحق فى الاستثمار المالى. المسلم طاهر الجوارح يشترك فى أى استثمار يجلب للفرد أو المجتمع خيرًا ، أو يدفع عنه شرًّا ، فهو بر وتقوى ، إذا توافرت النية الخالصة، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (2) :

« . . . وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ . . . »

والإسلام يبيح هذه الأعمال المشتركة بين أرباب الأموال فى نشاط من الأنشطة المشروعة ، سواء كانت زراعية أو صناعية أو تجارية أو غيرها . فعادة ما تحتاج هذه المشروعات إلى أكثر من عقل ، وأكثر من يد ، وأكثر من رأس مال. والمرء قليل بنفسه كثير بغيره . والرسول ﷺ يبارك هذه المشاركات ما دامت بعيدة عن كل ما حرمه الله تعالى من ربا وغش وجشع وخيانة بكل صورها ، قائلاً : «يد الله

على الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه فإذا خان أحدهما صاحبه رفعها عنهما» .

آداب اللهو فى الإسلام :

فطر الله تعالى الناس على قضاء بعض الوقت للعمل الصالح ليكتسب هو وأسرته منه ، وبعض الوقت للعبادة الخالصة ليشكر ربه على نعمه ، وبعض الوقت للهو البرىء ليروح عن نفسه حتى يكون أقدر على مواصلة السير فى طريق الحياة. لذلك لم يُفرض على الناس التعبد الدائم والزهد فى المتع الدنيوية . والرسول ﷺ كان مثالاً رائعًا للحياة الإنسانية المتكاملة ، فهو فى خلوته يتعبد ويطيل الخشوع ويصلى حتى تتورم قدماه ، ولكنه مع الناس يمرح ويمزح ويلهو، وكان يكره الهم والحزن وما يدفع إليهما ، ويستعيذ بالله من شرهما داعيًا الله تعالى بقوله : «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن» [من حديث رواه البخارى والترمذى والنسائى وغيرهم]. لذلك كان أصحاب الرسول ﷺ يمرحون ويلعبون ويلهون ، تلبية لنداء الفطرة ، وتمكينًا للقلوب من حقها فى اللهو البرىء لتكون أقدر على مواصلة السير فى طريق الجد . ويمكن سرد بعض المباحات فى مجال اللهو على النحو التالى :

سمة الممارسة للرياضة البدنية. المسلم طاهر الجوارح يزاول بعض الرياضيات البدنية ، إذا كانت محببة إلى نفسه ، وأمكن مزاولتها . والهدف من مزاولة المسلم للرياضة البدنية هو اكتساب القدرة على الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وإحقاق الحق ونصرته والدفاع عنه . ومن أنواع اللهو والترفيه المشروع: مسابقة العَدْو ، ومزاولة المصارعة ، وتصويب السهام بدون حيوانات ، ولعب الحراب ، ومزاولة الفروسية . فكان الصحابة يتسابقون على الأقدام ، وكان الرسول ﷺ نفسه يسابق عائشة رضى الله عنها ، مباسطة لها ، وتطييبًا لنفسها. ويحكى أن الرسول ﷺ صارع أحد الرجال وصرعه أكثر من مرة ؛ وكان يمر على أصحابه فى حلقات

الرماية أى التصويب فيشجعهم قائلاً : «ارموا وأنا معكم» ، معتبرًا أن الرمى نوع من القوة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأنفال (60):

«. . . وأعدُّوا لَهُم مَّا استَطَعتُم مِّن قُوَّةٍ . . . »

وقد نهى الرسول ﷺ عن استخدام الحيوانات فى التصويب عليها كالدواجن، وكذا التحريش بين البهائم كتناطح كبشين أو ثورين حتى يهلكا أو يهلك أحدهما . وقد أذن الرسول ﷺ للحبشة أن يلعبوا بالسهام أى بالحراب فى مسجده الشريف ، وهو يعرف حاليًا بالشيش ، كما شجع أصحابه على أداء ألعاب الفروسية والسباحة ، فقال ﷺ : «يقول إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة ــ صانعه يحتسب فى صنعته الخير والرامى به ومنبله وارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا ــ ليس من اللهو إلا ثلاث تأديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه ونبله ومن ترك الرمى بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها أو قال كفرها» [رواه أبو داود فى كتاب الجهاد وروى مثله أحمد والدارمى] . وبالقياس يجوز القيام بألعاب الكرة . بمختلف نوعياتها بشرط مراعاة العورة ، وعدم فوات وقت الصلاة، وألا يخالطها قمار ، وأن تخلو من الرفث وقول الزور والفحش من سباب وشتائم.

سمة الممارسة للرياضة الذهنية. المسلم طاهر الجوارح يزاول بعض الرياضيات الذهنية ، إذا كانت محببة إلى نفسه ، ويمكنه مزاولتها ، بشرط ألا تؤخر بسببه الصلاة عن وقتها ، وألا يخالطه قمار ، وألا يتخلله فحش . وقد اختلف الفقهاء فى حكم لعبة الشطرنج بين الإباحة والكراهة والتحريم . والأصل هو الإباحة لما فيها من رياضة ذهنية ، وتدريب للفكر ، فالمعول فى الشطرنج على الحذق والتدبير فأشبه المسابقة بالسهام . وهذا يخالف لعبة النرد أى الطاولة ، فهى محرمة على الأرجح لأن المعول فيها على الحظ فى رمى الزهر ، فأشبه الأزلام .

سمة الممارسة للصيد المشروع. المسلم طاهر الجوارح يمارس الصيد البحرى والبرى ، ويزاولها لأنها متعة ، وقد أقرها القرآن الكريم والسنة الشريفة ، حيث

أحلَّ الإسلام صيد البحر، أى صيد الأسماك وغيرها ، دون قيد أو شرط ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (96) :

«... وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ...»

أما صيد البر ، ففيه شروط منها ما يتعلق بالصائدوالصيد وطرق الصيد .

سمة الممارسة للفنون المشروعة. المسلم طاهر الجوارح يستمع إلى الموسيقى والأغانى المحببة إليه ، والتى تستريح إليها نفسه ، ويطرب لها قلبه ، وتنعم بها أذناه . ويستحب الغناء فى المناسبات السارة كالزفاف ، والولادة والأعياد ، وغيرها . وهناك شروط وقيود لابد من مراعاتها فى ممارسة أو سماع الغناء وهى : (1) عدم مخالفة موضوع الغناء لتعاليم الإسلام ؛ (2) بُعْد أداء المغنى عن الإثارة للغرائز والشهوات ؛ (3) عدم الإسراف فى هذا اللهو خوفًا من أن يطغى على وقت الواجبات كالعبادة ؛ (4) عدم اقتران الغناء بمحرمات كمجلس شرب أو قمار أو مخدرات ؛ (5) عدم مخالطة الغناء برقص مثير أو خلاعة جنسية . أما الأفلام السينمائية والروايات المسرحية فهى مباحة بحيث تراعى شروط إباحة الغناء .

محرمات الأعمال الدنيوية

الأعمال الدنيوية المحرمة مجالاتها عديدة ، ولكن سنكتفى بعرض سمات المحرمات فى مجال المعاملات والعمل والمال واللهو فقط .

حرمة المعاملات فى الإسلام :

حرَّم الله تعالى على المسلمين الإتيان ببعض أنواع المعاملات من بيع وشراء وتبادل ، مما لا يتفق مع مبادئ الشريعة الإسلامية وأهدافها وتوجيهاتها. ويمكن سرد بعض المحرمات فى مجال المعاملات على النحو التالى :

سمة التخلى عن التطفيف فى الميزان. المسلم طاهر الجوارح لا يكيل بمكيالين

، أو يزن بميزانين . فتطفيف الكيل والميزان لون من ألوان الغش فى المعاملات ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأنعام (152) :

« . . . وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا . . . »

فلا يجب على المسلم الطاهر أن يجور فى معاملاته ، وينحرف عن القسط فى الكيل والميزان ، ويبخس الناس أشياءهم .

سمة التُخلى عن الاحتكار للسلع. المسلم طاهر الجوارح لا يخزن السلعة انتظارًا لنفادها من السوق ، حتى إذا ازداد الطلب عليها ، تهافت الناس على شرائها بسعر مرتفع . فيحدث خلل فى الأسواق ، وحرمان للفقراء من الحصول على حاجاتهم الضرورية ، واختلال فى التوازن المالى بين الطبقات. فالمحتكر بعيد عن رحمة الله تعالى لأنه لا يرحم الناس . وقد أوضح الرسول ﷺ عن نفسية المحتكر وأنانيته البشعة بقوله : «بئس العبد المحتكر ، إن سمع برخص ساءه ، وإن سمع بغلاء فرح» وقوله : «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون» [رواه ابن ماجه والدارمى].

سمة التخلى عن الغش والخداع. المسلم طاهر الجوارح لا يغش ولا يخادع بأى صورة من الصور فى عمليات البيع والشراء، كأن يبيع التاجر سلعة بها عيب، ولا يظهره للمشترى. فكان السلف الصالح يظهرون ما فى البيع من عيب ولا يكتمونه، وينصحون المشترى ولا يغشونه، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «من غشنا فليس منا» [رواه مسلم وابن ماجه واحمد والدارمى]. فمن مظاهر الغش والخداع فى بيع الفواكه والخضروات، يعبئ التجار الأقفاص بالثمار المعيبة ، ثم يغطونها بصف من الثمار الجيدة، لإيهام المشترين أن الثمار المعروضة كلها جيدة، وبذلك يستفيد البائعون عن طريق الإضرار بالمشترين. من ذلك يتضح أن الإسلام حرم التغرير عند البيع ، وإخفاء العيب فى السلعة، والكذب فى تقديم السلعة.

سمة الإكثار من الحلف الكاذب. المسلم طاهر الجوارح لا يحلف بحلف كاذب، فقد نهى الرسول ﷺ عن كثرة الحلف فى المعاملات عامة ، وعن الحلف الكاذب

خاصة ، لأنه مظنَّة لتغرير المتعاملين ، وسببًا لزوال تعظيم اسم الله تعالى من القلب . فعن الرسول ﷺ أنه قال : «الحلف منفعة للسلعة مُمْحِقَة للبركة» [رواه البخارى وأبو داود]، أى مهلكة للكسب . كما ذكر الرسول ﷺ أن المنفق سلعته بالحلف الكاذب ، لا ينظر إليه الله تعالى يوم القيامة ، ولا يطهره من ذنوبه ، وله عذابٌ أليم .

حرمة العمل في الإسلام :

فرَّق الله تعالى لعباده بين الطرق المشروعة وغير المشروعة لاكتساب نفقات معيشتهم . والإسلام لا يبيح أن يكتسب الفرد المال كيفما شاء ، وبأى سبيل أراد . فالقاعدة العامة فى العمل لإكتساب المال هى : أن الطرق التى يتبادل فيها الأفراد المنفعة فيما بينهم بالتراضى والعدل تعتبر طرق مشروعة ؛ أما الطرق التى لا يحصل الفرد فيها على منفعة إلا بخسارة غيره ، فهى طرق غير مشروعة ؛ ويمكن سرد بعض المحرمات فى مجال العمل على النحو التالى :

سمة التخلى عن الزراعات الممنوعة. المسلم طاهر الجوارح إذا رغب العمل بالزراعة ، فإنه لا يزرع النباتات المحرم استخدامها أو تعاطيها، حتى ولو كان سيبيعه لغير المسلمين ، كالحشيش والأفيون والتبغ وغيرها. وقد حرم الإسلام أن يبيع المسلم محصوله من العنب مثلاً لمن سيستخدمه فى صناعة الخمور ، أو يربى الخنازير ليبيعها للمسيحيين . فالمسلم لا يروِّج الحرام أبدًا.

سمة التخلى عن الصناعات الممنوعة. المسلم طاهر الجوارح إذا رغب العمل بالصناعة أو بالحرف الصناعية ، فإنه لا يعمل فيما حرمه الإسلام ، لما فيه من أضرار بالمجتمع فى عقيدته أو فى أخلاقه أو فى أعراضه أو فى مقوماته الأدبية . لذلك يأبى الإسلام أن يعمل المسلم فى أى صناعة أو حرفة تقوم على عمل شىء حرام ، أو ترويج أمر حرام ، كصناعة الخمور ، والمخدرات ، والتماثيل . أما الحرف المحرمة فهى احتراف البغاء ، فقد كان فى الجاهلية يُفرض على الأَمَة ضريبة تؤديها لسيدها يوميا بصرف النظر عن أى طريق اكتسبتها ، فكانت تلجأ إلى

احتراف الزنا . فلما جاء الإسلام رفع عن عباده هذا الهوان ، كما يفهم من قول الله تعالى في سورة النور (33) :

« . . . ولا تُكْرِهُوا فتيَاتكُمْ عَلَى الْبغَاء إنْ أَرَدْنَ تحَصُّنًا لِّتَبْتغُوا عرض الحياة الدُّنْيا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ منْ بَعْد إكْرَاههنَّ غَفُورٌ رَّحيمٌ»

كما أنه لا يجيز الإسلام لحرَّة أولأَمَة أن تتكسَّب بفرجها ، فيقول الله تعالى في سورة الإسراء (32) :

«ولا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَساء سبيلاً»

فلم يكتف بالنهى عن الزنا ، بل نهى عن القرب منه أيضًا .

كما نهى الإسلام عن احتراف الرقص الجنسى المثير ، والغناء الخليع ، والتمثيل الماجن ، فأى عمل من هذه الأعمال التى تسمى فى هذا العصر فنًا حرام لأنه يثير الغرائز الجنسية ، ويشجع على العلاقات الجنسية المحرمة.

سمة التخلى عن التجارة الممنوعة. المسلم طاهر الجوارح إذا رغب العمل بالتجارة ، فإنه لا يعمل فى النشاط التجارى المبنى على ظلم أو غش أو استغلال أو ترويج لسلعة أو خدمة يحرمها الإسلام . فالتجارة فى المحرمات أو المنكرات هى تجارة محرمة ، وكل كسب يجىء من طريقها إنما هو خبيث . وإذا كانت التجارة فى شىء مباح ، فقد وجب على التاجر أن يكون أمينًا وصادقًا ، حتى لا يُبعث يوم القيامة فى زُمرة الفُجَّار، وإن الفُجَّار لفى جحيم . كما أن الكذب يهدى إلى الفجور، والفجور يهدى إلى النار. وحذار من كثرة الحلف عامة ، واليمين الكاذبة خاصة . فعن الرسول ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، أحدهم : المنفق سلعته بالحلف الكاذب» [من حديث رواه الترمذى ومثله رواه مسلم والنسائى وغيرهم]. فليحذر التاجر من التعامل بالغش ، ومن تطفيف الكيل والميزان ، ومن الاحتكار ، ومن الربا ، ومن بيع السلع المحرمة ، ومن شراء المنهوب والمسروق ، ومن التلاعب بالأسعار .

سمة التخلى عن الوظائف الممنوعة . المسلم طاهر الجوارح إذا رغب العمل بإحدى الوظائف العامة أو الخاصة، فإنه لا يكسب رزقه من وظيفة بها ضرر للمسلمين، أو من وظيفة من شأنها الإعانة على ظلم أو حرام ، كما فى مكاتب المرابين ، أو حانات الخمور ، أو نوادى الليل ، أو ملاهى الرقص . ولا يعفى الذين يعملون فى هذه الأماكن من الإثم ، مع أنهم لم يباشروا الحرام ولم يقترفوا الباطل. فقد لعن الرسول ﷺ كاتب الربا وشاهديه كما لعن آكله ، ولعن عاصر الخمر وساقيها كما لعن شاربها . فيجب على المسلم أن يبتعد عن مواطن الشبهات ، مهما كان فيها من كسب ثمين ، ومال وفير .

حرمة المال فى الإسلام :

حرَّم الله تعالى على المسلمين الحصول على المال بطرق غير مشروعة ، وكذا التصرف فيه فى غير ما شرَّع الله تعالى ، لأن ملكية الإنسان للمال إنما هى ملكية نسبية ناقصة ، لا ملكية حقيقية تامة . فالرزق الذي يحصل عليه من طرق غير مشروعة كالربا والسرقة والرشوة وغيرها هو مال حرام ، والمال الحرام خبيث . ويمكن سرد بعض المحرمات فى مجال المال على النحو التالى :

سمة التخلى عن الربا الفاحش. المسلم طاهر الجوارح لا يقرض آخر بالربا. فقد حرم الله تعالى الربا أشد تحريم وجعله من كبائر الإثم ، لأنه يخرب البيوت العامرة، ويشتت الأسر الكريمة ، ويورث الغل والحقد . وقد جعل الله تعالى المتعاملين بالربا فى مرتبة واحدة مع الكفار الآثمين الذين سيخلدون فى النار ، فهم مطرودون من رحمته، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (278) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»

وأعلن الرسول ﷺ حربه على الربا والمرابين ، وبين خطره على المجتمع فقال : «ما ظهر فى قوم الربا والزنا إلا أحلُّوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل» [رواه أحمد فى سند المكثرين]. ولم يقصر الإسلام جريمة الربا على آكل الربا وحده ، بل أشرك معه فى الإثم مؤكل الربا أى المستدين الذى يدفع الفائدة الربوية مقابل اقتراضه

للمال ، وكاتب عقد الربا وشاهديه ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه» [رواه البخارى ومسلم والترمذى].

سمة التخلى عن الاعتداء على الملكية. المسلم طاهر الجوارح لا يعتدى على ملكية غيره . فقد أحاط الإسلام ملكية المسلم بسياج قوى من الحماية ، وفرض عقوبات قاسية على كل معتد عليها ، وما دام الإسلام يقر ملكية الفرد المشروعة للمال ، فإنه يحميها بتشريعه القانونى ، وتوجيهه الأخلاقى من التعدى عليه غصبًا أو احتيالاً أو سرقة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (38) :

«وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ ....»

فتقرَّر عقوبة قطع اليد فى السرقة ، وجمع الرسول ﷺ بين حرمة المال ، وحرمة الدم ، وحرمة العرض فى سياق واحد ، وجعل السرقة منافية لما يوجبه الإيمان، فقال : «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» [من حديث أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما].

سمة التخلى عن التكديس للثروات . المسلم طاهر الجوارح لا يكدس المال . فالإسلام يكره تكدس الثروات فى أيد قليلة فى المجتمع ، إذ يؤدى ذلك إلى ازدياد الترف والإفساد والاستغلال ، كما يفهم من قول الله تعالى فى وجوب إعطاء الفقراء نصيبًا من الغنائم فى سورة الحشر (7) :

« ... كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ....»

فقد جعل الله تعالى فى الثروات الخاصة نصيبًا للفقراء تأخذه الدولة من تلك الثروات لتحقيق التكافل الاجتماعى ، ولذلك جاءت فريضة الزكاة ، والحض على الإنفاق فى سبيل الله تعالى ، وانتقال ملكية الأموال إلى الورثة ، إذا أدرك صاحب هذه الأموال الموت ، ويشرك قانون الإرث فى الإسلام عددًا كبيرًا من أهل الميت وأقربائه فى التركة ، مما يؤدى حتمًا إلى تفتيت الثروات مهما كانت كبيرة، وتقسيمها إلى ملكيات صغيرة . كما تنتقل التركة إلى الدولة فى حالة موت المالك عن غير وارث شرعى .

سمة التخلى عن الرشوة للمسئولين. المسلم طاهر الجوارح لا يقبل رشوة من أحد مقابل أداء عمل أو خدمة معينة له ، كما لا يرشى حاكمًا أو مسؤولاً مقابل إنهاء عملاً أو خدمة خاصة له . فالإسلام يحرم الرشوة فى أى صورة من الصور، وتسميتها بالهدية لا يخرجها من دائرة الحرام إلى دائرة الحلال ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا ، فما أخذه بعد ذلك فهو غلول» [رواه أبو داود فى كتاب الخراج والأمارة]، فرزقناه رزقًا يعنى منحناه راتبًا . كما حرم الله تعالى على الوسطاء بين العارضين للرشوة والمعروضين عليهم ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (188) :

«ولا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بينَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بها إلى الْحُكَّامِ لتَأْكُلُوا فريقًا منْ أَموال النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ»

فقد لعن الرسول ﷺ الراشى والمرتشى والرائش ، أى الوسيط .

حرمة اللهو فى الإسلام :

حرَّم الله تعالى ممارسة ألوان كثيرة من اللهو ، وفنون عديدة من الترفيه، أو الانشغال فيها ، لأنها تخالف أدب الإسلام وتعاليمه ، أو تعتمد على الحظ ، أو تخالط الفجور ، أو تعتمد على القمار ، أو تؤدى إلى التكاسل عن أداء الواجبات والعبادات ، أو تفضى إلى انزلاق اللسان بالفحش ورديء الكلام . ويمكن سرد بعض المحرمات فى مجال اللهو على النحو التالى :

سمة التخلى عن الخمر والميسر. المسلم طاهر الجوارح لا يحل له أن يجعل من لعب القمار وسيلته للهو والتسلية ، وتمضية أوقات الفراغ ، أو وسيلة لاكتساب المال ، مع العلم بأن لاعب القمار يترنح دائمًا بين الخسارة والربح . وقد حرَّم الرسول ﷺ بشدة لعب القمار قائلاً : «من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق» [رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم]. وما أصدق القرآن الكريم حين قرن الميسر بالخمر والأنصاب والأزلام ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (90 و 91) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ»

فالمقامر يمكن أن يبيع دينه وعرضه ووطنه من أجل لعب القمار، كما تغرس فيه حب المقامرة بكل شيء، حتى بشرفه وعقيدته وقومه في سبيل كسب موهوم. ومن أسباب التحريم الجازم للقمار أنه يعتمد على الحظ والصدفة، وهذا يخالف السنن الإلهية في اكتساب المال؛ ويجعل الغالب يستولي على مال المغلوب بالباطل، وهذا يخالف الشريعة في اكتساب المال؛ وينتج عنه غابن ومغلوب، وهذا يورث العداوة والبغضاء؛ ويجعل الخاسر يعاود اللعب لتعويض خسائره، وهذا يخلق الإدمان بين اللاعبين؛ ويلتهم وقت وجهد ومال المقامرين، وهذا يجعل هذه الهواية خطرًا شديدًا على المجتمع. وعادة ما تصحب الخمر مجالس القمار.

سمة التخلي عن اليانصيب الخيري. المسلم طاهر الجوارح لا يشترك في شراء أوراق اليانصيب التي تباع في الشوارع والمقاهي، كوسيلة لاكتساب المال، وكذا اليانصيب الذي تلجأ إليه الجمعيات الخيرية لجمع التبرعات لإنفاقها في الأغراض الإنسانية. وقد حرم الإسلام اليانصيب لأنه لون من ألوان القمار. والذين يستبيحون الأساليب المحرمة لجمع التبرعات، يفترضون أن أفراد المجتمع قد ماتت فيهم نوازع الخير، وبواعث الرحمة، ومعاني البر. والإسلام يؤمن بجوانب الخير في كيان الإنسان.

سمة التخلي عن الصيد الممنوع. المسلم طاهر الجوارح يمتنع عن الصيد في حالة تواجده في مكة المكرمة، وفي حالة إحرامه بالعمرة أو الحج. فالإسلام جعل من مكة المكرمة منطقة سلام وأمن لكل كائن حي يتنقل في أرجائها، أو يطير في سمائها، أو ينبت في أرضها، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «لا يصاد صيدها، ولا يقطع شجرها، ولا يختلى خلاها». والقرآن الكريم حرم على المحرم

بالحج أو العمرة القتل أو سفك الدماء ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (95) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ . . .»

لأن المعتمر أو الحاج يجب أن يكون فى مرحلة سلام كامل .

سمة التخلى عن الفنون الجنسية. المسلم طاهر الجوارح لا يشاهد ولا يحترف أى عمل من الأعمال التى تثير الغريزة الجنسية كالغناء الخليع، أو التمثيل الماجن ، أو الرقص الجنسى ، لأنه يساعد على التحريض على الفسق، والإغراء بالفجور ، فكل ذلك من الفواحش . وللأسف يسمونه فى هذا العصر بالفن، والعاملين بها فنانون .

* * *

الفصل الثانى : سمات الأعمال الاجتماعية

من مظاهر الحياة على الأرض ، التعبير الصادق عن قيمة العمل فى المجالات الاجتماعية ، والتفسير الناطق بحكمة الخالق فى تزويد الإنسان بالملكات والمواهب البشرية التى تمكنه من استخلاف الله تعالى فى هذه الأرض لتعميرها . ولن يتأتى هذا إلا إذا عاش الفرد فى جماعة تتوحد فى الجنس واللغة والدين ، مكونة مجتمعًا يقوم على روابط وأواصر وصلات متينة. وهم بذلك مدينون لله تعالى بحياتهم وبما تقوم عليه حياتهم ، فهو الذى خلقهم ، ورزقهم، وأقامهم على أرضه ، وأسقفهم بسمائه . فوجب على أفراد هذا المجتمع أن يلتقوا جميعًا على عبادته وحده لا شريك له ، وألا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دونه، وأن يتعارفوا فلا يتناكروا ، ويتقاربوا فلا يتنافروا، ويتعاونوا فلا يتناطحوا .

وقد جمع الله تعالى كل ما يصلح الفرد والمجتمع ككل فى أصول ثلاثة ، يقابلها كل ما يفسد الفرد والمجتمع فى أصول ثلاثة أيضًا ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النحل (90) :

«إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بالْعَدْلِ وَالإحْسَان وإيتاء ذي الْقربَىٰ وَينهىٰ عن الفحشاء والمُنكر وَالْبَغْي يَعظُكُمْ لعَلَّكُمْ تَذكَّرُون»

فنجد كل ما يرجى من خير للفرد والمجتمع فى العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وكل ما يخشى من شر يصاب به الفرد والمجتمع فى الفحشاء والمنكر والبغى .

والإسلام أقام العلاقة بين أبناء المجتمع الإسلامى على دعامتين هما: رعاية الأخوَّة التى هى الرباط الوثيق بين بعضهم مع بعض ؛ وصيانة الحقوق والحرمات التى حماها الإسلام لكل فرد منهم من دم وعرض ومال . وكل قول أو عمل أو سلوك فيه عدوان على هاتين الدعامتين أو خدش لهما ، يحرمه الإسلام تحريمًا بدرجات بينية حسب ما ينجم عنه من ضرر مادى أو أدبى .

فإذا صلح الفرد المسلم ، صلح المجتمع الإسلامى كله . وإذا انتفى المنكر، وانعدمت الفاحشة ، وساد الخير ، وعمَّت الرحمة ، وانتشرت المودة ، سيصبح المجتمع مثاليًا فى أخلاقيات أفراده ، مؤديًا إلى تآلف قلوبهم ، ووحدة مشاعرهم. وبهذا يعيش المسلم الطاهر مجتمعه ينبوعًا يفيض بالخير والرحمة، ويتدفق بالنفع والبركة ، يقول الحق ويدعو إليه ، ويبذل المعروف ويدل عليه ، فهو مفتاح للخير ، ومغلاق للشر .

وسنقدم موضوع هذا الفصل على أسس مقتبسة من منهج الإسلام القويم للأخذ بأفراد المجتمع الإسلامى إلى القيم التربوية الإسلامية ، حيث سنتناول مبيحات ومحرمات الأعمال الاجتماعية فى الإسلام طبقًا للجدول رقم (13) .

جدول رقم (13) : سمات الأعمال الاجتماعية

مباحات الأعمال الاجتماعية	محرمات الأعمال الاجتماعية
آداب الأنفس فى الإسلام	**حرمة الأنفس فى الإسلام**
★ سمة التحلى بالشخصية السوية	★ سمة التخلى عن اللمز والتنابز
★ سمة التحلى بالعزم والحزم	★ سمة التخلى عن الغيبة والنميمة
★ سمة التحلى بالوفاء بالعهود	★ سمة التخلى عن الظن والتجسس
★ سمة التحلى بالحرية والكرامة	★ سمة التخلى عن السخرية والهجر
آداب الأسرة فى الإسلام	**حرمة الأعراض فى الإسلام**
★ سمة الحق فى التبعل والتزوج	★ سمة التخلى عن الهتك للعرض
★ سمة الحق فى الأسرة السوية	★ سمة التخلى عن الامتهان للكرامة
★ سمة الحق فى النشء السوى	★ سمة التخلى عن القذف للمحصنات
★ سمة الحق فى الواجب العائلى	★ سمة التخلى عن القطع للأرحام
آداب المجتمع فى الإسلام	**حرمة الدماء فى الإسلام**
★ سمة الحق فى التكافل المعاشى	★ سمة التخلى عن القتل العمد
★ سمة الحق فى التكافل الأخلاقى	★ سمة التخلى عن القتل الخطأ
★ سمة الحق فى التكافل الأدبى	★ سمة التخلى عن القتل للنفس
★ سمة الحق فى التكافل العبادى	★ سمة التخلى عن القتل للأولاد
آداب الأنساب فى الإسلام	**حرمة الأنساب فى الإسلام**
★ سمة الحق فى الأنساب الشرعية	★ سمة التخلى عن التبنى للأولاد
★ سمة الحق فى العطاء بين الأبناء	★ سمة التخلى عن الإنكار للنسب
★ سمة الحق فى المواريث الشرعية	★ سمة التخلى عن التلقيح الصناعى
★ سمة الحق فى اليتيم أو اللقيط	★ سمة التخلى عن التعاظم بالأنساب

مباحات الأعمال الاجتماعية

الأعمال الاجتماعية المباحة مجالاتها كثيرة ، ولكننا سنكتفى بتقديم المباحات فى مجال الأنفس والأسرة والمجتمع والأنساب فقط.

آداب الأنفس فى الإسلام :

يقرر القرآن الكريم أن المؤمنين تجمعهم أخوة الدين ، ويمقتضى هذه الأخوة ، وجب عليهم التواصل وليس التقاطع ، والتصافح وليس التشاحن ، والتحبب وليس التباغض ، والاتحاد وليس الاختلاف . ولذلك دعا الرسول ﷺ المسلم إلى أن يتصف بالخصال الحميدة التى يجب أن يتحلّى بها . ويمكن سرد بعض الآداب فى مجال الأنفس على النحو التالى :

سمة التحلى بالشخصية السوية . المسلم طاهر الجوارح يساير الفطرة فى تربية أبنائه التربية الرشيدة التى تركز اهتماماتها على إعداد الشخصية السوية، وتنمية المواهب الطبيعية ، لكى يصبح الفرد قوة نافعة فى مجتمعه ، وعضوًا عاملاً فيه ، ينفعه كما ينتفع به ، ويعطيه كما يأخذ منه ، ويتأثر به ويؤثر فيه ، وقد عنى الإسلام بالتربية على أساس أن يكون المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وأن يكون الإخاء والولاء هو الرابطة التى تجمع بين المؤمنين ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة التوبة (71) :

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ...»

وقول الله تعالى فى سورة الحجرات (10) :

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...»

ولا شك أن الإيمان بالله تعالى هو حجر الأساس فى بناء الشخصية القوية السوية وعن الرسول ﷺ أنه قال : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف» [رواه مسلم وابن ماجه وأحمد].

سمة التحلى بالعزم والحزم. المسلم طاهر الجوارح يساير الفطرة فى تربية أبنائه على قوة العزم والحزم. فالعزم هو أن يعقد الإنسان النية على فعل أمر ما أو المحافظة عليه، ويتحمل الصبر والعناء فى سبيله، أما الحزم فهو أن يضبط الإنسان الأمر، ويستوثق منه، ويحسم التردد فيه، والحزم مظهر من مظاهر الإيمان بالله تعالى، وقوة الشخصية.

فإذا حرص الإنسان على ما ينفعه، واستعان بالله تعالى وطلب عونه وتوفيقه، ثم انتابه الفشل أو أصابه شيء من الشعور بالإخفاق، فليس له أن يقسو على نفسه ويرهقها بالألم والندم، والسبيل إلى راحة ضميره، وثبات إيمانه هو قول: قدَّر الله وما شاء فعل. هذا هو التوجيه النبوي لبناء الشخصية المؤمنة القوية، والذى يلتقى مع توجيه القرآن الكريم فى قول الله تعالى فى سورة الحديد (22 و 23):

«ما أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُم إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قبل أن نبرأها إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بما آتاكُمْ والله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ»

فقد كان العزم أقوى ما يكون العزم، والحزم أمتن ما يكون الحزم فى الرسول ﷺ.

سمة التحلى بالوفاء بالعهود. المسلم طاهر الجوارح يوفى بعهده إذا تعاهد مع غيره. فالوفاء بالعهد أمانة يحاسب عليها المؤمن، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الإسراء (34):

« . . . وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً»

فالوفاء بالعهد فضيلة خلقية تثمر الخير، وتنم عن كرم النفس، وشرف الطبع، وسمو الإنسانية. ولهذا جرى العرف الإسلامى على تسمية المسالمين من أهل الكتاب «المعاهدين» أو «أهل الذمة» إشارة إلى أن حقوقهم أمانة فى ذمة

المسلمين ، وأن حقوق المسلمين عليهم ذمة فى أعناقهم ، وإشارة بالعهد الذى انعقد عليه اتفاقهم .

فالوفاء بالعهد مطلوب إذا تعاهد بعض الأفراد مع بعضهم . ونقض العهد أو الخيانة فيه مظهر من مظاهر الغدر وفساد الأخلاق . فعن الرسول ﷺ أنه قال: «آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان» [رواه البخارى ومسلم وغيرهما]، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الرعد (25) :

«والَّذينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّه مِنْ بعْد ميثاقه ويَقْطَعُون ما أمر اللهُ به أن يُوصل ويُفْسدُون في الأرْض أُولْئك لهُمُ اللعنةْ ولَهُم سُوءُ الدَّار»

وقد كان الرسول ﷺ المثل الأعلى فى الوفاء بالعهد .

سمة التحلى بالحرية والكرامة. المسلم طاهر الجوارح يحرص على حريته وكرامته . فالإنسان منذ ولادته يولد حرًا ، ولا يوصف بالعبودية إلا الخالق البارئ وحده ، كما يفهم من قول اللهتعالى فى سورة الملك (23) :

«قُلْ هُوَ الَّذي أنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لكُمُ السمع وَالأبْصَار والأَفْئدةَ قَليلاً مَّا تشكرُون»

فالعبودية لله تعالى هى قمة الحرية ، لأنها خضوع لمن لا سبيل للخروج على أمره ، ما دام الإنسان فى وجوده ، وفى مواهبه ، وفى خصائصه مدينًا بها لله تعالى .

والإنسان أكرم خلق الله تعالى ، والكرامة حق لكل إنسان ، وكرامته ملازمة لإنسانيته ، فإذا حرم هذه الكرامة لم يكن المجتمع الذى يعيش فيه مجتمعًا متماسكًا سعيدًا . وللكرامة مظاهر متعددة تتجلَّى فى : (1) كرامة الإخاء الإنسانى بصرف النظر عن التفاوت فى اللون والأصل والنسب واللغة والذين ؛ (2) كرامة المساواة الحقوقية بصرف النظر عن التفاوت فى الذكاء أو المواهب أو العمل أو الإنتاج ؛ (3) كرامة العدالة القضائية بصرف النظر عن التفاوت فى الجاه والسلطان والنفوذ والغنى ؛ (4) كرامة العدالة الاجتماعية بصرف النظر عن

التفاوت فى الفقر والمرض ؛ (5) كرامة المنزلة الاجتماعية في العيش موفور الحرمة ، مصون المنزلة ؛ (6) كرامة السمعة العائلية فى سمعة الإنسان فى نفسه وفى أسرته .

آداب الأسرة فى الإسلام :

يجعل القرآن الكريم الزواج عقدًا متينًا وميثاقًا غليظًا، يقوم على نية العشرة الدائمة من الرجل والمرأة ، لتتحقق ثمرته النفسية من السكون الذى تظلله المودة، والاستقرار الذى تشيع فيه الرحمة ، وتتحقق غايته العمرانية من استمرار التناسل وامتداد بقاء النوع . فمن الزوجين تنشأ الأسرة ، ويولد الأولاد . ويمكن سرد بعض آداب الأسرة على النحو التالى :

سمة الحق فى التبعل والتزوج. المسلم طاهر الجوارح يؤدى حق البعولة والتزوج لبعلها أى زوجها ، وهو حق كبير تنطوى فيه حقوق كثيرة ، وأهمها طاعته فيما لا يغضب الله تعالى . ومن ثَمَّ وجب على الزوجة أن تهيئ لزوجها الجو الذى يريحه ، ويبعث فى نفسه الشعور بالسكينة والطمأنينة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الروم (21) :

«وَمِنْ آياته أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتسكُنُوا إِلَيْها وجعل بينكُم مودة ورَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»

فسكون الزوج إلى امرأته ، واطمئنانه إليها ، وارتياحه لها ، يُعتبر من أجمل الغايات فى الزواج ، وخلقه مناخًا صالحًا لإنجاب الذُّرية ، وتربيتها تربية سليمة.

ولا شك أن أعظم ما يستريح إليه الزوج من زوجته هو طاعته وانقيادها له. ويجب أن تتذكر المرأة أن فى طاعة زوجها مصلحة نفسها ، ومصلحة أولادها ، ومصلحة مجتمعها ، فهى تقوم بدور خطير حين تجعل من بيتها واحة مريحة للزوج ، ومدرسة رشيدة للأولاد ، ومؤسسة نافعة فى المجتمع ، فعن الرسول ﷺ

أنه قال : «إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها ادخلى الجنة من أى الأبواب شئت» [أخرجه أحمد فى مسند المبشرين بالجنة].

سمة الحق فى الأسرة السوية. المسلم طاهر الجوارح يتعاون مع زوجة مطيعة، ليقيم أسرة متماسكة ، وينشئ ذرية صالحة . والأساس الصالح لبناء البيت الصالح ، وإنشاء الحياة الزوجية الصالحة هو زوج يقوم على أمور زوجته فيرعاها ويتولاها بحسن العشرة ولطف المعاملة ؛ وزوجة تطيع زوجها فتحترم أمره ، وتحفظ سره وتصون عرضه ، وتحافظ على ماله ، وتحمى شرفه إذا غاب ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (34) :

« . . . فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ . . . »

وعن الرسول ﷺ أنه قال : «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله» [رواه ابن ماجه] .

ولما كان الزواج هو حجر الأساس من بناء الأسرة وإنشاء الذرية الصالحة من البنين والحفدة ، كان طبيعيًا أن يكون الرجل هو ربُّ الأسرة الذى يعمل على توفير أسباب المعيشة والخير لها ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (34) :

« الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ . . . »

وكلمة «قوامون» تشمل حسن الرعاية ، وما يتصل بها من ألوان البر والخير والمودة والرحمة .

ففضل الرجال على النساء مردُّه إلى اعتبارات خلقية لا يد للرجال والنساء فيها. فالفضل فى الرجال يرجع إلى زيادة القوة والقدرة والخبرة بوسائل الحياة والصبر على أعبائها ، لأن الله تعالى خلقهم وأعدهم للقيام بهذه الغاية ، وكلفهم بواجبات وتكاليف تكافئ ما خصَّهم به الله تعالى .

سمة الحق فى النشء السوى. المسلم طاهر الجوارح يتعاون مع زوجته فى تنشئة أبنائهما نشأة صالحة ، وتوفير الخير لهم ، وإحسان أدبهم بتعويدهم على التزام الفضائل واحترام الحقوق ، وأداء الواجبات ، وعلى الزوجين واجب كبير تمليه الفطرة السليمة، ويفرضه الدين القويم، كما تمليه مصلحة الأسرة، ومصلحة المجتمع. ولا شك أن مرحلة الطفولة هى المرحلة الخصبة المناسبة لتربية الشخصية السوية القوية، وتوجيه الغرائز والميول إلى الخير، وتهذيب الأذواق الأخلاق إلى الأصلح .

فإذا كان أطفال اليوم هم رجال الغد ، فبمقدار ما يبذل من العناية بإعدادهم وإرشادهم ، وتربية ملكاتهم ومواهبهم ، وتنمية نوازع الخير فيهم ، يكون حظ الوالدين ، وحظ الأسرة ، وحظ المجتمع منهم فى المستقبل .

سمة الحق فى الواجب العائلى. المسلم طاهر الجوارح يعمل على تماسك الأسرة، وسيطرة الروح التعاونية على أجوائها . فالابن ينفق على أبيه وعلى أمه، ويحتويهما فى بيته مع زوجته وأولاده ، ويقوم بخدمتهما حتى يتوفاهما الله تعالى ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الإسراء (23 و 24) :

«وقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عندك الكبر أحدهما أَوْ كلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُما وَقُل لَّهُما قَوْلاً كريمًا ۞ واخفض لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّب ارْحمْهُمَا كما ربَّياني صغيراً»

ويعتبر ذلك فرضًا دينيا ، وعملاً يتقرب به إلى الله تعالى، والأخ الأكبر سنًا ينفق على إخوته الصغار ، ويربيهم ، ويعلمهم ، ويزوجهم ، وهو يرى أن ذلك حق لهم واجب ، لا منّة فيه ، ولا تفضُّل . والمسلم يقوم بواجبه نحو أقربائه ، يقيهم شر العوز، ويدفع عنهم حاجة السؤال عند العجز أو الفقر .

آداب المجتمع فى الإسلام :

يؤكد القرآن الكريم أن الناس فى المجتمع الذى يعيشون فيه ، يحتاج بعضهم إلى بعض فى كل شئون الحياة ، وهم فى مجموعهم يؤلفون قوة متماسكة ، لا تبدو فى تمامها واكتمالها إلا بقوة كل فرد من أفرادها وسعادته . فالمجتمع يعتبر قويًا ، بمقدار ما تتوافر هذه القوة لأفراده ، ويعتبر سعيدًا بمقدار ما تتوافر هذه السعادة لأفراده .

وقد فطن الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا إلى أن لكل مواطن حقوقا طبيعية وهى : حق الحياة ، وحق الحرية ، وحق العلم ، وحق الكرامة، وحق التملك، واعتبر المجتمع هو المسئول عن تحقيق هذه الحقوق للمواطنين ، ومن هنا انبثقت فكرة التكافل الاجتماعى فى الإسلام الذى لا يجعله مقصورًا على المطالب المعاشية من مأكل وملبس ومسكن فحسب ، بل يجعله شاملاً لهذه الحقوق الطبيعية الخمسة ، وبذلك جاءت فكرة الإسلام عن التكافل الاجتماعى شاملة لكل نواحى الحياة المادية والمعنوية . ويتجلَّى إعلان الإسلام لمبدأ التكافل الاجتماعى فى نصوص القرآن الكريم فمنها ما ذكره الله تعالى فى سورة الحجرات (10) :

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّه لعلَّكُمْ تُرْحمُون»

فإعلان الإخاء بين أفراد المجتمع ، يوجب التكافل بينهم فى كل حاجة من حاجيات الحياة. وجاء فى القرآن الكريم قول الله تعالى فى سورة المائدة (2):

« . . . وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . . . »

والتعاون هو التكافل والتضامن فى تحقيق نواحى الحياة المادية والمعنوية ، كما توجب هذه الآية التكافل على البر والتقوى . والبر له معانٍ كثيرة فى القرآن الكريم ، فمنها أنه جاء : بمعنى حسن المعاملة وطيب العشرة ومكارم الأخلاق كما جاء فى سورة مريم (32) ؛ وبمعنى الإنفاق والبذل فى سبيل الله تعالى كما

جاء فى سورة آل عمران (92) ؛ ويمعنى العبادة كما جاء فى سورة البقرة (44) ؛ ويمعنى الفضائل كما جاء فى سورة البقرة (177) .

أما التقوى فلها معانٍ أكثر من البر فى القرآن الكريم ، فمنها أنها جاءت: بمعنى الفضائل الخلقية والنفسية كما جاء فى سورة البقرة (2,1) ؛ ويمعنى تعظيم الأحكام والشرائع الإلهية كما جاء فى سورة الحج (32) ؛ ويمعنى العفو والتسامح كما جاء فى سورة البقرة (227) ؛ ويمعنى العدل ومجانبة الظلم كما جاء فى سورة المائدة (8) ، ويمعنى ما يقابل الإثم والفجور كما جاء فى سورة الشمس (8) ؛ ويمعنى الصدق والحق كما جاء فى سورة الزمر (33) ؛ ويمعنى الوفاء بالعهود كما جاء فى سورة التوبة (4) ؛ ويمعنى الجهاد بالمال والأنفس كما جاء فى سورة التوبة (44) ؛ ويمعنى عدم الفساد والطغيان فى الأرض كما جاء فى سورة القصص (83) ؛ ويمعنى خشية الله تعالى وإنابة القلب كما جاء فى سورة ق (3) ؛ ويمعنى إيتاء حقوق المحرومين والمحتاجين المشروعة كما جاء فى سورة الذاريات (15 و 19) ؛ ويمعنى هجر الظالمين كما جاء فى سورة الجاثية (19) .

وتجدر الإشارة إلى حديثين شريفين يؤكدان التكافل الاجتماعى بمشموله الواسع ، ويصوران مدى ما يصل إليه التضامن والتعاون بين افراد المجتمع الإسلامى ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثَل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [رواه مسلم وأحمد] ؛ وقال أيضًا : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» [رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى] ، ثم شبك الرسول الكريم بين أصابعه تأكيدًا لمعنى «يشد بعضه بعضًا»؛ وقال كذلك : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [أخرجه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه]، فهو يحب لنفسه حقوقه الطبيعية وهى: الحياة، والحرية، والعلم، والكرامة، والتملك. ويمكن سرد بعض آداب المجتمع فى الإسلام من تكافل معاشى، وتكافل أخلاقى ، وتكافل أدبى ، وتكافل عبادى ، وهى على النحو التالى :

سمة الحق في التكافل المعاشي. المسلم طاهر الجوارح يتكافل مع بقية أفراد المجتمع فى مراعاة أحوال الفقراء والمعدمين والمرضى وذوى الحاجات ، حتى يعيشوا عيشة كريمة تليق بكرامة الإنسان . فهو يحب أن يكون سمحًا كريمًا، لا يحبس خيره عن غيره ، ولا يبخل بما منَّ الله تعالى به عليه ، بالإنفاق والتصدق فى سبيل الله تعالى . فالإنفاق يتناول كل ألوان البر والخير فى الطريق الذى شرَّعه الله تعالى لطاعته ورضاه ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الذاريات (19) :

«وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»

ويدخل فى ذلك التوسعة على الزوجة والأولاد . والتصدق تتسع دائرته فتشمل مع الزكاة الواجبة كل ما ينمُّ عن صدق الإيمان ، وعمق الإحساس بحق الله تعالى ، وحق الناس أجمعين .

سمة الحق فى التكافل الأخلاقي. المسلم طاهر الجوارح يتكافل مع أفراد المجتمع فى مراعاة صيانة الأخلاق ، لأن بها حِفْظِه من الانحلال . والإسلام فى ذلك لا يعتبره تدخلاً منه في الحريات الشخصية ، لأن الفساد والمنكر يأتى على بنيان الأمة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة آل عمران (104) :

«وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

وعن الرسول ﷺ أنه قال : «من رأى منك منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان» [رواه مسلم والنسائى وأبو داود واللفظ لمسلم] .

سمة الحق فى التكافل الأدبى. المسلم طاهر الجوارح يتكافل مع بقية أفراد المجتمع فى مراعاة الآخرين ، والتعاون معهم فى السَّراء والضرَّاء ، والشعور بالحب والعطف نحوهم ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحشر (9) :

«وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

وعن الرسول ﷺ أنه قال : «أحب للناس ما تحب لنفسك» [من حديث رواه الترمذى وابن ماجه]، فالمسلم فى حبه للخير لإخوانه يعتبر ناهجًا نهج الصالحين السابقين .

سمة الحق فى التكافل العبادى. المسلم طاهر الجوارح يتكافل مع بقية أفراد المجتمع فى مراعاة الحفاظ على الشعائر والطاعات التى يجب أن يقوم بها المجتمع ، والتى تسمى بفروض الكفاية فى العبادات ، كصلاة الجنازة ، فيجب على المجتمع غسل وتكفين الميت ، والصلاة عليه ، ودفنه فى قبره، فإن لم يقم بذلك أحد من المسلمين ، أَثِمَ المجتمع كله .

ومثل ذلك الأذان لأداء الصلاة ، والإقامة لصلاة الجماعة ، والإقامة لصلاة الجمعة وغيرها ، فالمجتمع متكافل في إقامة ذلك كله .

آداب الأنساب فى الإسلام :

يوجه القرآن الكريم قسطًا كبيرًا من عنايته نحو تدعيم نظام الأسرة ، وتخليصها من شوائب الضعف ، وإحاطتها بما يكفل لها الصلاح والاستقرار ، فلم يترك أى مجال من مجالاتها إلا أقامها على نظم رشيدة وآداب حسنة ، وقضى على ما كانت تسير عليه الشرائع السابقة للإسلام من طرائق معوجة فى هذا السبيل . ويمكن سرد بعض الآداب فى مجال حماية الأنساب على النحو التالى :

سمة الحق فى الأنساب الشرعية. المسلم طاهر الجوارح يختص بامرأته، ويحرم عليه أن يخونها بأن يزنى مع أخرى ، والمسلمة الطاهرة هى التي تختص برجلها ويحرم عليها أن تخونه بأن تسقى زرعه بماء غيره . والزواج الصالح هو الذى يتمثل فى سكون النفس بين الزوجين ، وتوسيع دائرة المودة والرحمة بينهما ، وانتشار عاطفة الحنان بين الوالدين إلى الأبناء . فالزوجة بالنسبة إلى زوجها نعمة كبرى ، ورحمة عظمى ، لأن الله تعالى جعلها من جنس الزوج ،

ليشعر بأنها من نفسه فيسكن إليها ، ويُجمِّل بها حياته ، ويجد معها راحته ، فهى منبت أولاده وأحفاده ، يرى منهم بقاءً لفرعه ، ومظهرًا لخلوده ، وامتدادًا لوجوده، وهم يرثون منها الملامح والسمات والخصائص . فبالزواج الصالح ، تصان الأنساب ، ولا تختلط المياه ، ويكون كل من تلدهم الزوجة نتيجة جماعهما فى فراش الزوجية هم أولاد زوجها ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «الولد للفراش» [أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم] .

سمة الحق فى العطاء بين الأبناء. المسلم طاهر الجوارح يُسوِّى بين أولاده فى العطاء حتى يكونوا له فى الاحترام والوقار والبر سواء ، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم» [رواه النسائى وأبو داود وأحمد واللفظ لأحمد]. لذلك فالإسلام يحرم علي الأب و الأم أن يؤثر بعض الأبناء بعطاء بدون سبب ، فيوقد بينهم العداوة والبغضاء .

سمة الحق فى المواريث الشرعية. المسلم طاهر الجوارح يرعى شرع الله تعالى فى الميراث ، فلا يحل له أن يحرم بعض أولاده ، أو بناته ، أو أولاده من زوجة أخرى ، من الميراث . فالله تعالى هو الذى قرر نظام المواريث بعلمه وعدله وحكمته ، وأعطى به كل ذى حق حقه ، وأمر الناس ألا يخالفوا شرعه ، فمن خالف فقد ضل عن الحق واعتدى على حدود الله تعالى . ويمكن الرجوع إلى سورة النساء لمعرفة شئون الميراث .

سمة الحق فى اليتيم أو اللقيط. المسلم طاهر الجوارح يسعى إلى أن يضم طفلاً يتيمًا أو لقيطًا ، ويعنى به ، ويحنو عليه ، ويحتضنه ، ويطعمه ، ويكسوه ، ويربيه، ويعلمه ، أى يعامله كابنه الذى من صلبه ، وذلك فى الحنو عليه ، مع مراعاة ألا ينسبه لنفسه ، ولا يثبت له أحكام البنوة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (36) :

«وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ...»

فهذه الآية تدل على وجوب الإحسان إلى هذه الفئات ومن ضمنها اليتامى.

وإذا كان الرجل ليس لديه ذرية من صلبه ، وأراد أن يهب هذا اليتيم أو اللقيط شيئًا ، فإنه يوصى له فى حدود الثلث من تركته قبل وفاته ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا» [رواه البخارى والترمذى وأبو داود وأحمد واللفظ للبخارى] مشيرًا بالسبابة والوسطى ومفرِّجًا بينهما ، للدلالة على أنهما قرينان أو صنوان .

محرمات الأعمال الاجتماعية

الأعمال الاجتماعية المحرمة مجالاتها عديدة ولكن سنكتفى بعرض سمات المحرمات فى مجال الأنفس والأعراض والدماء والأنساب فقط .

حرمة الأنفس فى الإسلام :

يحذر الله تعالى من أسباب التفريق والاختلاف ، ويدعو إلى الوحدة والتآلف ، وتوثيق روابط المحبة بين الناس جميعًا . ولذلك فقد حرَّم القرآن الكريم بعض الخصال المرذولة التى يجب أن يتجنبها المسلمون حتى يكونوا عباد الله تعالى إخوانًا . ويمكن سرد بعض الخصال المرذولة والمحرمة على النحو التالى :

سمة التخلى عن اللمز والتنابز. المسلم طاهر الجوارح لا يلمز أخاه أى يعيبه ، ولا يتنابزه أى يدعوه بلقب كريه. فالإسلام حرَّم اللمز والتنابز لأن هذا السلوك عدوان على الأخوة ، ومدعاة لتغير النفوس ، ومنافاة للأدب ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحجرات (11) :

« . . . ولا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»

فالذى يلمز أخاه فهو يعيبه كأنه يطعنه، أما الذى ينابز أخاه فهو يناديه بلقب سيئ مما يتأذى منه .

سمة التخلى عن الغيبة والنميمة. المسلم طاهر الجوارح لا يغتاب أخاه أى يذكره فى غيبته بما يكره ولا ينم عليه أى يوقع بينه وبين غيره . فالإسلام حرَّم الغيبة والنميمة لأنه يقدس الحرمة الشخصية للفرد ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحجرات (12) :

« . . . أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ»

وقول الله تعالى فى سورة القلم (10 و 11) :

«وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ»

وكلمة «همَّاز» تعنى طعان فى النار .

والذى يغتاب أخاه هو الذى يطعنه من وراء ظهره فى عرضه وحرمته وكرامته فى غيابه ، وهذا دليل على الخسَّة والنذالة . أما الذى ينم على أخيه ، فهو الذى ينقل ما يسمعه إلى شخص آخر بحيث يوقع بينهما ، وبذلك يكدِّر صفو العلاقة بينهما . ويحذر الرسول ﷺ من النميمة بقوله : «لا يدخل الجنة نمام» [رواه مسلم وأحمد]، فالنمام لا يوثق فى صداقته، ولا يؤمن شره .

سمة التخلى عن الظن والتجسس. المسلم طاهر الجوارح لا يسيء الظن بأخيه ولا يتجسس عليه . فالإسلام حرَّم الظن الآثم وهو ظن السوء ، والتجسس وهو تتبع العورات، فهو يقيم مجتمعًا على صفاء النفوس ونظافة الظاهر ، لذلك فقد نهى الإسلام عن التجسس ، كما أقام مجتمعًا مبنيا على نظافة الباطن ، لذلك فقد نهى عن سوء الظن، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحجرات (12) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ»

فلا يحل للمسلم أن يسيء ظنه بأخيه المسلم دون مسوغ ولا بينة ، فقد قال الرسول ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» [رواه مسلم وأحمد والبخارى وغيرهم]، كما لا يحل للمسلم أن يهتك حرمة الناس بالتجسس عليهم وتتبع عوراتهم ، حتى وإن كانوا يرتكبون إثمًا خاصًا بأنفسهم ، ما داموا مستترين به عن أعين الناس، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه» [رواه مسلم وروى مثله الترمذى والنسائى] .

سمة التخلى عن السخرية والهجر. المسلم طاهر الجوارح لا يسخر من أخيه أى يتندر عليه ، ولا يهجره أى يعرض عنه . فالإسلام حرَّم السخرية والهجر ، لأنه يحافظ على كرامة المسلم ، ويواصل ذوى الرحم ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحجرات (11) :

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ . . .»

فعن الرسول ﷺ أنه قال : «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاث ، فإن مرت به ثلاثة فليلقه فليسلم عليه ، فإن ردَّ عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر ، وإن لم يردَّ عليه فقد باء بالإثم ، وخرج المسلم من الهجرة» [رواه أبو داود فى كتاب الأدب]. والآية السابقة تدل على ألا يجافى المسلم أخاه ، ولا يقاطعه ، ولا يعرض عنه ، ولا يقطع الأواصر الأخوية . كما يدل الحديث النبوى ألا يسخر من أخيه ، أو يجعله موضع هزئه وتندره ونكاته.

حرمة الأعراض فى الإسلام :

يحيط الله تعالى الإنسان بأقوى حماية يمكن أنه يختص بها حق من حقوق المسلم ، وتبدو حمايته هذه أوضح ما يكون فى العقوبات الشديدة التى يوقعها فى حالات هتك العرض ، وامتهان الكرامة ، وقذف المحصنات ، وقطع الأرحام ، وما إلى ذلك من كل ما يمس الأعراض ، وكذا فى تحقيره لمقترفى هذه الآثام ، وتوعده إياهم بأشد عذاب يوم القيامة ، ويمكن سرد بعض هذه المحرمات فى مجال حرمة الأعراض على النحو التالى :

سمة التخلى عن هتك العرض. المسلم طاهر الجوارح لا يهتك عرض الإنسان سواء، أكان رجلاً أو امرأة ، وسواء كان قولاً أو فعلاً . فقد حفظ الإسلام عرض المسلم من الكلمة التى يكرهها تُذكر فى غيبته مع أنها صدق ، فكيف إذا كان الكلام له افتراء لا أصل له، إنها تكون حينئذ إثمًا كبيرًا .

سمة التخلى عن الإمتهان للكرامة. المسلم طاهر الجوارح لا يمتهن كرامة الإنسان سواء كان رجلاً أو امرأة ، وسواء كان قولاً أو عملاً . فقد حذَّر الإسلام من مس لكرامة المسلم ، وحرم تحريمًا قاطعًا الغيبة والنميمة والتجسس والهمز واللمز والتنابز بالألقاب القبيحة وغيرها مما تكون ماسًا بكرامته وحقَّر مقترفى هذه الفواحش ، واعتبرهم من الفاسقين ، وتوعدهم بعذاب أليم يوم القيامة.

سمة التخلى عن القذف للمحصنات. المسلم طاهر الجوارح لا يرمى المؤمنات والعفيفات بالفاحشة ، أو الرجال المحصنين فى عرضهم ، وهذا اللون من الاعتداء على الأعراض هو أشد وأعظم حرمة؛ ولذا عدَّه الرسول ﷺ من الكبائر السبع الموبقات ، وأوعد القرآن الكريم عليه أشد أنواع الوعيد ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النور (23 و 25) :

«إنَّ الَّذِين يرْمُون الْمُحْصنَات الْغافلات الْمُؤمنات لُعنُوا في الدُّنيا والآخرة ولهُمْ عـذَابٌ عظِيمٌ * يوْمَ تشْـهَـدُ علَيْـهِمْ أَلْسنتُـهُمْ وأَيْديهِمْ وأرْجُلُهُم بمـا كـانُوا يعْملُون* يومَئذٍ يوَفِّيهِم اللَّهُ دينهُمُ الحقَّ ويعلمُون أنَّ اللَّهَ هُو الحق المُبِينُ»

وذلك لما فيه من ضرر بالغ بسمعتهن وسمعة أزواجهن وأسرهن وخطر على مستقبلهن .

سمة التخلى عن القطع للأرحام. المسلم طاهر الجوارح لا يقطع صلة الأرحام . فالإسلام قد أوجب صلة الرحم ، ورعاية حرمتها ، وحرمة قطيعتها ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (1) :

« . . . واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُون به والأرْحَام إنَّ اللَّهَ كَانَ علَيْكُم رقيبا »

وصوَّر الرسول ﷺ صلة الرحم ومدى قيمتها عند الله تعالى فقال : «الرحم معلَّقة بالعرش ، من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله» [رواه مسلم فى كتاب البر والصلة] . فوجب على المسلم أن يصل ذوى رحمه وإن هجروه ، وقال : «ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها» [رواه البخارى والترمذى وأبو داود وأحمد واللفظ للبخارى].

حرمة الدماء فى الإسلام :

يحرص الله تعالى على حماية الدماء إلى شأو بعيد ، لأن الإسلام يقدس الحياة الإنسانية ، ويصون الحرمات البشرية ، ويجعل الاعتداء عليها من أكبر الجرائم عند الله تعالى . ويبدو حرص الشريعة الإسلامية أوضح ما يكون فى العقوبات الدنيوية والأخروية التى تقررها فى جميع حالات سفك الدماء حتى فى حالات القتل الخطأ أو الانتحار . ويمكن سرد بعض المحرمات فى مجال حرمة الدماء على النحو التالى :

سمة التخلى عن القتل العمد. المسلم طاهر الجوارح يحترم الحياة البشرية، ويحترم حق الإنسان فى الحياة ، وبذلك لا يقدم على قتل أى إنسان ، لأنه يعتبر أن العدوان على نفس من الأنفس هو في الحقيقة عدوان على النوع البشرى كله ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (32) :

« . . . أَنَّهُ من قَتَل نَفْساً بغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْض فَكَأَنَّما قَتَل النَّاس جمِيعا . . . »

وتشتد الحرمة إذا كان المقتول مؤمنًا بالله تعالى ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (93) :

« وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمنًا مُتَعَمّدًا فَجزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالدًا فيهَا وَغَضب اللَّهُ عَلَيْه وَلَعَنَهُ وأعد لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا »

كما حرَّم الإسلام دماء غير المسلم، لأن الله تعالى يعتبر النفس معصومة من الدم،

وذلك ما لم يكن غير المسلم محاربًا للمسلمين ، فعند ذلك أُحل دمه ، وقد استباح الله تعالى القصاص بالحق ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأنعام (151) :

« . . . وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ . . . »

وحصر الرسول ﷺ هذا الحق جزاء إحدى ثلاث جرائم وهى : (1) من ثبت عليه جريمة القتل ، وجب عليه القصاص نفسًا بنفس ؛ (2) من جاهر بارتكاب جريمة الزنا ، بحيث يراه أربعة من خيار الناس رؤية عينية ويشهدون عليه ، أو يعترف شخصيًا أمام الحاكم أربع مرات ، استحق الرجم حتى الموت ؛ (3) من خرج على دين الإسلام، وجاهر بهذا الارتداد تحديًا للمجتمع الإسلامى ، وثبت عليه ذلك ، استحق القتل . ويراعى أن حق استباحة القصاص يستوفيه ولى والأمر وليس الفرد .

سمة التخلى عن القتل الخطأ . المسلم طاهر الجوارح يحرص على حماية النفس بألا يتهور فى أى عمل كصيد الطيور فى الجو ، أو ضرب النار فى الأفراح، مما قد ينجم عنه القتل الخطأ عفوًا . ومع أن الشريعة الإسلامية تقرر أن المسلم لا يعاقب إلا على ما يحدثه عن قصد ونية مبيتة ، وأنه قد رُفع عنه الخطأ والنسيان والإكراه ، فإنها تخرج عن هذه القاعدة فى جريمة القتل حتى ولو كان خطأً ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (92) :

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا»

وقد علّل الفقهاء هذه الأحكام بما لا يدع مجالاً للشك فى أنهم ينظرون إلى القتل الخطأ نظرتهم إلى جرم يستأهل العقاب ، لما ينطوى عليه من مظاهر الإهمال والتقصير فى اتخاذ ما كان ينبغى اتخاذه من حذر وحيطة حيال أرواح الناس .

سمة التخلى عن القتل للنفس. المسلم طاهر الجوارح لا يفكر فى قتل نفسه أو ينتحر. ولما كان الله تعالى خالق الإنسان، فحياته ليست ملكه، وأن الخالق البارئ قد استودع نفس هذا الإنسان فى كيانه الشخصى. ولذلك فالإنسان ليس له الحق فى التخلص من نفسه، أو الاعتداء عليها، أو التفريط فيها، لقول الله تعالى فى سورة النساء (29) :

« . . . وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيما »

فقد أنذر الرسول ﷺ أن من يقدم على جريمة الانتحار البشعة، يحرم من رحمة الله تعالى فى الجنة، ويستحق غضب الله تعالى فى النار.

سمة التخلى عن القتل للأولاد. المسلم طاهر الجوارح لا يقتل أولاده أو يعتدى على حياتهم بالقتل أو الوأد ـ كما كان يحدث فى الجاهلية ـ مهما يكن الدافع إلى هذا المنكر، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الإسراء (31) :

«وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً»

فالولد له حق الحياة، وليس لوالديه الحق فى الاعتداء عليه لأى سبب من الأسباب، فهو له حق الرعاية والتربية والنفقة والتعليم والمحافظة عليه من والديه، فهذا ما تقتضيه الأبوة للبنوة.

حرمة الأنساب فى الإسلام :

يحرم الله تعالى كل ما يسبب فى خلط الأنساب، لأنها قوام القرابة فى الأسرة ودعامة الرابطة بين أفرادها. فقد حرص الإسلام كل الحرص على حماية الأسرة من كل ما يؤدى إلى اختلاطها أو يوهن حرمتها. وقد واجهت الشريعة الإسلامية بكل حزم النظم الفاسدة التى كانت مقررة فى كثير من الشرائع السابقة للإسلام وحرمها. ويمكن سرد بعض المحرمات فى مجال اختلاط الأنساب على النحو التالى :

سمة التخلى عن التبنى للأولاد. المسلم طاهر الجوارح لا يتبنى ولدًا ليس من صلبه ، أى لا يتخذ فردًا غير منحدر من صلبه ولدًا له ، ويعامل هذا الغريب معاملة أولاده أمام القانون والمجتمع ، وينعم بحقوقهم الشرعية ، وتقع عليه أعباؤهم وواجباتهم. فالإسلام حرَّم المسلم من أن يتبنى من ليس بابن له من صلبه ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأحزاب (4 و 5) :

« . . . ومَا جعَلَ أَدْعيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ . . . »

فنظام التبنى يؤدى إلى اختلاط فى الأنساب، وتوهين لحرمة القرابة ، وإضعاف لوشائج الدم ، وإفساد لمقومات الأسرة ، وإشاعة لعوامل الفتنة ، وإضرام لنار الشقاق . لذلك فقد حرمه الله تعالىٰ تحريمًا باتًا .

سمة التخلى عن الإنكار للنسب. المسلم طاهر الجوارح لا يحل له أن ينكر نسب ولد ولدته زوجته فى فراش الزوجية ، وذلك فى حالة قيام زوجية صحيحة بينهما . أما إذا أنكر نسب الولد له بناء على إشاعة خبيثة أو شك عارض ، فقد يؤدى ذلك إلى استهانة بحرمة الزواج واستخفاف بميثاقه ، واستبداد بشئون الأسرة وإخضاعها لأهواء الزوج ونزواته ، واضطراب فى الأنساب . وتعريض الأولاد للضياع وحرمانهم من حقوقهم ، وتفرقة ظالمة بين الإخوة والأخوات ، وزلزلة عنيفة لدعائم النظام الأسرى .

أما إذا تجمعت لدى الزوج الأدلة ، فإن الشريعة الإسلامية لم تدعه يربى من يعتقد أنه ليس ابنه من صلبه ، ويورث من لا يرثه فى رأيه ، ويصبح فريسة للشك طيلة حياته . والفقه الإسلامى أعطاه مخرجًا لمشكلته يعرف باسم «اللعان» . فمن تأكد أو ظن ظنًا راجحًا أن زوجته خانته مع رجل آخر ، وجاءت بولد منه ، وليس له بينة على ذلك ، فله أن يرفع ذلك إلى القضاء الذى يجرى بين الزوج

والزوجة إجراءات الملاعنة التى فصلها القرآن الكريم فى قول الله تعالى فى سورة النور (6 - 9) :

«وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يكُن لَّهُم شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فشهادةُ أحدهم أربعُ شَهادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِن الصَّادقِينَ * والْخامسَةُ أنَّ لَعْنَتَ اللَّه عَلَيْه إن كان من الْكَاذبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أن تَشْهد أَرْبَع شهادات بِاللَّه إِنَّهُ لمنَ الْكاذبينَ * وَالْخَامسةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّه عَلَيْهَا إن كانَ منَ الصَّادقِينَ»

ثم يفرق بينهما إلى الأبد ، ويلحق الولد بأمه .

سمة التخلى عن التلقيح الصناعى. المسلم طاهر الجوارح لا يقبل بأى حال من الأحوال إذا كان عقيمًا إن تُلَقَّح زوجته تلقيحًا صناعيًا ، أى أن التلقيح بغير نطفة الزوج . ويعتبر ذلك جريمة منكرة ، وإثمًا عظيمًا ، لأن التلقيح الصناعى هو وضع ماء رجل أجنبى عن الزوجة قصدًا فى حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجية شرعية تظلها الشريعة الإسلامية ، ولولا قصور فى صورة الجريمة ، لكان حكم التلقيح فى تلك الحالة هو حكم الزنا ، هذا ما قاله الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى .

سمة التخلى عن التعاظم بالأنساب. المسلم طاهر الجوارح لا يتفاخر بالأنساب والأحساب ، والتعاظم بالآباء والأجداد . فقد حرَّم الإسلام على المسلم أن يتفاخر بحسبه ونسبه ، وينسى أن الناس جميعًا ينتمون إلى أصل واحد ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «كلكم بنو آدم وآدم من تراب» ؛ وقال فى حجة الوداع : «يأيُّها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى» [رواه أحمد فى سند الانصار] . فالله تعالى لا يسأل عن الحسب والنسب يوم القيامة .

* * *

الفصل الثالث : سمات الأعمال الغريزية

من مظاهر الحياة على الأرض ، التعبير الصادق عن قيمة العمل فى المجالات الغريزية ، والتفسير الناطق بحكمة الخالق فى تزويد الإنسان بالغرائز البشرية التى تمكنه من استخلاف الله تعالى فى هذه الأرض لعمارتها . ولن يتأتى هذا إلا إذا ضمن بقاء الإنسان فردًا ونوعًا . فغريزة البحث عن الغذاء المفيد ضرورى لإشباع شهوة البطن ، وبالتالى يبقى شخصه ؛ وغريزة البحث عن المتعة الجنسية ضرورى لإشباع شهوة الفرج ، وبالتالى يبقى نوعه .

والإسلام فى اعترافه برغبات البدن البشرية ، لا يدعو إلى كبتها أو إشباعها كيفما اتفق ولكنه يدعو إلى تنظيمها وضبطها . فالدعوة إلى الاستمتاع تسير جنبًا إلى جنب مع الدعوة إلى التسامى ، فتنشأ من بينها صورة للاعتدال البرىء من الفحش، البرىء من الحرمان . لذلك فرض الزواج على الرجل والمرأة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النحل (72) :

« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ . . . »

تنظيمًا للغريزة، وحماية للأعراض ، وحفظًا للنسب . والزوجة وهى محور الأسرة، إذا كانت ذات دين ، صلحت الأسرة التى هى عماد المجتمع . لذلك اهتم الإسلام بنظام الزواج ، وشئون الأسرة ، كما أحاط بدقائق العلاقة الزوجية إحاطة تامة.

والأنثى بحكم خلقتها وفطرتها وطبيعتها ، يتغير مكانها فى الأسرة، ويصحبه تغيير فى وظيفتها ، فهى تارة ابنة رقيقة الشعور ، وتارة أخت مرهفة الحس ، وتارة زوجة جياشة العاطفة ، وتارة أم لينة الجانب . لذلك وجب الاهتمام بإعداد الأنثى خلال مراحل حياتها ، حتى يمكن خلق مجتمع إسلامى صالح .

وسنقدم موضوع هذا الفصل على أسس مقتبسة من منهج الله تعالى للأخذ بأفراد المجتمع الإسلامى إلى القيم التربوية الإسلامية ، حيث سنتناول مباحات ومحرمات الأعمال الغريزية فى الإسلام طبقًا للجدول رقم (14) .

جدول رقم (14) : سمات الأعمال الغريزية

مباحات الأعمال الغريزية	محرمات الأعمال الغريزية
آداب الجنس فى الإسلام	**حرمة الجنس فى الإسلام**
★ سمة حدود النظافة للعباد	★ سمة التخلى عن النظر الشهوانى
★ سمة حدود الزينة للنساء	★ سمة التخلى عن النظر للعورات
★ سمة حدود العورة للنساء	★ سمة التخلى عن التبرج الأنثوى
★ سمة حدود اللباس للنساء	★ سمة التخلى عن الخلوة بالأجنبيات
آداب الزواج فى الإسلام	**حرمة الزواج فى الإسلام**
★ سمة أصول الزواج الشرعى	★ سمة التخلى عن الزواج من المحرمات
★ سمة أصول المعاشرة الزوجية	★ سمة التخلى عن الجماع للحائض
★ سمة أصول التعدد فى الزوجات	★ سمة التخلى عن الطلاق من الحائض
★ سمة أصول الطلاق الشرعى	★ سمة التخلى عن الهجر للزوجة
آداب الفرج فى الإسلام	**حرمة الفرج فى الإسلام**
★ سمة إباحة التنظيم للنسل	★ سمة التخلى عن الاستمناء باليد
★ سمة إباحة الإسقاط للحمل	★ سمة التخلى عن الزنا الفاحش
★ سمة إباحة الاستمتاع بالحائض	★ سمة التخلى عن الجماع فى الدبر
★ سمة إباحة الوجوب للعدة	★ سمة التخلى عن الشذوذ الجنسى
آداب البطن فى الإسلام	**حرمة البطن فى الإسلام**
★ سمة مراعاة الزكاة الشرعية	★ سمة التخلى عن المآكل المنكرة
★ سمة مراعاة المآكل الشرعية	★ سمة التخلى عن المشارب المنكرة
★ سمة مراعاة الإعتدال فى الأكل	★ سمة التخلى عن المدخنات المنكرة
★ سمة مراعاة الضيافة الشرعية	★ سمة التخلى عن الشموم المنكرة

مباحات الأعمال الغريزية

الأعمال الغريزية مجالاتها كثيرة، ولكن سنكتفى بتقديم سمات المباحات فى مجال الجنس والزواج والفرج والبطن فقط .

آداب الجنس فى الإسلام :

يضع الله تعالى قواعد محدَّدة لحماية الجنس فى كل من الرجل والمرأة . ومنّ روعة الإسلام ، أنه يبتغى من علمه بالطبيعة البشرية ، الصعود بالرغبة الجنسية من الابتذال والفوضى إلى السمو والعفة ، الذى يؤدى بها إلى خيرها . ويمكن سرد بعض الآداب فى مجال غريزة الجنس على النحو التالى :

سمة حدود النظافة للعباد. المسلم طاهر الجوارح يعتنى بتمام نظافته وحسن هيئته ، وجمال زينته . وفى ذلك يجب أن يأتى بخصال الفطرة من تهذيب شعره، وحف شاربه ، وإعفاء لحيته ، وسواك أسنانه ، وتنظيف أذنيه ، وغسيل عينيه ، ومضمضة فمه بالماء ، واستنشاق واستنثار أنفه بالماء ، وغسل قبله ودبره ، وقص أظافره ، ونتف شعر إبطه ، وحلق شعر عانته. ويمكن الرجوع إلى الباب الأول «طهارة الفضلات» للتعرف على خصال الفطرة .

والمسلم الطاهر هو الذى يعتنى بنظافة بدنه وثوبه ومكان صلاته من القذارات والوساخات الخبثية. ويمكن الرجوع إلى الباب الثانى «طهارة الأخباث» للتعرف على النجاسات الخبثية وكيفية الطهارة منها .

والمسلم الطاهر هو الذى يعتنى بطهارته قبل الصلاة ، فيرفع الحدث الأصغر بالوضوء ، ويرفع الحدث الأكبر بالغسل . ويمكن الرجوع إلى الباب الثالث «طهارة الأحداث» للتعرف على الحدث الأصغر وإزالته بالطهارة الصغرى ، وكذا الحدث الأكبر وإزالته بالطهارة الكبرى .

سمة حدود الزينة للنساء. المسلمة طاهرة الجوارح تخفى زينتها أمام الرجال. وزينة المرأة تشمل كل ما يجملها سواء أكانت زينة خِلْقية كمحاسن الشعر والوجه

والجسم ، أو زينة مكتسبة كما فى الثياب والحلى والأصباغ ونحوها . وحدود زينة المرأة أمام الرجل الأجنبى يجب أن تقتصر على الزينة المعقولة دون غلو أو إسراف كالخاتم فى أصابع اليد ، والكحل لرموش العين ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النور (31) :

« . . . وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا . . . »

فيجب تغطية رأسها بخمارها ، وستر صدرها ونحرها وعنقها به ، حتى لا تنكشف مفاتنها لنظرات المتطلعين ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النور (31) :

« . . . وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ . . . »

وكلمة «خُمُر» وهى جمع خمار وتعنى غطاء الرأس ، وكلمة «جيوب» وهى جمع جيب ويعنى فتحة الصدر . وهذا يعنى أن المرأة لا يجب أن تكشف زينتها الباطنة أى زينة الأذنين والعنق والصدر والساقين أمام الرجال الأجانب . أما حدود زينة المرأة أمام بعولتها وآبائها ونحوهم ، فهى كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النور (31) :

« . . . وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ . . . »

أى كشف الزينة الباطنة بالإضافة إلى زينة الوجه والكفين .

سمة حدود العورة للنساء. المسلمة طاهرة الجوارح تراعى حدود عورتها ولا تكشفها أمام الناس، فعورة المرأة للنساء والرجال الأجانب عنها هو جميع بدنها، ما عدا الوجه والكفين ، فهما ليسا بعورة . وعورة المرأة بالنسبة لبعولتها وآبائها ونحوهم هو الوجه والكفان ومواضع الزينة الباطنة أى زينة الأذنين والعنق

والصدر والساقين . وما عدا ذلك مثل الظهر والبطن والفخذين والذراعين والسوأتين ، فلا يجوز كشفه لأى رجل أو امرأة إلا للزوج فقط .

وقد أمر الله تعالى نساء الرسول ﷺ أن يستترن عند خروجهن بجلباب سابغٍ كاسٍ، يتميزن به عمَّن سواهن من الكافرات والفاجرات ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأحزاب (59) :

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِساءِ الْمُؤمِنِينَ يُدْنِين عليهنَّ من جلابيبهن ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ . . . .»

فإذا أرخت المرأة بعض جلبابها عليها ، حتى لا ينكشف جزء من عورتها ، فتعرف من مظهرها أنها عفيفة شريفة ، فلا يتعرض لها أحد بإيذاء .

سمة حدود اللباس للنساء. المسلمة طاهرة الجوارح تحافظ على جسدها بتغطيته، واللباس الشرعى الذى يجب أن ترتديه المرأة المسلمة له شروط معينة منها : أنه لباس يتناسب مع أدب الشرع الإسلامى ، فهو يغطى جميع الجسم ما عدا الوجه واليدين ، وسميك بحيث لا يصف ما تحته من أعضاء الجسم ، وفضفاض بحيث لا يبرز النهود والخصور والأرداف ونحوها ، وغير مشابه للباس الرجال . وفى الجملة فهو لباس يغطى جسدها ويظهر وقار المرأة .

آداب الزواج فى الإسلام :

يقف الله تعالى ضد إطلاق العنان للغريزة الجنسية ، لتنطلق بغير حدود ولا ضوابط ، كما قاوم النزعة المضادة لذلك ، وهى كبت هذه الغريزة ، وتعطيل وظيفتها ، منافاة لحكمة الله تعالى الذى ركبها فى كيان الإنسان وفطره عليها ، ومصادمة لسنَّة الحياة التى تستخدم هذه الغرائز ليبقى النوع وتستمر الحياة. من أجل هذا دعا الإسلام إلى الزواج ، فلا يحل للمسلم أن يعرض عن الزواج ، مع القدرة والاستطاعة عليه ، بدعوى الانقطاع عن الدنيا ، والتفرغ للعبادة ، ويمكن سرد بعض الآداب فى مجال شريعة الزواج علىٰ النحو التالى :

سمة أصول الزواج الشرعي. المسلم طاهر الجوارح يراعى الشريعة الإسلامية، عند التفكير فى الزواج وتكوين أسرة فى مبدأ اختياره ، وفى مشروع خطبته ، وفى عقد زواجه . وتكوين الأسرة يبدأ عند شعور الرجل بالحاجة إلى الزواج ، وقد أرشد الرسول ﷺ إلى ما ينبغى أن تكون عليه الزوجة الصالحة .

ففى اختيار شريكة الحياة ، يتنازع أهواء الرجال : فبعضهم يأمل فى اختيار ذات الحسن والجمال ؛ وبعضهم يتألق أمام عينيه بريق الجاه والمال ؛ وبعضهم يتمنى أن يختار ذات الحسب والنسب ؛ وبعضهم ينشد ذات الدين الخالص ليطمئن إلى أمانتها وعفتها وشرفها . والإسلام جعل المقياس الصحيح لمعرفة صلاح المرأة ، ما أجاب الرسول ﷺ على من سأله : أى النساء خير ؟ فقال : «التى تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه فى نفسها ولا فى ماله بما يكره» [رواه النسائى وأحمد واللفظ للنسائى]، وكانت توجيهات الرسول ﷺ فى اختيار الزوجة التى تصلح لبناء الأسرة هو ما قاله : «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرقاء سوداء ذات دين أفضل» [رواه ابن ماجه].

وفى خطبة شريكة الحياة ، أباح للرجل أن ينظر إلى المرأة ويتعرف صفاتها الحسية والنفسية، حتى يطمئن على حسن اختياره ، ويقدم على الزواج مرتاح الضمير ، منشرح الصدر ، طيب النفس ، وللمرأة كذلك أن تعرف خاطبها حتى ترضى به ، ولا شك أن رضا المرأة أمر لابد منه لصحة عقد الزواج، فإن كانت بكرًا فإذنها صمتها ، وإن كانت ثيبًا أى التى جرَّبت الزواج فإنها تجهر برأيها . والرجل الصادق فى خطبة من وقع عليها اختياره ، يباح له رؤية خطيبته مع التوسط والاعتدال . فليس من الإسلام التزمت والمغالاة فى حجب الخاطب عن المخطوبة ، وليس من التحلل ترك المخطوبة مع الخاطب يغشيان الملاهى والمتنزهات .

وفى ارتباطه بالخطيبة يعقد عقد الزواج بين الرجل وولى المرأة وشاهدى عدل ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها وشاهدى عدل فنكاحها باطل» (كررها ثلاث مرات) [رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه]. وعقد الزواج الذى يجب أن يُشهر ويعلن عنه ، يعتبر من العقود البالغة الأثر فى حياة الأسرة والمجتمع ، ولهذا سمَّاه الله تعالى ميثاقًا غليظًا يثير فى نفوس المؤمنين الشعور بالحرص على احترامه والتزامه وتعهده بما يقويه ، فهو تعاهد يستتبع كثيرًا من الحقوق والواجبات ، وينشأ عنه كثيرًا من الأواصر والصلات ، ويقوم على أساسه بناء الأسر والعائلات ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الفرقان (54) :

«وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجعلهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا»

كما أنه يقوم على حفظ النسب ، وينشأ عنه التوارث ، وتقوى به الروابط ، وتصان به الحرمات والكرامات .

سمة أصول المعاشرة الزوجية. المسلم طاهر الجوارح يعاشر زوجته بالمعروف، ويراعى أولادهما بالنفقة والتربية والتعليم . والزواج هو عقد وثيق ربط الله تعالى به بين الرجل والمرأة . والإسلام يضفى على الزواج معنى فلسفيًا خاصًّا يسمو به عن الجنس ويصوره بهاتين الصورتين البليغتين :

* الحياة الزوجية تحافظ على الرجل من الانزلاق ، وتخفف عنه من شدائد الحياة ومكروهاتها ، وتحفظ جسد المرأة عن الأنظار الشرهة ، فالزواج حصن للرجل وستر للمرأة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (187) :

« . . . هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ . . . »

وهو تعبير يوحى بمعانى الاندماج والحياة والستر يحققها كل منهما .

* الحياة الزوجية تمازج روح بروح ، ونفس بنفس فينتج عن هذا التمازج هدوء واستقرار ، واطمئنان يظللها المودة ، وتشيع فيها الرحمة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الروم (21) :

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»

فالزوجة نعمة ورحمة ومودة ، لأن الله تعالى جعلها للزوج من جنسه ليشعر بأنها من نفسه ، فيسكن إليها ، ويُجمِّل بها حياته ، فهى منبت أولاده وأحفاده .

ولكل من الزوج والزوجة حقوق للآخر لابد أن يرعاها ، ولا يجوز لأى منهما أن يُفرط فيها ، فالزوج المسلم ينفق على زوجته فى المسكن والمعيشة والملبس ، ويعاشرها بالمعروف ، ويراعى أنوثتها ، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «وفى بضع أحدكم صدقة» قالوا : يا رسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : «أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وِزْرَ ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر» [رواه مسلم وأحمد]، وقد ذكر الرسول ﷺ أن ممارسة الزوج لزوجته جنسيًا عمل يؤجر عليه .

سمة أصول التعدد فى الزوجات. المسلم طاهر الجوارح يعدل بين زوجاته فى الحقوق ، إذا تزوج بأكثر من واحدة ، ويحد أقصى أربعًا . فقد أباح الإسلام تعدُّد الزوجات ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (3) :

« . . . فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ . . . »

والمبررات العلمية والدينية لتعدد الزوجات عديدة ترجع إلى خصائص الطبيعة أو إلى ضرورات المعيشة ، وهى على النحو التالى :

* قد يكون من الرجال ما هو راغب فى النسل بقوة ، ولكن زوجته عاقر ، فقد يرى الرجل أن يتزوج بأخرى للإنجاب ، مع الاحتفاظ بزوجته الأولى معززة مكرمة .

* قد يكون من الرجال ما هو راغب فى الجنس بقوة ، ولكن زوجته فاترة جنسيًا ، أو ذات مرض مزمن ، فقد يرى الرجل أن يتزوج بأخرى ، حتى يمكنه من كثرة الإفضاء ، مع الاحتفاظ بزوجته الأولى معززة مكرمة .

* قد يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال ، وخاصة فى أعقاب الحروب ، فمن مصلحة المجتمع عامة ومصلحة النساء خاصة أن يكن ضرائر عن أن يعشن عوانس ، ويُحرمن من نعمة المودَّة ، ونعمة الأمومة .

وقد وضع الإسلام قيودًا وشروطًا وأحكامًا لتعدد الزوجات ، وأساسها العدل بين الزوجات عدلاً ملموسًا فى الأمور التالية : (1) الحقوق المرضية بالإنفاق فى المسكن والملبس والمأكل والمشرب ؛ (2) المعاشرة الحسنة فى التعامل والمبيت فى المسكن ؛ (3) الواجبات الزوجية من معاشرة عاطفية واتصال جنسى . ومن لم يثق فى نفسه القدرة على أداء هذه الحقوق والواجبات بالعدل والسوية ، حُرِّم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (3) :

« . . . فإنْ خِفْتُمْ ألاَّ تَعْدِلُوا فوَاحِدَةً أوْ ما مَلَكَت أيْمَانُكُمْ ذلِكَ أدْنَىٰ ألاَّ تعُولُوا»

أما العدل غير المستطاع وهو الميل القلبى لإحدى الزوجات على حساب الأخريات ، فقد عفا الله تعالى عنه وسامح فى شأنه ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (129) :

«ولَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ولَوْ حرَصْتُمْ فلا تَمِيلُوا كُلَّ المَيْل . . .»

والعدل فى هذه الآية الكريمة يقصد به الميل القلبى أو المحبة القلبية ، الذى لا يستطيعه الإنسان . وقد طلب الله تعالى من الزوج ألا يفرط ويميل لإحداهن كل الميل ، فيذر الأخرى كالمعلَّقة ، التى لا هى زوجة ولا هى مطلقة ، مهملة من العطف والمحبة .

سمة أصول الطلاق الشرعى. المسلم طاهر الجوارح يستنفد جميع الوسائل المبينة فى الشريعة الإسلامية قبل أن يطلق زوجته ، ويتبع شريعة الله تعالى والرسول ﷺ فى سبيل الطلاق . فالإسلام لم يعط الرجل الحق فى تطليق زوجته تبعًا لهوى النفس ، إنما وضع قيودًا على سبيل الطلاق ، حتى ينحصر الطلاق فى أضيق الحدود .

والإسلام يعتبر الزواج ميثاقًا بين الرجل والمرأة عُقِدَ على أساس من التفاهم المتبادل، والاندماج العاطفى، والرباط المقدس، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (187):

« . . . هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ . . . »

لذلك كان لزامًا على كل من الزوجين حقوق متكافئة للآخر لابد من مراعاتها دون التفريط فيها، إلا فيما خصَّت الفطرة به الرجال، وهى درجة القوامة والمسئولية كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (228):

« . . . وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ . . . »

فقد أوجب الإسلام على الزوج الصبر والاحتمال على ما لا يعجبه من سلوك زوجته، كما أوجب على الزوجة أن تعمل على استرضاء زوجها بما عندها من دلال وأنوثة، وحذَّرها أن تبيت وزوجها غاضب منها، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا . . . وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط . . .» [رواه ابن ماجه].

وإذا لاحظ الزوج، بصفته رب الأسرة، مظاهر النشوز والعصيان على زوجته، فيحق للزوج أن يستخدم سلطانه على الزوجة حين تأخذها العزَّة بالإثم فتحاول أن تستعلى عليه، وتأبى طاعته. فينبغى على الزوج أن يكون رفيقًا بها، يعالجها بالكلام الطيب المؤثر ليبصرها بما قد ينشأ عن الشقاق والخلاف والعناد من عواقب وخيمة.

فإذا لم تنجح هذه الوسيلة، لجأ إلى وسيلة أخرى تشعرها بهوان قدر أنوثتها، وتثير فى نفسها الإحساس بالألم، وذلك بأنه يهجرها فى مضجعها، فيدير لها ظهره، أو ينام بعيدًا عنها. فإذا لم تفلح هذه الوسيلة أيضًا، فله عندئذ أن يستخدم حقه المشروع فى ردِّها عن غيِّها بالضرب الخفيف الذى لا يشين

لحمًا ولا يكسر عظمًا ، ليردها إلى طبيعة شعور الأنثى بالضعف أمام الرجل ، وهو شعور تجد فيه الرضا ، وترى فيه اللذة ، لأنه ينبع من طبيعتها .

فإذا لم تنجح أيضًا هذه الطريقة ، اضطر الزوج والزوجة إلى اللجوء إلى حكَم من أهله وحكَم من أهلها ، عسى أن يوفقوا ما بينهما ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (34 و 35) :

« ... فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ واللاَّتِي تخافُون نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ في الْمَضَاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ فإن أطعنكُم فلا تبغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كانَ عليًّا كبيراً ۞ وإنْ خفتُم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا مِّنْ أَهْلِه وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوفِّقِ اللَّهُ بيْنهُما إنَّ الله كان عليمًا خَبِيرًا»

فإذا فشلت كل هذه المحاولات ، أجاز الإسلام الطلاق ، فهو رخصة شرعية للضرورة حين تسوء العشرة.

وقد وضعت الشريعة الإسلامية قيودًا على سبيل الطلاق ، حتى ينحصر فى أضيق الحدود . فالطلاق بغير استيفاء الوسائل العديدة الأخرى ، يصبح طلاقًا محظورًا ومحرَّمًا . والإسلام منح المسلم ثلاث تطليقات فى ثلاث مرات ، أى مرَّة بعد مرَّة ، فالجمع بين الثلاث تطليقات فى لفظة واحدة يعتبر طلقة واحدة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (229) :

«الطَّلاقُ مَرَّتَان فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوف أوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَان ...»

فالآية الكريمة تدل على أن الطلاق مرتان ، ولم يقل الطلاق طلقتان . وإيقاع الطلاق على المرأة يكون فى طُهرٍ لم يمسسها فيه ، وليست حائضًا، أو نفساء ، إلا إذا كانت حاملاً وقد استبان حملها ، وهو على النحو التالى :

* عندما يطلق الزوج زوجته الطلقة الأولى ، وجب على المطلقة أن تبقى فى بيت الزوجية مدَّة العدَّة ، ويحرَّم على الزوجة أن تخرج من البيت ، كما يُحرم على

الزوج أن يخرجها منه ، على أمل التراجع عن الطلاق ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الطلاق (1) :

«ا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فطَلِّقُوهُنَّ لعدَّتِهِنَّ وأَحْصُوا العِدَّة ...»

أما إذا انقضت العدَّة ، ولم يراجعها الزوج ، أصبح طلاقه طلقة بائنة (أى الطلاق الذى لا يملك المطلق معه حق الرجعة) ، ولابد من عقد زواج جديد ، ومهر ترتضيه المطلقة ، إذا أراد إعادتها إلى عصمته بعد موافقتها .

* عندما يطلق الزوج زوجته الطلقة الثانية ، بعد أن يعاود النفور والشقاق، وتعجز جميع الوسائل عن تصفية الجو بينهما ، وجب عليه أن يتبع نفس الطريقة التى نفذت فى الطلقة الأولى . فللزوج أن يراجع زوجته فى العدَّة بغير عقد زواج أو يعيدها بعد العدَّة بعقد زواج جديد .

* عندما يطلق الزوج زوجته الطلقة الثالثة ، دليلاً على أن النفور والشقاق بينهما أصبح مستحكمًا ، تنقطع بذلك الصلات الثنائية ، فإذا أراد إعادتها إلى عصمته ، لا يحل له أن يعقد عليها إلا إذا تزوجت زوجًا آخر بعد انتهاء عدتها من الزوج الأول زواجًا شرعيًا صحيحًا مقصودًا لذاته ، لا لمجرد تحليلها للزوج الأول.

فالإسلام منح الزوجين الحق فى إعادة العلاقة الزوجية بعد الطلقة الأولى، وبعد الطلقة الثانية ، ثم حرَّم عليهما العودة بعد الطلقة الثالثة ، إلا بعد أن تتزوج غيره ثم يطلقها ، ويعتبر هذا أقوى رادع للزوج من ممارسة حقه فى الطلاق ، ومانع من إيقاع الطلاق .

آداب الفرج فى الإسلام :

يأمر الله تعالى بحفظ الفروج ، تطهيرًا لها ، وتذكية لأصحابها من عذاب النار ، وحتى تستقيم الحياة بكل القيم الشريفة التى عرفتها البشرية من فضيلة وأخلاق أمر بها الخالق البارئ فى كل رسالات السماء . ويمكن سرد بعض الآداب فى مجال شهوة الفرج على النحو التالى :

سمة إباحة التنظيم للنسل. المسلم طاهر الجوارح لا يمنع النسل إلا لأسباب وجيهة ومقنعة. فالإسلام حبَّب فى كثرة النسل ، لأن الغرض منه هو بقاء النوع الإنسانى ، ولكنه رخص للمسلم فى تنظيم النسل ، إذا دعت إلى ذلك دواع معقولة وضرورات معتبرة، ومنها : (1) الخشية على حياة الأم أو صحتها من دوام الحمل أو أثناء الوضع ، إذا عرف بواسطة طبيب ثقة ؛ (2) الخشية من قبول الحرام، وارتكاب المحظور من أجل الأولاد ؛ (3) الخشية على الأولاد من أن تسوء صحتهم، أو تضطرب تربيتهم ؛ (4) الخشية على الرضيع من حمل جديد ووليد جديد ، مترتبًا عليه إفساد اللبن ، وإضعاف الولد .

ولما كانت المدة المثلى فى نظر الإسلام بين كل ولدين هى 30 أو 33 شهرًا لمن أراد أن يتم الرضاعة ، فإنه قد يترتب على ذلك الإمساك عن نكاح النساء مدة الرضاع ، وفى ذلك مشقة على الرجال، وخاصة الشباب أرباب الشهوة . وقد استحدث فى هذا العصر من الوسائل الكفيلة بمنع الحمل ، بما يحقق حماية الرضيع من الضرر ، مع حق الزوج فى جماع زوجته طيلة هذه المدَّة .

سمة إباحة الإسقاط للحمل. المسلم طاهر الجوارح يمنع إسقاط الحمل إلا لضرورات قوية تمنع ذلك ومنها : خشية موت الأم أثناء الوضع ، ولا منفذ سوى إسقاطه ؛ وخشية نزول الجنين مشوهًا ، فيعيش حياته فى ألم وتعاسة له ولمن حوله . وقد حرم الرسول ﷺ إسقاط الحمل بعد وجوده فعلاً ، حتى ولو جاء هذا الحمل عن طريق سفاح . فالرسول ﷺ لم يقبل أن يقيم الحد على امرأة حملت من زنا حتى تضع مولودها وتتم رضاعته ، إذ لا ذنب للطفل . واتفق الفقهاء على أن إسقاط الحمل بعد نفخ الروح فيه جريمة وهو حرام، لأنه جناية على حى .

سمة إباحة الاستمتاع بالحائض. المسلم طاهر الجوارح يحل له ما فوق الإزار من امرأته وهى حائض أو نفساء . فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : «كان الرسول ﷺ يأمر إحدانا إذا كانت حائضًا وأراد أن يباشرها أن تأتزر ، ويباشرها

فوق الإزار» ، ويفهم من ذلك أنه قال : «اصنعوا كل شيء إلا النكاح». فيحرم الوطء فى فرج المرأة وهى حائض أو نفساء ولو بحائل ويجوز للرجل الاستمتاع بجسد إمرأته الحائض إذا أمن على نفسه التعدى على الفرج لقلة شهوة .

سمة إباحة الوجوب للعدة. المسلم طاهر الجوارح يراعى وجوب المرأة لعدتها قبل زواجه منها ، إذا كانت أرملة ، أو مطلقة ، أو حاملاً ، أو بلغت سن اليأس . وقد نظم القرآن الكريم عدَّة المرأة فى مختلف الحالات على النحو التالى:

* المرأة الأرملة أى المتوفى زوجها ، مدَّة عدَّتها أربعة أشهر وعشر ليالٍ ، كما يفهم من قول اللهتعالى فى سورة البقرة (234) :

«وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يتربَصن بأنفسِهنَ أربعة أشهُرٍ وعشرا . . . »

فتكون قد استوفت العدَّة التى أمر الله تعالى بها ، وجعلها وفاء للزوجية السابقة.

* المرأة المطلقة ، مدَّة عدَّتها ثلاث حيضات للتأكد من ضمان براءة الرحم خشية أن يكون قد علق به حمل من الزوج السابق ، كما يفهم من قول اللهتعالى فى سورة البقرة (228) :

« وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ ما خلقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . . . »

فلابد من هذا الاحتياط منعًا لاختلاط الأنساب .

* المرأة الحامل مدَّة عدَّتها هى أن تضع حملها طال الزمن أو قصر ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الطلاق (4) :

« . . . وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ . . . »

فالحامل يجب أن تضع حملها أولاً قبل زواجها من آخر .

* المرأة البالغة سن اليأس ، أو التى انقطع عنها الحيض عامة سواء كانت صغيرة أو كبيرة فى السن ، مدَّة عدَّتها ثلاثة أشهر ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الطلاق (4) :

«وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِسَائِكُمْ إِن ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ . . .»

وبذلك لا يحل للمرأة الزواج بآخر إلا بعد التأكد من فوات مدة عدتها طبقًا للحالات السابق ذكرها .

آداب البطن فى الإسلام :

يأمر الله تعالى الناس أن يأكلوا من طيبات ما خلق لهم من نبات وحيوان، وألا يتبعوا مسالك الشيطان التى تزين لبعض الناس أن يُحرِّموا ما أحلَّ الله تعالى. فحرمهم من مذاق الطيبات ، وأن يحلُّوا ما حرَّم الله تعالى فأرداهم فى مهاوى الضلال . ويمكن سرد بعض الآداب فى مجال شهوة البطن على النحو التالى :

سمة مراعاة المأكل الشرعية. المسلم طاهر الجوارح يستطيب طعامه وشرابه بأن يعدهما من الحلال الطيب الخالى من شوائب الحرام ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (172) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ . . .»

والطيب هو الحلال الذى ليس بمستقذر . كما أنه ينوى بأكله وشربه التقوية على عبادة الله تعالى ، ليثاب على ما أكله وشربه . ويمكن الرجوع إلى الباب الثانى من هذا الكتاب «طهارة الأخباث» للتعرف على الأعيان الطاهرة والمتنجسة .

سمة مراعاة الذكاة الشرعية. المسلم طاهر الجوارح يأكل ما حلَّله الله تعالى من حيوانات برِّية بشرط أن يذكى تذكية شرعية . والذكاة الشرعية المباحة إنما تتم بشرط استخدام آلة حادَّة فى قطع الحلق أى الحلقوم والمرِّىء ، لإزهاق روح الحيوان بأقصر وأسرع طريق يريحه بغير تعذيب ، مع ذكر اسم الله تعالى على الذبيحة أثناء الذبح ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأنعام (118) :

«فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ»

وهذا هو بمثابة إعلان بالإذن الإلهى لعملية ذبح الحيوان . أما الحيوانات البحرية كالأسماك ومشتقاتها فتؤكل بدون تذكية .

سمة مراعاة الاعتدال فى الأكل. المسلم طاهر الجوارح يتجنَّب الشبع المفرط، فهو لا يأكل حتى يجوع ولا يشرب حتى يعطش ، وإذا أكل لا يشبع حتى لا تمتلئ بطنه بالطعام والشراب ، ويصاب بالتخمة والكسل ، فيقعد عن العبادات التى تؤهله لكرامة الحياة الآخرة وسعادتها .

وكان الرسول ﷺ معظم وقته رابطًا حجرًا على بطنه اتقاءً للجوع وآلامه ، وما ذلك إلا ليقدم للمسلمين الأسوة والقدوة الحسنة ، والمثل فى القناعة ، والإحساس ببقية الناس من الفقراء والمساكين .

سمة مراعاة الضيافة الشرعية. المسلم طاهر الجوارح يؤمن بواجب إكرام الضيف ويقدره قدره المطلوب ، لقول الرسول ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» [من حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما]، فالمسلم يجب أن يلتزم فى شأن الضيافة بالآداب التالية:

* **آداب الدعوة للضيافة.** تشمل (1) دعوة الأتقياء دون الفساق والفجرة ؛ (2) غير مفضِّل الأغنياء دون الفقراء ؛ (3) غير قاصد التفاخر والمباهاة ؛ (4) متجنبًا دعوة من يشق عليه الحضور ، أو أنه يتأذى ببعض الحاضرين .

* **آداب الإجابة للدعوة .** تشمل (1) إجابة الدعوة فى موعدها إلا لعذر قاهر ؛ (2) غير مميز فى إجابة الدعوة بين الغنى والفقير ؛ (3) غير مفرق فى إجابة الدعوة بين بعيد المسافة وقريبها ؛ (4) ناويًا إكرام مضيفه لإجابة دعوته حتى يثاب عليها .

* **آداب الحضور للمضيف .** تشمل (1) مراعاة الوصول إلى مكان المضيف فى الموعد المحدد ، أى لا يعجِّل المجىء فيفاجئهم قبل الاستعداد للضيافة ، ولا يتأخر فيقلقهم مضطرين إلى انتظاره ؛ (2) مراعاة التواضع فى المجلس ، غير متصدِّر الجلسة إذا أجلس نفسه ، ويجلس فى المكان الذى يشير إليه المضيف ؛ (3) مراعاة الانصراف ، عن طيب نفس، حتى إذا جرى فى حقه تقصير من مضيفه .

* **آداب الاستضافة الحقة .** تشمل (1) مراعاة التعجيل بتقديم الطعام والشراب ؛ (2) مراعاة تقديم ما فيه الكفاية لضيوفه ، لا يبادر إلى رفع الأكل قبل أن يكف الضيوف عن الأكل ، (3) مراعاة مصاحبة الضيوف حتى خارج البيت عند تشييعهم.

محرمات الأعمال الغريزية

الأعمال الغريزية مجالاتها عديدة، ولكن سنكتفى بعرض سمات المحرمات فى مجال الجنس ، والزواج ، والفرج ، والبطن فقط .

حرمة الجنس فى الإسلام :

يعالج القرآن الكريم الفساد فى العلاقات الجنسية من البداية حتى النهاية. فلا يكتفى أن يصون الإنسان نفسه عن الوقوع فى الإثم ، بل عليه أن يمنع المقدمات التى قد توصله إلى فعل المحرمات . ويمكن سرد بعض المحرمات فى مجال غريزة الجنس على النحو التالى :

سمة التخلى عن النظر الشهوانى. المسلم طاهر الجوارح لا يطيل النظر إلى الجنس الآخر ، خوفًا من التلذذ والإشباع للغريزة الجنسية بغير الطريق الشرعى ، فيقع فى المحظورات ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النور (30 و 31) :

«قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ...»

موجهًا إلى كل من الرجال والنساء أن يغضوا من أبصارهم إلى الجنس الآخر . ويلاحظ أن الآيتين أمرتا بالغض من البصر وليس غض البصر ، فالغض من البصر قُصد به عدم تغلغل النظر إلى محاسن الجنس الآخر ، وعدم إطالة النظرة

الشهوانية له ، وبذلك خفَّض من بصره ، ولم يرسله طليق العنان ، يلتهم الغاديات والرائحات ، والغادين والرائحين ، وقد جعل الرسول ﷺ النظرات الشرهة الجائعة من أحد الجنسين إلى الآخر نتيجة إطالة النظرة الشهوانية ، زنا للعين ، كما يفهم من قوله : «العينان تزنيان وزناهما النظر» [من حديث رواه أحمد]. فإطالة النظرة الشهوانية خطر على خُلُق العفاف .

سمة التخلي عن النظر للعورات. المسلم طاهر الجوارح لا ينظر إلى العورات حتى ولو كان من نفس جنسه ، فقد نهى الرسول ﷺ عن النظر إلى العورات سواء كان بشهوة أو بغير شهوة ، قائلاً : «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد ، ولا المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد» [رواه مسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد]. وعورة الرجل التى لا يجوز النظر إليها من رجل أو من امرأة هى فيما بين السُّرة والركبة. أما عورة المرأة التى لا يجوز النظر إليها من رجل أجنبى عنها أو من امرأة غير مسلمة ، فهى تحدد بجميع بدنها ما عدا الوجه والكفين . وعورة المرأة التى لا يجوز النظر إليها من امرأة مسلمة تحدَّد ما بين السُّرة والركبة ، وهناك أجزاء من جسم المرأة محرم النظر إليها من امرأة أخرى إلا عند الضرورة كما فى حالات الوضع أو العلاج .

سمة التخلي عن التبرج الأنثوى. المسلمة طاهرة الجوارح لا تظهر محاسنها للرجال الأجانب عنها ، لأن خُلُق المرأة المسلمة هو الاحتشام والعفاف والحياء . أما خُلُق المرأة الجاهلية والمرأة المعاصرة عامة فهو التبرج والإغراء، وللتبرج صور ومظاهر عرفها الناس على مرِّ العصور ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأحزاب (33) :

«وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ . . .»

فالمرأة المتبرجة هى المرتدية لباس شفاف ليظهر مفاتن الجسد ، أو لباس ضيق

يبرز النهود والخصور والأرداف بصورة تهيج الغرائز ، وهذا يدخل ضمن معنى الكاسيات العاريات ، وهى المتزينة بروائح فائحة لتجذب الانتباه ، وهى الناعمة فى حديثها لتستثير الغرائز ، وهى ذات الإيماءة العابرة لتثير الشهوة . وكانت المرأة فى الجاهلية تضرب بقدميها عندما تمر بالرجال، ليسمعوا قعقعة خلخالها ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النور (31) :

« . . . وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ . . . »

وهذه دلالة على سوء نية المرأة فى لفت الأنظار إلى مفاتنها وزينتها . وقد شدَّد الإسلام فى أمر التستر للمسلمة ، ولم يرخص فى ذلك إلا شيئًا يسيرًا خفف به عن عجائز النساء المسلمات ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النور (60) :

«وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»

أى أن الله تعالى قد خفف عن النساء اللاتى توقفن عن الحيض ، ولا يطمعن فى الزواج ، وقعدن عن الولد ، إذا احتجن إلى ذلك .

سمة التخلى عن الخلوة بالأجنبيات. المسلم طاهر الجوارح لا يخلو بامرأة أجنبية عنه ، أى التى يحل له الزواج بها ، وذلك تحصينًا لهما من وساوس السوء، عند التقاء فحولة الرجل بأنوثة المرأة ولا ثالث بينهما إلا الشيطان، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَخْلُوَنَّ بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فإن ثالثهما الشيطان» [من حديث رواه أحمد]. ويؤكد القرآن الكريم على عدم الخلوة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأحزاب (53) :

« . . . وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ . . . »

وهذا يدل على أن مجانبة خلوة الرجل بامرأة تحل له أحصن لنفسه ، وأتم لعصمته ، وحذَّر الرسول ﷺ تحذيرًا خاصًا من خلوة المرأة بأقارب زوجها أو

أقاربها من غير محارمها ، لما يحدث عادة من تساهل فى ذلك بين الأقارب ، قد يَجُرُّ أحيانًا إلى عواقب وخيمة ، لأن الخلوة بالقريب أشد خطرًا من غيره ، وخاصة إذا تساهلت المرأة فى لبسها وزينتها بحجة أنها فى بيتها .

حرمة الزواج فى الإسلام :

ينظر القرآن الكريم إلى الجنس نظرة موضوعية ، فيدعو إلى الزواج ، لأنه لا يقر الرهبانية بكبت الغريزة الجنسية ، ولا يقر الإباحية بانطلاق الشهوة العنان. وبالرغم من أن الحياة الزوجية يجب أن تتمثل فى سكون النفس من الاضطراب الجنسى بالحب بين الزوجين ، إلا أن المعاشرة الزوجية يتخللها عدَّة محرمات نتيجة سلوك الزوج . ويمكن سرد بعض المحرمات فى مجال شريعة الزواج على النحو التالى :

سمة التخلى عن الزواج من المحرمات. المسلم طاهر الجوارح يحرص على ألا يتزوج من النساء المحرمات ، ويبتعد عن الأنكحة الفاسدة ، ويمكن توضيح هذه المحرمات على النحو التالى :

* **زواج المحرمات تحريمًا مؤبدًا.** يحرم الزواج من المحرمات بالنسب ، لقول الله تعالى فى سورة النساء (23) :

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ . . .»

ومن المحرمات بالمصاهرة ، لقول الله تعالى فى سورة النساء (22) :

«وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ . . .»

وقول الله تعالى فى سورة النساء (23) :

« . . . وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمَ اللاتي دخلتم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ . . .»

وقول الله تعالى فى سورة النساء (23) :

« ... وحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ ...»

ومن المحرمات بالرضاع ، قال الرسول ﷺ : «يحرم بالرضاع ما يحرم من النسب» [من حديث متفق عليه]. كما يحرم أبدًا على الرجل أن يتزوج امرأته التى يرميها بالزنى ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «المتلاعنان إذا تفرقا لا يجتمعان أبدًا» .

* **زواج المحرمات تحريمًا مؤقتًا** . يحرم الزواج من أخت الزوجة إلى أن تطلق أختها ، وتنقضى عدتها أوتموت ، لقول الله تعالى فى سورة النساء (23) :

« ... وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ ...»

ومن عمة الزوجة أو خالتها ، فلا تنكح حتى تطلق بنت أخيها أو بنت أختها ، وتنقضى عدتها أو تموت ، لقول أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : «نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها» ؛ ومن المحصنة أى المتزوجة حتى تطلق وتنقضى عدّتها ، لقول الله تعالى فى سياق بيان المحرمات فى سورة النساء (24) :

«وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ...»

ومن المعتدة من طلاق أو وفاة حتى تنقضى عدتها ، ويحرم خطبتها كذلك ، لقول الله تعالى فى سورة البقرة (235) :

« ... لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ...»

ومن المطلقة ثلاثًا حتى تنكح زوجًا آخر وتفارقه بطلاق أو موت ، وتنقضى عدتها ، لقول الله تعالى فى سورة البقرة (230) :

«فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ...»

ومن الزانية حتى تتوب من الزنى ، ويعلم ذلك منها يقينًا وتنقضى عدتها منه ،

فعن الرسول ﷺ أنه قال : «الزانى المجلود لا ينكح إلا مثله» [رواه أحمد وروى مثله بترتيب آخر أبو داود].

أما الأنكحة الفاسدة التى نهى عنها الرسول ﷺ فهى : (1) نكاح المتعة وهو النكاح لفترة معينة يحددانها لقاء أجر معين ، وحكم هذا النكاح البطلان ؛ (2) نكاح الشُغار وهو أن يزوج الولى وليته من رجل بشرط أن يزوجه هو وليته ، وحكم هذا النكاح أن يفسخ قبل الدخول ؛ (3) نكاح المحلل وهو أن تطلق المرأة ثلاثًا ، فتحرم على زوجها به ، فيتزوجها آخر قصد أن يحلها لزوجها الأول ، وحكم هذا النكاح البطلان ؛ (4) ونكاح المِحْرِم وهو أن يتزوج الرجل وهو محرم بحج أو عمرة قبل التحلل منهما ، وحكم هذا النكاح البطلان ؛ (5) النكاح فى العدَّة وهو أن يتزوج الرجل المرأة المعتدة من طلاق أو وفاة ، وحكم هذا النكاح باطل ، لقول الله تعالى فى سورة البقرة (235) :

« ... وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ... »

والنكاح بلا ولى وهو أن يتزوج المرأة الرجل بدون إذن وليها ، فهذا النكاح باطل، ونكاح الكافرة غير الكتابية ، لقول الله تعالى فى سورة البقرة (221) :

«وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ... » .

إنما أجاز الإسلام الزواج من الكتابيات ، فقد أباح مصاهرتهن لقول الله تعالى فى سورة المائدة (5) :

« ... وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ... »

وهذا لون من التسامح الإسلامى .

سمة التخلى عن الجماع للحائض. المسلم طاهر الجوارح لا يباشر زوجته وهى حائض . فقد حرم الله تعالى إتيان الرجل لزوجته أثناء الحيض ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (222) :

«وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ»

سمة التخلى عن الطلاق من الحائض. المسلم طاهر الجوارح لا يرمى يمين الطلاق ــ إذا كان لا مفر من ذلك ــ على امرأته إلا فى الوقت المناسب. وقد حدد الإسلام الوقت المناسب، وهو أن تكون المرأة طاهرة وليس بها حيض ولا نفاس، وألا يكون قد جامعها زوجها فى هذا الطهر خاصة، إلا إذا كانت حاملاً، واستبان حملها. وجدير بالذكر، أن الحلف بالطلاق عامة غير جائز، لأن اليمين فى الإسلام صيغة واحدة، وهى الحلف بالله تعالى فقط.

سمة التخلى عن الهجر للزوجة. المسلم طاهر الجوارح لا يمارس «الإيلاء» فى حياته الزوجية، أى الحلف على عدم جماع الزوجة، وهجر فراشها عن مغاضبتها. فقد حرم الإسلام على الزوج أن يغاضب زوجته، فيهجرها فى الفراش، ويمتنع عن قربانها وجماعها مدة لا تتحملها أنوثتها. فإذا أكد هذا الهجر بيمين منه ألا يجامعها، أُعطى مهلة أربعة أشهر، عسى أن تهدأ فيها نفسه، وتسكن ثائرة غضبه، ويراجع فيها ضميره، فإذا عاد إلى رشده، واتصل بها قبل فوات المدة أو فى آخرها، فإن الله تعالى يغفر له ما فرط منه، ويفتح له باب التوبة، وعليه أن يُكفِّر عن يمينه. أما إذا مضت العدَّة ولم يرجع عن عزمه، ويتحلَّل عن يمينه، فإن امرأته تُطَلَّق منه جزاءً وفاقًا على ما أهمل فى حقها، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (226 و 227):

«لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»

ولفظ «يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ» يعنى يحلفون على البعد عنهن.

حرمة الفرج فى الإسلام :

يحرم القرآن الكريم العلاقات الجنسية غير الطبيعية ، لأنها تسبب الآلام النفسية وتجلب التلوث بالجراثيم، وتؤدى إلى الأمراض المعدية، فإذا أُطلق العنان لهذه الغريزة الجنسية بلا رادع يردعها ، فإنها تؤدى إلى انحطاط الإنسان إلى مرتبة الحيوان ، وإفساد الفرد والأسرة والمجتمع ، واختلاط الأنساب ، ويمكن سرد بعض المحرمات فى مجالات شهوة الفرج على النحو التالى :

سمة التخلى عن الاستمناء باليد. المسلم طاهر الجوارح لا يستعمل فرجه إلا فى الحلال ، وترويض نفسه على تهدئة ثورته الغريزية بالانشغال فى عمل نافع، أو صيام عدة أيام ، أو مزاولة الرياضة ، وبالطبع الابتعاد عما يثير غرائزه الجنسية . ويلجأ بعض الشباب إلى استخراج المنى من جسده مستعملاً يده، ليطفئ بذلك شهوته الجنسية ، وتعرف هذه الطريقة «بالاستمناء باليد» أو«العادة السرية» . وقد حرَّمها أكثر العلماء مستدلين على ذلك بقول الله تعالى فى سورة المؤمنون (5 - 7) :

«وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ * إِلاَّ علىٰ أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أيمانُهم فإنَّهم غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وراءَ ذَلكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ»

فالمستمنى بيده قد ابتغى لشهوته موقفا جنسيًا أو امرأة خليعة .

سمة التخلى عن الزنا الفاحش. المسلم طاهر الجوارح لا يزنى ، إذ حرَّمت جميع الأديان السماوية الزنا ، لما يؤدى إلى الجناية على النسل ، واختلاط الأنساب ، وانحلال الأسر ، وتفكك الروابط ، وانتشار الأمراض السرية ، كالسل والزهرى والإيدز ، وانهيار الأخلاق ، لقول الله تعالى فى سورة الإسراء (32) :

«وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سبيلاً»

والزنا فى الإسلام من كبائر المحرمات ، وقد وصف الله تعالى الزنا بأنه فاحشة شديدة القبح ، وقرنها بالشرك بالله تعالى ، وقتل النفس . وقد شرع الإسلام عقوبة

شديدة لكل من الزانى والزانية ، ليطهر المجتمع من مفاسدهم ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النور (2) :

«الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ولا تَأْخُذْكُم بِهِما رَأْفَةٌ في دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ»

وتدعو هذه الآية إلى إقامة هذه العقوبة فى مشهد عام تحضره طائفة من المسلمين ، ليكون ذلك أوجع فى نفوس الزناة ، وعبرة لغيرهما .

سمة التخلى عن الجماع من الدبر. المسلم طاهر الجوارح يتجنب الدُّبر عند مباشرة زوجته، وقد سألت امرأة من الأنصار الرسول ﷺ عن وطء المرأة فى قُبلها من ناحية دُبُرها ، فتلا الرسول ﷺ قول اللهتعالى من سورة البقرة (223) :

«نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ . . .»

ثم قال «صمامًا واحدًا» ، أى أقبل وأدبر ما كان فى قُبُل المرأة وهو موضع الحرث. وللرجل أن يحدِّد هيئات المباشرة مع امرأته وكيفيتها .

سمة التخلى عن الشذوذ الجنسى. المسلم طاهر الجوارح لا يباشر الشذوذ الجنسى ، وأحد مظاهره اللواط ، فهذا العمل الخبيث يعتبر إنتكاسًا فى الفطرة ، وجناية على حق الأنوثة. واللواط أمر بشع تتقزَّز منه النفوس الآدمية الطاهرة ، ولا يقترفه إلا من فقد إنسانيته ، وقد حكم الرسول ﷺ على الفاعل والمفعول به بالقتل فى قوله : «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول به» [رواه الترمذى]. وقد ذكر القرآن الكريم عن قوم لوط الذين ابتكروا هذه الفاحشة فى قول الله تعالى فى سورة الشعراء (165 و 166) :

«أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ»

فكانوا يتركون نساءهم أو زوجاتهم ، ليأتوا تلك الفاحشة المحرمة .

حرمة البطن في الإسلام :

يحرم القرآن الكريم أطعمة حيوانية معينة، فالناس على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم ، بين متطرف فى ترك الأطعمة الحيوانية ، ومسرف فى تناولها . أما الأطعمة النباتية ، فلم يعرف للبشر خلاف كثير فى شأنها . والشريعة الإسلامية لم تحرم من الأطعمة والأشربة النباتية إلا ما صار خمرًا سواء ما أُتخذ من شعير أو تمر أو عنب أو أى مادة أخرى ما دامت قد تخمَّرت، وكذلك حرَّم ما يُحدث الخدر والفتور وكل ما يضر بدن الإنسان، إذ أن هناك قاعدة عامة فى الشريعة الإسلامية هى أن كل ما يضر فأكله أو شربه حرام. ويمكن سرد بعض المحرمات فى مجال شهوة البطن على النحو التالى :

سمة التخلى عن المآكل المنكرة. المسلم طاهر الجوارح يتجنب تعاطى الأطعمة الحيوانية من ميتة حيوان ، ودم مسفوح ، ولحم خنزير، وما أُهِلّ لغير الله به . وقد فصَّل القرآن الكريم المحرمات الأربعة إلى عشرة أصناف ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (3) :

> «حُرِمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ والدَّمُ وَلَحْمُ الْخنزير وَمَا أُهِلَّ لغَيْرِ اللَّه به والْمُنْخنقةَ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِح عَلى النُّصُبِ»

وقد ذكرت الأصناف الأربعة الأساسية أيضًا فى سورة البقرة (173) ، وسورة الأنعام (145) . وقد نهى الرسول ﷺ عن أكل لحوم كل ذى ناب من السباع وذى مَخلَب من الطير ، ويمكن الرجوع إلى الباب الثانى «طهارة الأخباث» للتعرف على الأطعمة المحرمة ، والحكمة من تحريمها .

سمة التخلى عن المشارب المنكرة. المسلم طاهر الجوارح يتجنَّب تعاطى المشروبات الكحولية التى تحدث الإسكار ، بصرف النظر عن المادة التى صنعت

منها . فقد حرَّم القرآن الكريم شرب الخمر تحريمًا قاطعًا ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (90 و 91) :

«يا أيُّها الَّذين آمنُوا إنَّما الْخَمْرُ والْمَيْسرُ والأنْصابُ والأزْلامُ رجسٌ منْ عمل الشَّيْطَان فاجْتَنبُوهُ لعلَّكُم تُفْلحُون ۞ إنَّما يُريدُ الشَّيْطَانُ أن يُوقع بيْنَكُم العَدَاوَةَ والْبغْضَاءَ في الْخَمْرِ والْمَيْسرِ ويصُدَّكُم عن ذكْر اللَّه وعَن الصَّلاة فهل أنْتم مُنتهُون»

ويمكن الرجوع إلى الباب الثانى «طهارة الأخباث» للتعرف على المشارب المحرمة، والحكمة فى تحريمها .

سمة التخلى عن المدخنات المنكرة. المسلم طاهر الجوارح يتجنَّب تعاطى المخدرات التى تُحدث فتورًا فى الجسد ، وخدرًا فى الأعصاب ، وهبوطًا فى الصحة، وضعفًا فى الشعور . فالمتعاطون للمخدرات ينسون أنفسهم ودينهم ودنياهم ، ويهيمون فى بحر من الخيال لمدة ساعات ، بعدها يفيقون نادمين على ما فعلوا . هذا بالإضافة إلى ما يحدث من فقدان المال، وخراب البيوت ، وضياع الوظائف؛ لذلك حرَّم الإسلام هذه الخبائث ومن ضمنها التبغ ، فقد ثبت ضرره الصحى والنفسى والخلقى والاجتماعى .

سمة التخلى عن الشموم المنكرة. المسلم طاهر الجوارح يتجنب تعاطى الشموم كالهيروين وما شابه الذى يحدث فتورًا فى الجسد مثله مثل المخدرات ، وأحيانًا كثيرة يموت المتعاطى من جراء كمية كبيرة من هذه السموم . هذا بالإضافة إلى حقن هذه السموم فى جسد الإنسان ، لذلك حرم الإسلام هذه الخبائث ، واعتبرها مثل المخدرات والمسكرات .

* * *

الباب الخامس

طهارة القلب

الفصل الأول : سمات الأخلاق الربانية

الفصل الثاني : سمات الأخلاق النبوية

الفصل الثالث : سمات الأخلاق الإنسانية

الباب الخامس

طهارة القلب

طهارة القلب هى إحدى مراتب الطهارة الباطنة التى توجب على المسلم أن ينبض قلبه بوحدانية الله تعالى ، وأن يخلص قلبه لذات الله تعالى ، وأن يفرغ قلبه لمحبة اللهتعالى ، وأن يهب قلبه لطاعة الله تعالى ، وأن يتخلق قلبه بمكارم الأخلاق . فيكون المسلم الطاهر القلب خيرًا لما أراد اللهتعالى بشرعة الطهارة.

وقد تحدث القرآن الكريم عن القلب كجارحة من جوارح الإنسان ذاكرًا المعنى الروحى له كلطيفة ربانية ، ومهملاً المعنى المادى له كعضلة صنوبرية الشكل تخفق فى الجانب الأيسر من صدر الإنسان .

والقلب الذى أودعه الله تعالى فى كيان الإنسان ، جعله مصدر الصلاح والفساد فيه ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب» [رواه البخارى ومسلم وابن ماجه والدارمى] . فسلامة القلب هى فى احتفاظه بالفطرة التى فطر الله تعالى الناس عليها ، فيصبح مهيأ لقبول كل ما هو حق وخير ، وفى هذا سلامة الإنسان من الغواية والضلال ، واستقامة على طريق الهدى والإيمان . أما فساد القلب فهو فى تغير هذه الفطرة وفسادها فيصبح مهيًأ لأن يكون عرضة للتذبذب والتقلب ، وفى هذا نزول الإنسان إلى بؤرة التضليل والإغواء، فيضلون عن سبيل الله ، ويركبون الغواية ، ويمتثلون لوسوسة الشيطان .

فالقلب الذى يحتفظ بفطرته هو ميزان ضابط لكل ما يعرض له من طيب وخبيث ، فيتعرف على حقائق الأمور ، ويفرق بين صحيحها وزيفها ، فإذا مر به طيب انشرح صدره ، وإن مر به خبيث ضاق صدره . والمؤمن يحتاج دائمًا إلى أن يثبت قلبه ويحفظه من الوساوس ، ويتعهده بذكر الله تعالى ومراقبته على الدوام، والحذر من الغفلة باستمرار ، إذ إن من خصائص القلب أنه عرضة للتذبذب والتقلب ، فمن الدعاء المأثور عن الرسول ﷺ أنه قال : «يا مقلب القلوب، ثبت قلبى على دينك» [رواه الترمذى وأحمد].

ومن الجدير بالذكر ، أن القرآن الكريم استخدم لفظ «القلب» للدلالة على التفكُّر ، فالقلب كالعقل المفكر ، أى أن القلب يميز بين الطيب من الخبيث . وقد استخدم أيضًا للدلالة على البصيرة ، فالقلب كالعين المبصرة ، أى أن القلب يكشف الحقائق ولبها ، فعين الإنسان هى بصره ، أما قلبه فهو بصيرته ، وشتان ما بين البصر والبصيرة . فما أكثر عمى العيون والأبصار الذين سلكوا مسلك الهدى ، وما أكثر عمى القلوب والبصائر الذين اقتحموا موارد الضلال .

ويصف القرآن الكريم القلب بأوصاف طيبة يرتفع بها الإنسان إلى أعلى عليين ، وأوصاف خبيثة ينزل بها الإنسان إلى أسفل سافلين ، مما يدل على أن هذا القلب هو مستودع العواطف الطيبة والمشاعر الخبيثة ، كما أن له معطياته المؤثرة فى سلوك الإنسان ، وفى تقلبه للخير ، أو استهوائه للشر .

صفات القلوب السوية :

هناك قلوب تحتفظ بالفطرة التى فطر الله تعالى الناس عليها ، وهذه القلوب مهيأة لأن تقبل الهدى ، وتستجيب للخير ، وتتحسس الحق . وقد ذكر الله تعالى فى القرآن الكريم صفات هذه القلوب ، وهى على النحو التالى :

صفات القلوب السليمة. هى القلوب التى يحتفظ أصحابها بالفطرة التى فطر الله تعالى الناس عليها، وفى هذا سلامة الإنسان من الغواية والضلال، واستقامته

على طريق الهدى والإيمان . لقول الله تعالى فى سورة الشعراء (88 و 89) .

«يوْمَ لا يَنفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إلاَّ منْ أتى اللَّه بِقلبٍ سليمٍ»

فالقلوب السليمة هى موازين دقيقة يهتدى بها أصحابها إلى مواقع الهدى .

صفات القلوب المطمئنة. هى القلوب التى يعرف أصحابها مسالك الخير، والتى يراقب أصحابها الله تعالى فى كل أعمالهم ، والتى يذكر أصحابها الله تعالى فى كل أوقاتهم ، والتى تنير لأصحابها ظلمات هذه الحياة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الرعد (28) :

«الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهم بِذِكْرِ اللَّه ألا بذكر الله تطْمئنُّ الْقُلُوبُ»

والاطمئنان القلبى درجات بعضها فوق بعض ، ففى أحوال يكون القلب مطمئنًا ، ثم يعرض له عارض يذهب بهذه الطمأنينة .

صفات القلوب المؤمنة. هى القلوب التى يذوق أصحابها طعم الاطمئنان فى ظل إيمانها، لا تصبر على ما يدخل عليها من منكر القول أو الفعل ، ولا تستسيغ مرارة ما تجده من طعم المنكر . ولهذا فإن هذه القلوب تراجع نفسها وترجع إلى ربها من قريب ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأعراف (201) :

«إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائفٌ مِّنَ الشَّيْطان تذكَّرُوا فإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ»

أى تذكروا حالهم من التقوى ، بعد أن دخل عليها المنكرات ، وعندئذ يرجعون إلى الله تعالى فتشرق شمس تقواهم من جديد .

صفات القلوب المنيبة. هى القلوب التى يخشى أصحابها الله تعالى ويخافون من عقابه ، لأن ذلك أدعى إلى طاعته وسلوك الطريق المؤدِّى إلى رضائه والفوز بنعيمه ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة ق (31 - 33) :

«وأُزْلِفَت الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا ما تُوعدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفيظٍ * مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنيبٍ»

فالقلب المنيب ، على أكمل كمالاته وأعلى منازله ، هو قلب الرسول ﷺ .

صفات القلوب الخاشعة. هى القلوب التى يستشعر أصحابها لطف الله تعالى وإحسانه ، ويتصورون عظمته ، فتخضع قلوبهم وتلين . فلا يصدر عنهم من الأفعال والأقوال إلا كل خير ، لأنهم يعلمون أن الله تعالى مطّلع عليهم ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحديد (16) :

«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ . . .»

أى ألم يأت الوقت للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم عند ذكر الله تعالى ؟

صفات القلوب التقية. هى القلوب التى تقى أصحابها عذاب الله تعالى وسخطه فى الدنيا والآخرة ، بالوقوف عند حدوده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحج (32) :

«ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ»

فثمرة تقوى القلوب هى نور البصيرة الذى يفرق بين الحق والباطل .

صفات القلوب المستكينة. هى القلوب التى يتلقى أصحابها المكاره بالقبول من عند الله تعالى ، وهى التى يتحلى أصحابها بالصبر ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الفتح (4) :

«هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ . . .»

فالصبر هو النفحة الروحية التى يعتصم بها المؤمن، فتدخل قلبه السكينة.

صفات القلوب الهادية. هى القلوب التى يتذكر أصحابها فى ساعة اليأس أن هناك ملاذًا يلجأون إليه ، وأن ربهم قادر على معونتهم . فليس هناك ما يدعوهم إلى اليأس والجزع ، فيهدى القلوب وتهون المصائب ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة التغابن (11) :

«مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ . . .»

أى أن التـأييد ممدود لأصحـاب هذه النوعيـة من القلوب .

صفات القلوب غير السوية :

هنـاك قلوب تتغير فطرتهـا وتفسد لأى عـارض قد تتعرض له ، وهذه القلوب مهيأة لأن تضل عن سواء السبيل ، وتستهوى الشيطـان . وقد تـحدث القرآن الكريم عن صفـات هذه القلوب ، وهـى على النحو التـالى :

صفات القلوب المريضة . هـى القلوب التى يستولى على أصحابهـا الهوى ، ويـغلبهـا الشيطـان ، فتضل عن سبيل الله تعـالى ، كمـا يفهم من قول الله تعـالى فى سورة البقرة (8 - 10) :

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ»

فقد زاد الله تعـالى هذه القلوب مرضًا إلى مرض ، بـأن صرف عنهـا الدواء الذى يذهب بدائهـا ، فـاستشرى فيهـا المرض ، واستغلظ الداء .

صفات القلوب المزاغة. هـى القلوب التى يستولى على أصحابهـا الزيـغ ، فنفرت من كل خير تدعى إليه ، كمـا يفهم من قول الله تعـالى فى سورة الصف (5) :

«وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ»

فـالزيـغ إنمـا يكون بمجـانبـة الحق ومجـافـاته بعد معرفته.

صفات القلوب القاسية. هـى القلوب التى يعرض أصحـابهـا عن تذكر خـالقهم، فيكون ذلك داعيًا لقسوة قلوبهم التى ينتج عنهـا الشر، كمـا يفهم من قول الله تعـالى فى سورة الحديد (16) :

«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ»

فحذَّر الله تعالى من الوصول إلى هذه الحالة المقيتة .

صفات القلوب اللاهية. هى القلوب التى غلب على أصحابها اللهو واستبد بهم الهوى ، فهم فى غلفة عن الخالق البارئ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأنبياء (1 - 3) :

«اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۞ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ»

فذكر الله تعالى مَطْهرة للقلوب ، الصدأ .

صفات القلوب المتكبرة. هى القلوب التى ينصرف أصحابها عن سماع ما أنزله الله تعالى على رسله من البيانات والهدى ، لأنه كتب عليهم الضلالة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة غافر (35) :

«الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ»

فالكبرياء رذيلة اجتماعية تغرس العداوة بين الناس فتقضى على المحبة .

صفات القلوب الغليظة. هى القلوب التى يشتد غيظ أصحابها ، ويفقدون الرشد والصواب ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة آل عمران (159) :

«فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ. . .»

فالإنسان فى وقت غضبه ، لا يرى صوابًا ، ويتصرف بأسلوب فظ .

صفات القلوب المنافقة. هى القلوب التى ختم الله تعالى على ما فيها من كفر وشرك ونفاق ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (6 و 7) :

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»

فمن يكفر بالله تعالى ويشرك به ، كان أشقى الناس فى حياته ، بخلاف المؤمن الذى يحيا حياة بالإيمان الراسخ .

صفات القلوب المعمية. هى القلوب التى فى ضلال ، فتصاب هذه القلوب بالعمى ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المطففين (10 - 15) :

«وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ»

وحجابهم عن ربهم هو أنهم يحرمون من النعيم برؤيته جل شأنه يوم القيامة.

فالقلب الذى أعرض عن خالقه ، وانشغل بالدنيا وحدها ، فسار فى طريق الهلاك والضلال والخسران بسبب ما اقترف من ذنوب ، يعتبر مريضًا . وأمراض القلب العاصى تجمع ما بين الهم والحزن وضيق الصدر والخوف والذل . ويمكن سرد آثار المعاصى والذنوب التى يرتكبها الإنسان على النحو التالى :

* المعصية تزيل النعم ، وتحل النقم ، فالمسلم يُحرم الرزق لذنب يصيبه ، فالذنب تعسير للأمور ، وضلال للطريق .

* المعصية تفسد العقل ، وتطفئ نوره ، وتطبع عليه ، فيكون من الغافلين. فالعلم نور يقذفه الله تعالى فى القلب ، والمعصية تطفئ ذلك النور.

* المعصية تسبب ظلمة ووحشة يجدها العاصى فى قلبه ، لا تزيلها لذات الدنيا بأسرها ، ولو اجتمعت له وحشة بينه وبين الناس ، وخاصة أهل التقوى منهم . وهذا الأمر لا يحس له إلا ذو قلب حى .

* المعصية تضعف القلب عن إرادته ، وبذلك تضعف إرادة التوبة ، فينسلخ من القلب استقباح المعصية ، وتذهب بالحياء الذى هو حياة القلب ، وأصل كل خير.

* المعصية تسبب هوان العبد على الله تعالى ، فينساه الخالق البارئ ويتركه ، بمعنى أن يطلب العبد العزة بطاعة الله تعالى ، فالمعصية تورث الذل فى حين إن الطاعة تورث العز .

* المعصية تسبب حرمان دعوة الرسول ﷺ والملائكة للمسلم . فقد أمر الله تعالى رسوله الكريم بأن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات .

فارتكاب المعاصى صغيرها وكبيرها من أمراض القلب ، ولا دواء لهذه الأمراض إلا بتركها . ولا يتأتى ذلك إلا بتصفية القلب من رذائل الأخلاق ، فإن الجنة هى المأوى وإن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم ، والنعيم والجحيم ليسا مقصورين فقط على دار الآخرة ، بل فى دار الدنيا أيضًا .

* * *

والقلب المؤمن يتعلق تعلقًا دائمًا بالله تعالى ، وطهارة قلب المؤمن تكون باتخاذه الخالق البارئ مثلاً أعلى له ، ويتأتى هذا بتصفية قلبه من الأخلاق المذمومة والأوصاف المرذولة كالرياء والعجب ، والكبرياء ، والطمع ، والتفاخر ، والتعالى ، وغيرها . وأنه إذا ما تخلَّى عن كل هذه الأخلاق والأوصاف المذمومة ، عليه أن يُحلِّى قلبه بالطهر والنقاء ، ويُجمِّله بالأخلاق الحميدة كالإخلاص ، والأمانة ، والتواضع ، والقناعة ، والزهد ، والورع ، وغيرها من الأخلاق الربانية والنبوية والإنسانية . وهو بذلك يكون قد جمع بين التحلِّى بمكارم الأخلاق ، والتخلِّى عن رذائلها . وبذلك يصبح المؤمن بقلب سليم ، ويصير بقلب خالص لله تعالى ، يقذف الله تعالى فى قلبه نورًا ، فيسير بين الناس قدوة طيبة ، وأسوة حسنة.

وهذه الأخلاق الحميدة هى أخلاق الإسلام بسماته وصفاته . وشتان بين أخلاق العرب فى الجاهلية ، وأخلاقهم بعد دخول الإسلام على أيدى خاتم

الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ، فعندما كان جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه عند النجاشى ، صوَّر له كيف كانت أخلاق العرب قبل الإسلام ، وكيف صارت به، وماذا فعل الإسلام بهؤلاء العرب حين اتبعوه ، وتفاعلوا معه ، وانفعلوا به ، وكيف تبدلت الأوضاع العقائدية والسلوكية والأخلاقية فقال : «كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام».

والأخلاق لا تظهر فى حقيقة الأمر إلا من خلال علاقة بين إنسان وآخر . فهناك ارتباط تام بين الأخلاق والعلاقات الإنسانية . فالإنسان لا يمكن أن يعيش وحده منعزلاً عن الجماعة من حوله، فلا يمكن أن يقال عن الإنسان أنه فرد ذو خُلُق فاضلة ، أو ذو خُلُق مرذولة ، دون علاقة بالآخرين. والإنسان يقوم فى كل لحظة من اللحظات بتقويم الأشخاص الذين يتعامل معهم أخلاقيًا ، وبذلك تحتاج الأخلاق إلى مرجعية تستند إليها ، وهى تلك الملكة أو القدرة الذاتية الكامنة فى كيان الإنسان ، وهى الرقيب الذى يطلق عليه الضمير . وسنقدم فى الفصول التالية صورة حقيقية عن مكارم ورذائل الأخلاق الربانية والنبوية والإنسانية .

* * *

الفصل الأول : سمات الأخلاق الربانية

الأخلاق الربانية هى الأخلاق الإنسانية فى أسمى صورها ، لأنها أخلاق تتجاوز إطار الذاتية المحضة التى تدمِّر أجمل ما فى الإنسان ، ومفهوم الأخلاق فى الإسلام ينطلق من قيم ثابتة أساسية ، ترتبط بالإنسان أساسًا ، وهى قيم لا تتغير فى أصولها ، لأنها ترتبط بالنفس الإنسانية التى تنطلق من معتقدها فى الإيمان بالله تعالى إلى التقوى والعمل الصالح . فالأخلاق هى طابع السلوك كله، ومجموع التصرفات فى مختلف المجالات ، فلا تختلف من جيل إلى جيل ، أو من عصر إلى عصر ، أو من بيئة إلى بيئة ، وإنما تتماثل . ولما كانت المجتمعات دائمة التغيير ، فإن الأخلاق فى الإسلام تجمع بين الاستقرار فى المبادئ . والمرونة فى التطور .

وفى ضوء النظرة الإسلامية المتكاملة التى تبحث العلاقة بين الخالق والإنسان ، وبين الإنسان والإنسان ، وبين المخلوقات والإنسان ، تتحدد تلك الأخلاق الربانية . فالمحور الأساسى للإسلام هو الربانية ، والرسالة الإسلامية تقوم على دعامتين هما الإيمان والإحسان ، والإيمان بالله تعالى يؤدى بطبيعته إلى تقوى الله تعالى ، أى مراقبته فى السر والعلن ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه . وهذا الإيمان فى حَدِّ ذاته مُؤَدٍّ إلى هذا الإحسان ، لأن المؤمن بالله تعالى لابد أن يدرك رسالته فى هذه الحياة الدنيا التى يحياها .

والمسلم الحق يعيش فى مجتمع ربانى يأتمر فيه الجميع بأمر الله تعالى . وليس ذلك بالأمر الغريب ، فإن إيمان المسلم بربه ، يجعله يتخذ من الله تعالى مثله الأعلى . واتخاذ الإنسان مثلاً أعلى شرط من شروط إنقاذه من ذاتيته التى

تهدد أمنه وطمأنينته ، حيث إنه بدون وجود هذا المثل الأعلى ، تكون حياة الإنسان أبعد ما تكون عن هذه الحياة الإنسانية ، وأقرب ما تكون إلى الحياة الحيوانية . فالربانية تعنى أن يتمثل الإنسان فى نفسه جلال الخالق البارئ وبديع خلقه ، فهى التى ترفع الإنسانية إلى الدرجة العالية الجديرة بالإنسان ، فقوة الإنسان الحقيقية هى هذا الإيمان بجانب السيرة الطيبة الناتجان عن رسوخ معانى كلمة «لا إله إلا الله» .

وتجدر الإشارة إلى نماذج من مكارم الأخلاق الربانية للتطلع إليها والتشبُّه بها ، ونماذج أخرى من رذائل الأخلاق الربانية لنبذها وتجنبها ، وسنقدم بعضًا من هذه النماذج فى الجدول رقم (15) .

جدول رقم (15) : سمات الأخلاق الربانية

مكارم الأخلاق الربانية	رذائل الأخلاق الربانية
★ سمة الإيمان والوحدانية لله	★ سمة الكفر والإنكار لله
★ سمة الإخلاص والعبادة لله	★ سمة الشرك والظلم لله
★ سمة الرحمة والخشية لله	★ سمة البغض والنسيان لله
★ سمة التقوى والمراقبة لله	★ سمة العداوة والمعصية لله
★ سمة المحبة والمناجاة لله	★ سمة المراءاة والنفاق لله
★ سمة التوكل والشكر لله	
★ سمة الاستغفار والتوبة لله	

مكارم الأخلاق الربانية

الأخلاق الربانية التى يجب على الإنسان أن يتحلَّى بها فى حياته الدنيا هى الأخلاق الحميدة كالإيمان بالله تعالى ووحدانيته ، وإخلاصه لله تعالى

وعبادته ، ورحمة الله تعالى وخشيته ، وتقوى الله تعالى ومراقبته ، ومحبة الله تعالى ومناجاته ، وتوكل على الله تعالى وشكره ، واستغفار الله تعالى والتوبة إليه ، ونستعرض سمات هذه النماذج من مكارم الأخلاق الربانية ، وهى على النحو التالى :

سمة الإيمان والوحدانية لله :

المسلم طاهر القلب يؤمن بالله تعالى ووحدانيته ، فهو الذى يعتقد فى وجود الله تعالى الذى لم يسبق بعدم . ولا ينتهى بعدم ، والذى يتصف بالكمال والجمال والجلال . ويتحقق الإيمان حين تحتل العقيدة مكانها من قرارة النفس والضمير ، ويصحبها الاطمئنان إليها ، والحرص عليها بمقتضاها ، والسير على هداها ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحجرات (15) :

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»

والمؤمن الصادق هو صاحب العقيدة القوية الذى يرتاح إليها ويحرص على تحقيقها ، ثم لا تزيده المحن والشدائد إلا تماسكًا بها ، وحرصًا عليها ، وعملاً بها . يقول الله تعالى فى سورة التغابن (11) :

«مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ»

فالإيمان عندما يكون مقرونًا بالعمل الصالح ، يترتب عليه مرضاة الله تعالى ومكافأته فى الدار الآخرة ، كمايفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (25) :

«وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ . . .»

فالإنسان فى هذه الحياة يعيش وسط تيار جارف بين الآلام والمصاعب ، فمن لا يؤمن بالله تعالى كان أشقى الناس فى حياته الدنيا والآخرة . والإيمان بالله تعالى يدخل فيه الإيمان بملائكته ورسله وكتبه والقضاء والقدر واليوم الآخر .

أمـا الـتـوحـيـد فـهـو القـاعدة الأولى الـتـى يـجب الاعتـقـاد ، والإقـرار بـهـا ، والإعلان عنها بكلمة «لا إله إلا الله» ، ومعناها لا معبود بحق إلا الله . فالله تعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، بمعنى أنه ليس كمثله شىء ، فهو الفرد الصمد المستحق الحمد ، وهو الخالق الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

والإنسان الذى آثره الله تعالى على غيره بالخلافة ، وفضله على كثير ممن خلق ، وزوده بمختلف المواهب والملكات ، مدين بحياته ، وبما وصل إليه من علم وحضارة ورقى لخالقه ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الروم (20) :

«ومِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ»

فتوحيد الله تعالى هو تكوين الوحدة الإنسانية ، عكس ما يكون من تفرق الناس حول آلهة مختلفة باطلة . والقرآن الكريم يدعو إلى الوحدانية لله تعالى .

سمة الإخلاص والعبادة لله :

المسلم طاهر القلب يتحلّى بالإخلاص لله تعالى وحسن عبادته . فهو الذى يأتى بأعمال لا يشوبها رياء ، فى أعماله الدينية أو الدنيوية، قاصدًا بذلك وجه الخالق ورضاه ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البينة (5) :

«وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . . .»

فالإخلاص يجمع بين الصفاء وهو الصدق فى القول والعمل مع الله تعالى ومع النفس ومع الغير ، والمروءة هى أن تعمل فى السر مالا تستحى منه فى العلانية. وجميع الأعمال تتكيف بالنية الخالصة ، فتصح الأعمال وتفسد تبعًا للنية ، فالعالم القدير الذى يدعو إلى الله تعالى ليقال إنه عالم ؛ والغنى الذى ينفق ماله ليقال إنه كريم ، وكل من يعمل عملاً ليقول عنه الناس أنه يعمل ، وهو فى الحقيقة يبحث عن المظهرية وكسب المنفعة الشخصية فقط . فالإخلاص من أعمال القلب لأنه يتعلق بالقصد والنية والهدف من العمل . والعمل المخلص هو الذى لا يكون الباعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وحده .

أما العبادة فهى منتهى الطاعة مع غاية الخضوع لله تعالى . وأهم الأمور التى يقوم عليها معنى حسن العبادة هى أن تكون عبادة العبد خالصة لله تعالى وحده ، لا يشرك فيها غيره ، ولا يراد سوى مرضاته ؛ وأن يصبر العبد على العبادة فالصبر نصف الإيمان وأن يداوم على العبادة ، فأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلت ، وهذه الأمور تقوم على صدق الإيمان بالله تعالى، والشعور بأن الإنسان مهما يجتهد فى عبادته فلن يوفيه حقه عليه . ويمكن القول أن حسن العبادة هو الاقتداء بالرسول ﷺ بنية صالحة وخالصة .

فالمسلم الحق يعبد الله تعالى بمنهج إلهى دقيق ، لا تطغى فيه الدنيا على الآخرة؛ ويتقرب إليه بإتيانه بفرائض الشعائر ونوافلها ، وتركه المحرمات واجتنابه المنهيات؛ ويتوسل إليه بقيامه بصالح الأعمال ، وتفوهه بطيب الأقوال؛ ويتودد إليه بذكره لأسمائه الحسنى ، وتمعنه فى صفاته العليا .

سمة الرحمة والخشية لله :

المسلم طاهر القلب يتحلًى برحمة الله تعالى وخشيته . فهو الذى يبتغى رحمة الله تعالى ، فرحمته واسعة . والإنسان فى قيامه بالطاعات واجتنابه . النواهى، هو دائمًا فى صفاء نفس، وطهارة روح، وطيبة قلب، لا تفارقه الرحمة، إذ إنه رحيم بطبيعته . والرحمة لها آثار خارجية ومظاهر حقيقية ينتج عنها خدمات اجتماعية ، كإغاثة الملهوف ، ومساعدة الضعيف ، وإطعام الجائع، وكسوة العارى ، ومداواة المريض ، ومواساة الحزين وغيرها .

فالإنسان يعتريه دائمًا مصاعب ومتاعب طيلة حياته ، فينظر أحيانًا إلى الحياة بنظرة متشائمة مليئة بالتعاسة والشقاء والأحزان والآلام . فإذا كانت نفسه مطمئنة فهى قادرة على معالجة هذه المشاكل مستعينة بالصبر.. أما إذا كانت نفسه أمارة ، فيضل الطريق ، ويتعذب فى حياته ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سوة الحجر (56) :

«قالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحمَةِ رَبِّهِ إلاَّ الضَّالُّونَ»

فرحمة الله تعالى قريبة من الناس إذا سألوه أن يمنحهم إياها .

أما الخشية فهى من الدعائم التى قامت عليها الحياة الروحية لأنها تسمو بالإنسان إلى الخير، ولولا خشية الله تعالى لاسترسل الإنسان فى شروره، وانكبَّ على شهواته، وقد داوم القرآن الكريم على تذكير الإنسان بخشية الله تعالى، لأن ذلك أدعى إلى طاعته وسلوك الطريق المؤدى إلى رضائه والفوز بنعيمه، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النور (52) :

«وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ»

وخشية الله تعالى تعطى الإنسان شجاعة أدبية، فيبدى رأيه بصراحة . والقرآن الكريم يقرن الخشية بالرجاء، فهى من أقوى المؤثرات فى أعمال الإنسان التى تربى الضمير الإنسانى، وتجعله فردًا صالحًا فى المجتمع .

سمة التقوى والمراقبة لله :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بتقوى الله تعالى ومراقبته فى كل أعماله، فهو الذى يتَّقى الله تعالى فيما يغضبه . والمتقون هم الذين يقون أنفسهم عذاب الله تعالى وسخطه فى الدنيا والآخرة، وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (197) :

« ... وتزوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزَّاد التَّقوىٰ ... »

وقد وصف الله تعالى التقوى بأنها صيانة النفس من كل ما يضر ويؤذى، والابتعاد عن كل ما يحول بين الإنسان والغايات النبيلة التى بها كماله فى بدنه وروحه. وقد ذكر القرآن الكريم كثيرًا من صفات أهل التقوى، فهم الذين يؤمنون بالله وملائكته ورسله وكتبه والقضاء والقدر واليوم الآخر؛ وهم الذين يتصدقون على ذوى القربى واليتامى والمساكين؛ وهم الذين يعبدون الله تعالى ويقيمون

الشعائر من صلاة وزكاة وصوم وحج ؛ وهم الذين يوفون العهود التى قطعوها على أنفسهم ؛ وهم الذين يصبرون على فقرهم أو مرضهم ؛ وهم الذين يعدلون بين الناس ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المائدة (8):

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تعملُون»

وقد ذكر القرآن الكريم ثمرات التقوى فى الناس فمنها : (1) تنوير البصيرة بين الحق والباطل واختيار طريق النجاة ؛ (2) وإتيان النصر والتأييد لعباد الله تعالى وتفريج الأزمات وحل المشكلات ؛ (3) نيل رحمة الله تعالى الواسعة ، وفوزهم بالثواب العظيم والنعيم الكبير فى الآخرة . فالتقوى من الفضائل الربانية التى أراد الله تعالى بها إحكام ما بين الإنسان والخالق ، وما بين الإنسان والمخلوقات .

أما المراقبة فهى إسلام الوجه لله تعالى . فالمسلم يلزم نفسه بمراقبة الله تعالى ، ويلزمها إياها فى كل لحظة من لحظات الحياة ، حتى يتم لها اليقين بأن الله تعالى مطلع عليها ، عالم بأسرارها ، رقيب على أعمالها ، قائم عليها وعلى كل نفس بما كسبت ، وبذلك تصبح مستغرقة بملاحظة جلال الخالق وكماله ، شاعرة بالأنس فى ذكره، واجدة الراحة فى طاعته، راغبة فى جواره، مقبلة عليه، معرضة عما سواه ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة لقمان (22) :

«وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ . . .»

وهذا هو ما درج عليه السابقون الأولون من السلف الصالح ، إذ أخذوا به أنفسهم حتى تم لهم اليقين ، وبلغوا درجة المقربين ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «... أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك» [متفق عليه].

سمة المحبة والمناجاة لله .

المسلم طاهر القلب يتحلّى بمحبة الله تعالى ومناجاته ، فهو الذى تفيض نفسه بعاطفة المحبة نحو خالقه لأنه واهب الحياة ومفيض النعم ، وصاحب الفضل ، الذى خلق فسوّى ، والذى قدّر فهدى . فمحبة الله تعالى من أهم القواعد فى بناء الأخلاق. والمسلم الذى يوطّد صلته بالله تعالى على أساس المحبة ، يحب كل شىء فى الوجود لأنه يتمثل الدنيا كلها فى صنع المحبوب ، فينسى البغض والحقد والانتقام والحسد وغيرها التى تفسد جمال الحياة .

وقد وصف الله تعالى حبه لعباده بأوصاف هى أمهات الأخلاق الكريمة ، ومنابع الفضائل العالية ، وعقيدة الإيمان الراسخة . فالله تعالى يحب أهل العدل والاعتدال ، وأهل الوفاء والتقوى ، وأهل العفو والإحسان ، وأهل الجهاد والصبر ، وأهل العقل والتوكل ، وأهل النظافة والطهارة . فمحبة الله تعالى لعبده هى مصدر سعادته ، لأنها تتبعها ولاية الخالق له ونصرته ودفاعه عنه.

أما المناجاة فهى نظر المسلم إلى ألطاف الله تعالى به فى جميع أموره ، وإلى رحمته له ولسائر خلقه فيطمع فى المزيد من ذلك ، فيتضرع له بخالص الضراعة والدعاء ، ويتوسل إليه بطيب القول ، وصالح العمل .

سمة الشكر والتوكل على الله :

المسلم طاهر القلب يتحلّى بالتوكل على الله تعالى وشكره . فهو الذى يجعل الله تعالى وكيله وكفيله، ويثق بعونه وفضله ، ويعتقد أنه يكفيه ويغنيه عن غيره، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الطلاق (3) :

«. . . وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . . .»

والتوكل على الله تعالى يكون بمجموع أمرين لابد منهما معًا أولهما هو: الاعتماد على الله تعالى والثقة به والإيمان بأنه بيده الملك وهو على كل شىء قدير ؛

وثانيهما هو الأخذ بالأسباب والوسائل التى ربط بها المسببات والنتائج ، ورتَّب عليها الآمال المنشودة ، وأمر باتباعها والتزامها والعمل على هداها .

فالمؤمن حين يمتلئ قلبه ثقة بالله تعالى وشعورًا بالاطمئنان إليه والاعتماد عليه ، يكون من القوة بحيث يستسهل الصعب ، ويستعذب المُر، ويستعصى على عوامل اليأس الذى تضعف القوة وتهدم الشخصية . والتوكل على الله تعالى قوة دافعة إلى العمل المثمر ، والأخذ بأسباب النجاح المشرِّف . والدين ليس تواكلاً وتكاسلاً ، وإنما هو إيمان راسخ يُعمِّر القلب .

أما الشكر فيعنى ظهور أثر نعمة الله تعالى على لسانه ثناءً واعترافًا ، وعلى قلبه شهودًا ومحبَّة ، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة . لهذا كان الشكر من مظاهر حسن عبادة الله تعالى . وقد وعد الخالق البارئ الشاكرين بأن يزيدهم نعمًا فى الدنيا ، ويحفظها لهم ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة إبراهيم (7) :

«وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»

ويعتبر كفران النعمة من أشنع أنواع الجحود والنكران ، ويعرضها إلى الزوال ، كما يؤدى إلى غضب الله تعالى ، والبعد عن رحمته .

سمة الاستغفار والتوبة لله :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بالاستغفار والتوبة لله تعالى ، وهو الذى يستعيذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم قبل أن يقرأ القرآن ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النحل (98) :

«فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»

فالمؤمن يحتاط دائمًا من غواية الشيطان ، والله تعالى قد دلَّ عباده على طرق وأساليب الشيطان لغوايته ، لأن الشيطان يريد للمؤمن أن يكون عاصيًا على أى شكل من أشكال المعصية . وقد أظهر القرآن الكريم أن المؤمن الطاهر القلب يصمد بيقينه وإيمانه أمام إغراءات الشيطان .

أما التوبة فهى من رحمة الله تعالى بخلقه ، فإن رحمته تفتح لعباده باب التوبة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة التوبة (15) :

« . . . وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»

والتوبة لها حكمة فى أنها تجعل الظالم لا يمضى فى الظلم ، بل يضع فى نفسه الأمل فى أن الله تعالى يتوب عليه ويغفر له ، ويتجه إلى العمل الصالح علّه يُكفِّر عما ارتكب من معاصى ، وفى ذلك حماية للناس من انتشار الظلم والفساد .

فالله تعالى يعلم عن عباده الغفلة والمعصية ، حين تأخذ الإنسان من منهج ربه إلى نفع عاجل ، فإذا استحضر صفات الله تعالى ، استغفر ربه نادمًا عما فعل . فالذى يعصى ثم يذهب إلى ربه تأدبًا وندمًا ومستغفرًا ، فإن الله تعالى لا يغفر المعصية فقط ، وإنما يقلب السيئة حسنة . وتشريع التوبة هو فرصة للعاصى أن يستغفر ربه ، ويعود لينتظم فى العبادة الإيمانية . والله تعالى حين يطلب من عباده التوبة ، فهو فى ذلك يرحم الناس من شراسة المعصية .

رذائل الأخلاق الربانية

الأخلاق الربانية الممقوتة التى يجب على الإنسان أن يتخلّى عنها خلال حياته الدنيا ، هى والعياذ بالله الكفر بالله تعالى وإنكاره ، والشرك بالله تعالى وظلمه ، وبغض الله تعالى ونسيانه، وعداوة الله تعالى ومعصيته ، ومراءاة الله تعالى ونفاقه ، ونستعرض سمات هذه النماذج ، وهى على النحو التالى :

سمة الكفر والإنكار لله :

المسلم طاهر القلب لا يكفر بالله تعالى ولا ينكره ، فالكفر نقيض الإيمان، والإنكار نقيض المعرفة لله تعالى . وكلا الكفر والإنكار يعتبران من كبائر الإثم، ولا يغتفر هذا الإثم ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة آل عمران (56) :

«فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وما لهم مِّن ناصرين»

فالكفر بالله تعالى مصدر كل الشرور ، فيجعل الإنسان منفلتًا من كل قيد ، منقادًا لهوى النفس ، لا يكبح شره أى شيء. وقد وصف القرآن الكريم الكافرين بوصف موجز جامع ، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (254) :

« . . . وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ»

والكفر يسبب فراغًا ووحشة فى النفس ، ويجعلها عرضة لليأس والقنوط والتشاؤم عند حلول المصائب ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة يوسف (87):

«يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا ييأسْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»

فالإنسان الذى خلقه الله تعالى ، وصوَّره فى أحسن صورة ، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له ، وخصَّه بالتكريم على سائر مخلوقاته ، هو فى أصل خلقته طيب الخُلق ، وطيب العنصر ، لكنه فى جنوحه إلى الكفر يهدر طيباته التى خصَّه الله تعالى بها ، وتكون عاقبته يوم القيامة ذلك العذاب الأليم .

أما الإنكار لله تعالى ، فهو إثم كبير ، والعياذ بالله تعالى من كل إثم ، لأن الكافر بالله تعالى ينكر وجود الخالق ، أو أنه غير قادر على الخلق ، أو أنه غير عادل فى أحكامه ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المؤمنون (117) :

«وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ»

وينكر أن القرآن الكريم هو من عند الخالق فى قول الله تعالى فى سورة فصلت (52) :

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شقاق بعيد»

وينكر أن هناك حياة أخرى يثاب فيها الإنسان عن عمله إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر . وينكر اليوم الآخر ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة التغابن (7) : .

«زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»

كما ينكر الشريعة الإسلامية الغراء ، بجهله وكرهه للخالق والعياذ بالله تعالى .

سمة الشرك والظلم لله :

المسلم طاهر القلب لا يشرك بالله تعالى ولا يظلمه، والشرك نقيض التوحيد، وقد اعتبر الله تعالى أن الشرك به هو من أكبر كبائر الإثم الذى لا يغتفر، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (48) :

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا»

والمشرك بالله تعالى يقرن عبادته بعبادة غيره من مخلوقاته . ويصف القرآن الكريم حيرة المشرك ، وسوء عاقبته ، فى قول الله تعالى فى سورة الحج (31) :

«حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ»

وقد اعتبر الرسول ﷺ الإشراك بالله تعالى فى مقدمة كبائر الإثم ، لأنه تعدٍّ وتجنٍّ فى حق الذّات الإلهية المتفردة بالخلق والتدبير لهذا الكون .

أما الظلم لله تعالى ، فيكون بالكفر به ، والشرك فى عبادته ، أى أنه يصرف بعض عباداته إلى غيره .

سمة البغض والنسيان لله :

المسلم طاهر القلب لا يبغض الله تعالى ولا ينساه ، لأن هذه الصفات المرذولة من كبائر الإثم . فهو الذى وجب عليه مراعاة الله تعالى فى أفعاله وأعماله ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة القصص (77) :

«. . . وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»

ويبغض الخالق أهل الظلم ، فيقول الله تعالى فى سورة آل عمران (57) :

« . . . وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ»

ويبغض أهل الإسراف والشراهة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأعراف (31):

« . . . وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»

ويبغض أهل الإلحاد والكفر ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الروم (45) :

« . . . إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ»

ويبغض أهل الطغيان والاستكبار ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النحل (23):

« . . . إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ»

هذه أوصاف القرآن الكريم للذين يبغضهم الله تعالى .

أما النسيان فهو نقيض الذكر ، ففاعله يوصف بالفسق ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحشر (19) :

« . . . أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»

فالتعلق الشديد بالدنيا وملذاتها وشهواتها ، والتنافس والتناحر بين الناس ، والانغماس فى ملذات الحياة ، أدَّى فى عصرنا هذا إلى نسيان الله تعالى، وعدم دوام ذكره إلا فى المناسبات الدينية ؛ كما جلب على الإنسان التعاسة والشقاء والأمراض النفسية التى أصبحت السِّمة الظاهرة لأمراض هذا العصر .

سمة العداوة والمعصية لله :

المسلم طاهر القلب لا يعادى الله تعالى ولا يعصيه ، لأن هذه الصفات المرذولة من كبائر الإثم . فهو الذى ينظر إلى ما لله تعالى عليه من نعم لا تُعد ولا تُحصى منذ أن كان نطفة عالقة فى رحم أمه ، فيشكره على هذه النعم بلسانه وبجوارحه وبكل ذرَّة فى بدنه . وينظر المسلم إلى علم الله تعالى به ، واطلاعه

على جميع أحواله ، فيمتلئ قلبه مهابة ونفسه له وقارًا وتعظيمًا ، فيخجل من عداوته ومعصيته ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة نوح (13 و 14) :

«مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا»

إذ ليس من الأدب أن يقابل العبد سيده بالقبائح والرذائل ، وهو ينظر إليه كما ينظر المسلم إلى شدة بطش الله تعالى ، وإلى قوة انتقامه ، وإلى سرعة حسابه فيتقيه بعدم معصيته ، فيقول الله تعالى فى سورة النور (52) :

«وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ»

إذ ليس من الأدب مع الله تعالى أن يسىء الظن به ، فيعصيه ويخرج عن طاعته .

سمة المراءاة والنفاق لله :

المسلم طاهر القلب لا يرائى الله تعالى ولا ينافقه . وقد اعتبر الله تعالى الرياء فى عبادته من كبائر الإثم ، وهو الشرك الأصغر ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الماعون (4 - 6) :

«فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ»

فمن يريد بعبادته غير وجه الله تعالى ، تكون عبادته باطلة، لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا له . فالذين يطلعون الناس على ورعهم وتقواهم ليقال أنهم من الصالحين ، ثم يأتون ما تشتهيه أنفسهم من المعاصى خفية ، هم الذين يراءون الله تعالى ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «من سمَّع سمَّع الله به، ومن يُرائى يُرائى الله به» [رواه أحمد وابن ماجه]، فالرياء مُحبط للأعمال .

أما النفاق فى العقيدة ، فهو أن يظهر الإنسان إيمانه ولكنه يبطن الكفر بهذه العقيدة . وقد اعتبر الله تعالى النفاق من كبائر الإثم أيضًا . فالمنافقون يفعلون المنكر فى الخفاء وينهون عنه فى العلانية ، ويتركون الحق فى الخفاء ويأمرون بالمعروف فى العلانية ، ويبخلون فى التصدق وينفقون القليل فى

العلانية . كما أنهم يعرضون عن الله تعالى ، ويقومون إلى الصلاة كسالى متباطئين ، ويقللون من ذكر الله تعالى إلا أمام الناس . وهم بنفاقهم يحسبون أنهم يخادعون الله تعالى . وقد حذَّر القرآن الكريم المنافقين ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (138) :

«بَشّرِ الْمُنَافقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَليماً»

فالنفاق مدعاة لاقتراف الأخلاق الذميمة كالرياء ، والخداع ، والمداهنة ، والغدر، والكذب ، والخيانة ، والخسَّة . وهذه كلها آفات تفتك بالأمة وتحيلها إلى أمة متخاذلة لا تنهض برسالتها فى الحياة .

* * *

الفصل الثانى: سمات الأخلاق النبوية

الأخلاق النبوية هى الأخلاق الإنسانية الحميدة التى اتصف بها الرسول ﷺ قبل وبعد بعثته. فمن حكمة الله تعالى وفضله أن هيأ لرسوله ﷺ قبل أن يبعثه بالرسالة العظمى، جميع أسباب الشرف والرفعة، وعلو المنزلة، ووفر فيه جميع الخصال التى تؤهله للقيام بأعباء هذه الرسالة التى اصطفاه واختارها له.

فقد نشأ الرسول ﷺ من أول أمره وحتى مماته، متحليًا بكل خلق كريم، مبتعدًا عن كل وصف ذميم، فهو أعلم الناس، وأرجحهم عقلاً، وأفصحهم لسانًا، وأقواهم بيانًا، وأكثرهم حياءً، وأحسنهم تأديبًا، وأكثرهم أدبًا وأوفرهم حلمًا، وأكملهم قوة، وأصدقهم حديثًا، وأوسعهم رحمة، وأكرمهم نفسًا، وأعلاهم منزلة، وأوفاهم أمانة، وأصدقهم كلامًا، فقد مدح الله تعالى الرسول ﷺ بما يعلى قدره فوق جميع الأقدار، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة القلم (4) :

«وإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»

ولما بعثه الله تعالى بالنور والهدى، زاده الخالق البارئ قوة فى هذه الخصال الحميدة إلى قوته ، حتى بلغ الحد الأعلى الذى يمكن أن يصل إليه إنسان. وقد بين الرسول ﷺ الغاية العظمى من رسالته حيث قال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» [رواه الإمام أحمد]، وقول الله تعالى فى سورة الأنبياء (107) :

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»

وقول الله تعالى فى سورة التوبة (128) :

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ»

فالحرص على خير أمته ورأفته ورحمته بالمؤمنين أجمعين، كان خلقاً من أخلاقه، بل إنه كان المثل الأعلى فى كل ما عرف الناس من مكارم الأخلاق. وقد جمع الله تعالى فيه ما تفرَّق من الفضائل فى الأنبياء قبله وأكمل هذه الفضائل، فكان المثل الأعلى، والقدوة الطيبة، والأسوة الحسنة فى كل فضيلة. ولهذا أمر الله تعالى باتباعه فى كل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير أو خلق، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأحزاب (21) :

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً»

وقد دوَّن كثير من العلماء والفقهاء ما جاءهم عن الرسول ﷺ، وبما يتعلق بأخلاقه خاصة. فأوردوا ما يتصل بأخلاقياته من خوفه ورجائه، وخشيته لربه، وجوده وإيثاره، وحيائه ووفائه، وصدقه وأمانته، وإخلاصه وشكره، وصبره وحلمه، وكثرة احتماله، ورفقه بأمته، وحرصه على التيسير على أمته، وعفوه وشجاعته، وتواضعه وقناعته، وعدله وزهده، وصلته لرحمه، وكثرة تبسمه، وعفته وغيرته، إلى غير ذلك من الأخلاق النبوية الحميدة .

من ذلك يتضح أن الرسول ﷺ يعتبر أفضل خلق الله تعالى على الإطلاق، وأرفع نموذج بشرى، وأعظم إنسان تتمثل فيه مكارم الأخلاق. فالمتأمل فى حياة الرسول ﷺ، يجد فيها أمثل منهج، وأقوم طريق، وأكرم خلق، وأعظم مثال. فمن كان يرجو عون الله تعالى وخيره ونصره ورضاه فى الدنيا، ومغفرته ونعيمه وأمنه فى الآخرة، هو أن يقتدى بالرسول ﷺ، ويتبعه فى كل ما شرعه بقوله وفعله وتقريره. فهذا هو السبيل الوحيد إلى حب الله تعالى، وما ينشأ عنه من خير، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة آل عمران (31) :

«قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ عفُورٌ رَحِيمٌ»

فقد بين الله تعالى أن اتباع الرسول ﷺ هو الوسيلة إلى حبه عز وجل ومغفرته ورحمته، ورحمة الله تعالى تفسر بما ينشأ عنها من النعم.

فالأسوة الحسنة فى الرسول ﷺ تطل على كل مؤمن يعمل لدنياه وآخرته فى كل مجال من مجالات العمل، وفى كل لون من ألوان النشاط، لأن الله تعالى شاء أن يكون الرسول ﷺ صورة حيَّة ناطقة بكل ما بعثه به إلى الناس من قيم فاضلة، وأخلاق حميدة، ومثل كريمة. وهذا ما أشارت إليه عائشة رضى الله عنها حين سئلت عن خُلُق الرسول ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن الكريم».

فالتآسى بالرسول ﷺ هو السبيل إلى خير الفرد، وخير المجتمع، وخير الإنسانية. ولما كانت الأخلاق هى طابع السلوك كله، ومجموع التصرفات فى مختلف المجالات، فقد عبر الرسول ﷺ عن قيمة حسن الخُلق فى قوله: ما من شىء يوضع فى الميزان أثقل من حسن الخُلق» [رواه الترمذى] .

لذلك سنقدم نماذج من مكارم الأخلاق النبوية، حتى يتشبه الإنسان بها، ويكون الرسول ﷺ قدوة حسنة له فى أخلاقياته الحميدة. كما سنقدم بعض النماذج من رذائل الأخلاق النبوية التى يجب على المسلم أن ينبذها ويتجنبها، وهى موضحة فى الجدول رقم (16) .

جدول رقم (16) : سمات الأخلاق النبوية

مكارم الأخلاق النبوية	رذائل الأخلاق النبوية
★ سمة العفو والحلم للرسول	★ سمة الكفر والإنكار للرسول
★ سمة التواضع والسماحة للرسول	★ سمة البغض والنسيان للرسول
★ سمة الزهد والعدل للرسول	★ سمة العداوة والمعصية للرسول
★ سمة الرحمة والشفقة للرسول	★ سمة المراءاة والنفاق للرسول
★ سمة الجود والكرم للرسول	
★ سمة المزاح والدعابة للرسول	
★ سمة القوة والشجاعة للرسول	

مكارم الأخلاق النبوية

الأخلاق النبوية التى يجب على الإنسان أن يتحلّى بها فى حياته الدنيا هى الأخلاق الحميدة ومنها : عفو الرسول وحلمه، وتواضع الرسول وسماحته، وزهد الرسولْ وعدله، ورحمة الرسول وشفقته، وجود الرسول وكرمه، ومزاح الرسول ودعابته، وقوة الرسول وشجاعته. ونستعرض سمات هذه النماذج من مكارم الأخلاق النبوية على النحو التالى:

سمة العفو والحلم للرسول :

المسلم طاهر القلب يتحلّى بعفو الرسول وحلمه، فكان غاية فى العفو والحلم والصفح والصبر والتحمل. وسيرة الرسول ﷺ العطرة حافلة بالوقائع الدالة على ذلك. ففى إحدى الغزواتِ استظل الرسول ﷺ تحت شجرة بعد أن علّق سيفه بغصن من أغصانها، قائلاً: «إن رجلاً أتانى وأنا نائم فأخذ السيف، فاستيقظت وهو قائم على رأسى، فلم أشعر إلا والسيف صلتا فى يده، فقال لى: من

يمنعك منى؟ قال: قلت الله، ثم قال فى الثانية: من يمنعك منى؟ قال: قلت الله، فشام السيف فها هو ذا جالس ثم لم يعرض له رسول الله» [رواه مسلم فى كتاب الفضائل]. وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها».

سمة التواضع والسماحة للرسول:

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بتواضع الرسول ﷺ وسماحته، فكان فى مختلف مراحل دعوته هو الإنسان المتواضع تواضع أولى العزم من الرسل، حين كان مضطهدا، وحين كان منتصرا، وحين كان وحيدا، وحين كان مطاعا، وحين كان فى أشد المحن، وحين كان فى أوج المجد. ومع هذا التواضع والخلق العظيم الذى تفضل الله تعالى به على رسوله ﷺ، كان أصحابه رضى الله عنهم لايملؤون أعينهم بالنظر إليه، إجلالاً واحتراما له .

فقد ظل الرسول ﷺ يستمع إلى الضعيف والمسكين والعجوز والأرملة، يقف فى الطريق لكل من يستوقفه، ويصافح كل من يلقاه، فلا يترك يده حتى يكون الذى استوقفه هو الذى يترك يده، وكان يتفقد أصحابه دائما، ويزور مرضاهم، ويشهد جنائزهم، ويستمع إلى مشاكلهم، ويشاركهم فى أحزانهم وأفراحهم .

سمة الزهد والعدل للرسول :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بزهد الرسول ﷺ وعدله، فكان زاهدًا فى الدنيا، وعادلاً فى الحق. فقد دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الرسول ﷺ يومًا، فرآه على حصير قد أثَّر فى جنبه، ورفع رأسه فى البيت فلم يجد إلا إهابًا معلقًا، أى كيسًا من جلد، وقبضة من شعير، وحصيرًا تكاد تُبلى، فبكى عمر، فقال له: ما يبكيك يابن الخطاب؟ قال عمر: يا نبى الله؟ ومالى لا أبكى، وهذا الحصير قد أثر

فى جنبك، وهذه خزائنك، لاأرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر فى الثمار والأنهار، وأنت نبى الله وصفوته؟ فرد الرسول ﷺ قائلاً: أفىً شاكٌ أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عُجِّلَتْ لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا» [رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد].

وكان الرسول ﷺ لا يحابى فى الحق صديقا ولا قريبا، فالكل عنده سواء، والجميع مسئولون على أعمالهم أمام الله تعالى. فقد سرقت امرأة من بنى مخزوم حليًا أو متاعًا، ورُفع أمرها إلى الرسول ﷺ فاعترفت بالسرقة، فخشى قومها أن ينفذ الرسول عقوبة السارق فيفتضحوا، وجاءوا إلى أسامة بن يزيد وكان معروفًا بحب الرسول ﷺ له ولأبيه زيد، وكلموه فى أن يشفع للمرأة ألا يُنفِّذ فيها العقوبة، وكلم رسول الله فى ذلك، فغضب الرسول ﷺ عليه وقال له: أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم جمع الناس فخطب فيهم فقال: أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» [رواه البخارى ومسلم وغيرهم واللفظ للبخارى].

سمة الرحمة والشفقة للرسول :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى برحمة الرسول ﷺ وشفقته، فكان واسع الرحمة بالأطفال والنساء والضعفاء. ويفضل الله تعالى ورحمته على الرسول الكريم، كان رحيمًا رقيقًا . فلم يحدث لأحد من البشر ما حدث للرسول ﷺ من الاتصاف بالرحمة والرفق لايقاربه فى ذلك أحد ولا يدانيه. فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن إعرابيا بال فى طائفة المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا فيه، فأشار لهم الرسول ﷺ قائلاً: «دعوه وأهريقوا على بوله ذنوبًا من ماء أو سجلاً من ماء، فإنما بُعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين» [أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد].

وبلغت معاملة الرسول ﷺ للأرقاء، ووصاياه فيهم، حداً لم يعرفه التاريخ،

وكل ذلك دليل على ما فاضت به نفسه الكبيرة من معانى الرحمة والشفقة. فقد بلغت رحمته وشفقته بالحيوان حدًا عجيبًا، فقد أصغى الإناء إلى هرَّة أرادت الشرب، وقام بنفسه على تمريض ديك مرض في بيته، ورأى جملاً هزيلاً، فقال: «اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة، واركبوها صالحة وكلوها صالحة» [أخرجه أبو داود وأحمد].

سمة الجود والكرم للرسول :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بجود الرسول ﷺ وكرمه، فكان قد بلغ فى خلق الجود والكرم مبلغًا لم يبلغه غيره، وصل فيه إلى الغاية التى ينتهى عندها الكمال الإنسانى. ومن توفيق الله تعالى لرسوله ﷺ أن جعل جوده يتضاعف فى الأزمنة الفاضلة . وكان الرسول ﷺ يبذل المال فى سبيل نصرة الإسلام والدعوة إليه والترغيب فيه، ينفق مال الله تعالى الذى آتاه فى سبيل الخالق البارئ حتى توفاه الله تعالى ودرعه مرهونة فى دين عليه. وجود الرسول ﷺ فى العطاء لبعض الناس إنما هو لتأليفهم على الإسلام، فكثيرًا ما كان يخص حديثى العهد بالإسلام بوافر العطاء حتى يتمكن الإيمان فى نفوسهم.

سمة المزاح والدعابة للرسول:

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بمزاح الرسول ﷺ ودعابته، فكان يحب الدعابة البريئة، والمزاح مع الأصحاب والمترددين عليه، ويتصل هذا بطيب نفس الرسول ﷺ، فقد كان يبتسم للنكتة اللطيفة، ويمازح أصحابه، ويداعبهم بالنكات اللطيفة. ومن مظاهر مزاح الرسول ﷺ ودعابته ما هو على النحو التالى:

* جاءت امرأة عجوز تطلب إلى الرسول ﷺ أن يدعو الله تعالى لها بدخول الجنة، فقال لها مداعباً: «أوَ ما علمت أن الجنة لاتدخلها عجوز، فولَّت تبكى فقال: «ردُّوها، أما قرأت قول الله تعالى فى سورة الواقعة (35 – 37) :

«إنا أنشأناهنَّ إنشاءً * فجعلناهنَّ أبكاراً * عُرُباً أتراباً»

فقد كان الرسول ﷺ فى قوله يداعبها ويمازحها.

* جاءت امرأة من الأنصار تشكو إليه زوجها، فقال: «أزوجك الذى فى عينه بياض؟، فجزعت إذ ظنت أن بعينه عيباً لم تطَّلع عليه، فأفهمها أن كل إنسان فى عينه بياض حول المُقْلَة.

سمة القوة والشجاعة للرسول :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بقوة الرسول ﷺ وشجاعته، فكان يتقدم أصحابه فى الجهاد فى سبيل الله تعالى، وقد شجَّ وجهه وكسرت رباعيته يوم أُحُد، وفى غزوة حنين ثبت الرسول ﷺ حين انهزم الكثير ممن معه. وقد جمع الله تعالى فى رسوله القوة البدنية الصحيحة بجانب القوة الإيمانة الكاملة، فاستعمل القوة البدنية والإيمانية فى عبادة الله تعالى وطاعته والسعْى الحثيث إلى كل ما يُقربه إليه، وهو الأسوة والقدوة لأمته فى كل خير. فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف .

رذائل الأخلاق النبوية

الأخلاق النبوية الممقوتة التى يجب على الإنسان أن يتخلَّى عنها خلال حياته الدنيا، هى كفر بالرسول وإنكاره، ومراءاة الرسول ونفاقه، وعداوة الرسول ومعصيته، وبغض الرسول ونسيانه. ونستعرض سمات هذه النماذج من رذائل الأخلاق النبوية، على النحو التالى:

سمة الكفر والإنكار للرسول :

المسلم طاهر القلب لايكفر بالرسول ﷺ والأنبياء الذين أوفدهم الله تعالى هدى ورحمة للناس أجمعين، أو تكذيبهم فيما ينقلون عن ربهم عز وجل مما وصل

إلينا بطريق التواتر، أو التفريق بينهم، أو الإيمان ببعض الرسل والأنبياء، والكفر بالبعض الآخر، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (150 و151) :

«إنَّ الَّذينَ يَكْفُرُونَ باللَّهِ وَرُسُله ويُريدُون أن يُفرقوا بَيْن الله ورُسله ويقُولُون نُؤْمنُ ببَعْضٍ ونَكْفُرُ ببَعْضٍ ويُريدُون أَن يَتَّخذُوا بيْن ذلك سبيلاً ۞ أُولَئكَ هُمُ الْكَافرُونَ حقًّا وأَعْتَدْنَا للْكافرين عذابًا مُّهينا»

أما الإنكار للرسول ﷺ ونبوته وعموم رسالته وكونه خاتم الأنبياء، فهو إثم كبير، والعياذ بالله تعالى من كل إثم، فيقول الله تعالى عن اليهود الذين عرفوا أن نبوة محمد ﷺ حق، ثم أنكروها استكبارًا وذلك فى سورة البقرة (89) :

« . . . فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافرين»

كما تنكر الشريعة الإسلامية الغراء، بجهل الإنسان وكرهه للرسول ﷺ .

سمة البغض والنسيان للرسول :

المسلم طاهر القلب لايبغض الرسول ﷺ ولاينساه، لأنهما خُلُقان مرذولان، وهما من كبائر الإثم. فالله تعالى قد أوجب الأدب مع الرسول ﷺ على لسانه، كما يفهم من قول الله تعالى من سورة النور (62) :

«إنَّمَا الْمُؤْمنُونَ الَّذينَ آمَنُوا باللَّه وَرَسُوله وَإذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أمْرٍ جامعٍ لَّمْ يذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذنُوهُ . . .»

كما فرض الله تعالى محبته على لسانه، فعن الرسول ﷺ أنه قال: «والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» ، فمن وجبت محبته، وجب عدم نسيانه والتزام الأدب معه.

سمة العداوة والمعصية للرسول :

المسلم طاهر القلب لايعادى الرسول ﷺ ولايعصيه، فهما خُلُقان ذميمان وهما من كبائر الإثم، فالله تعالى قرن طاعته بطاعة الرسول ﷺ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (80) :

«مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ . . .»

لأن طاعته فيما يبلغه عن الله تعالى طاعة لله، ولهذا كان الإعراض عنه والخروج عن طاعته كفراً، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة آل عمران (32) :

«قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ»

ومن وجبت طاعته وحرمت مخالفته، لزم التأدب معه فى جميع الأحوال.

سمة المراءاة والنفاق للرسول :

المسلم طاهر القلب لايرائى الرسول ﷺ ولاينافقه، لأنهما خُلُقان مرذولان، وهما من كبائر الإثم. فالرياء نفاق وشرك، والمسلم مؤمن موحِّد، فيتنافى مع إيمانه وتوحيده خُلُقا الرياء والنفاق. ويكفى المسلم فى بغض هذا الخُلُق الذميم والنفور منه أن يعلم أن الله تعالى ورسوله يكرهانه ويمقتان عليه، كما يفهم من قول الله تعالى متوعداً المرائين بالعذاب والنكال فى سورة الماعون (4 – 7) :

«فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ»

أما نفاق الرسول ﷺ فهو مدعاة لاقتراف الأخلاق المرذولة، وهذه كلها آفات تفتك بالأمة الفتية، وتحيلها إلى أمة متخاذلة، لاتنهض برسالتها فى الحياة الدنيا.

* * *

الفصل الثالث : سمات الأخلاق الإنسانية

الأخلاق الإنسانية هى المقياس الذى تعرف به أقدار الناس . والخُلُق هيئة نفسية راسخة تصدر عنها الأفعال دون تكلف أو روية . فمن كان خُلُقه الصدق ، لم يبال بما قد يصيبه فى سبيل قول الصدق والحق ؛ ومن كان خُلُقه العزة ، أكرم نفسه بما يصونها من مزالق الذل والهوان ، واحتمل كل ما يلقاه من عنت وإرهاق. أما من كان خُلُقه البخل ، قتَّر على نفسه وعلى غيره دون التفكير فيما قد يتعرض له من استهزاء وكراهية ؛ ومن كان خُلُقه الكذب ، لم يبال من أن يساق إلى الفسق والفجور ، ثم إلى النار وسوء المصير ؛ ومن كان خُلُقه الامتهان ، أذلَّ عزَّة نفسه ، وأهان كرامة ذاته ، استجابة لدواعى الأثرة والأنانية ، وانحراف الطباع والغرائز.

والأخلاق الإنسانية الحميدة هى تلك الأخلاق التى وجهها الإسلام ، وصحَّح مسارها إلى الخير والحق ، ابتغاء تقوى الله تعالى التى عليها صلاح العباد . والتقوى هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل . وبهذا تعتبر محور الأخلاق المرضية ، والمركز الذى تشع منه وتتفرع عليه الفضائل ، فاجتناب ما حرم الله تعالى ورسوله ﷺ ، وأداء الأمانات إلى أهلها ، ووفاء بالوعود والعقود، وتجويد العبادات والمعاملات ، والبر بالوالدين وبذوى القربى ، وحسن الجوار ؛ كل أولئك أخلاق إسلامية حث عليها القرآن الكريم ، وجعل الوفاء بها والولاء لها بابًا للتقوى ، ووسيلة إلى الفوز برضا الله تعالى .

فالأخلاق الإنسانية ليست زينة وترفًا ، وإنما مقياس الإيمان والاستقامة على هدى الإسلام ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا» [رواه الترمذى وأبو داود وأحمد]، وقال : «إن المؤمن ليدرك بحسن خُلُقه درجة

الصائم القائم» [رواه أبو داود وأحمد]. فالرسول ﷺ كان أكمل الناس خُلُقًا، إذ امتدحه الله تعالى بقوله «وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ». وهذه الأخلاق تمتد إلى كل فرد، وكل أسرة، وكل جماعة، وربطت بين كل أولئك بوشائج الأخوة فى الإيمان والإسلام: «إنما المؤمنون إخوة». فالأخلاق فى الإسلام مسئولية جماعية، كما هى مسئولية فردية، فهى من الأمانات التى حملها الإنسان سواء أكان حاكمًا لرعية أو ربًّا لأسرة.

ولما كان الإنسان له جوانبه المادية والعقلية والخلقية ، فقد عالج الإسلام هذه الجوانب ، مما يصفِّى القلب ويطهره ، ويكوِّن منها حقيقة الإنسان الكامل ، ويرتِّب عليها الحياة الطيبة الكريمة . ولكن أهم الجوانب هى الأخلاق الحميدة ، لأنها الأساس الذى لابد منه لعلاج الفرد والأسرة والمجتمع . لذلك نستعرض نماذج من مكارم الأخلاق الإنسانية التى يجب على المسلم أن يتحلَّى بها ، وكذا نماذج من رذائل الأخلاق الإنسانية التى يجب على المسلم أن يتخلَّى عنها وينبذها ، وهى موضحة فى الجدول رقم (17) .

جدول رقم (17) : سمات الأخلاق الإنسانية

مكارم الأخلاق الإنسانية	رذائل الأخلاق الإنسانية
★ سمة الصدق والأمانة فى الإنسان	★ سمة الظلم والكذب فى الإنسان
★ سمة الكرم والسخاء فى الإنسان	★ سمة الغش والخيانة فى الإنسان
★ سمة العدل والاعتدال فى الإنسان	★ سمة البخل والشح فى الإنسان
★ سمة الحياء والرحمة فى الإنسان	★ سمة الرياء والنفاق فى الإنسان
★ سمة الصبر والتحمل فى الإنسان	★ سمة الحسد والحقد فى الإنسان
★ سمة الإيثار والحب فى الإنسان	★ سمة البطر والكبر فى الإنسان
★ سمة التواضع والتسامح فى الإنسان	★ سمة العجز والكسل فى الإنسان

مكارم الأخلاق الإنسانية

الـخُلُـق هـيـئـة راسخـة فـى نـفس الإنسـان ، تصدر عنـهـا الأفـعـال الإراديـة والاختيارية ، وهـى قـابلـة بطبعها لتأثير التربية فـى مـجالاتها المختلفة التى من أغراضها صياغة الفرد ، بحيث يكون لبنة سليمة ، صالحة فى بنيان مجتمعه . فإذا ما ربِّيت هذه الهيئة الراسخة فى النفس على إيثار الفضيلة ، أصبح ذلك طبعًا لها تصدر عنه الأفعال الحسنة ، وهى الأخلاق المحمودة، ونستعرض سمات بعض النماذج من مكارم الأخلاق الإنسانية ، وهى على النحو التالى :

سمة الصدق والأمانة فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بخُلُق الصدق والأمانة ، فهو يلتزم بالصدق ظاهرًا وباطنًا فى أقواله وأفعاله ، وهو أساس الإيمان بالله تعالى ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة التوبة (119) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»

والصادق يجنى ثمرات طيبة منها : راحة الضمير، وطمأنينة النفس، وزيادة الخير، وبركة فى الكسب ، ونجاة من المكروه . ومن مظاهر الصدق التى يتجلى فيها ما هو على النحو التالى :

صدق الحديث . فإذا حدَّث المسلم لا يتحدث بغير الحق والصدق ، وإذا أخبر لا يخبر بغير الحق ، إذ إن كذب الحديث من آيات النفاق .

صدق المعاملة . فإذا عامل المسلم أحدًا صدقه فى معاملته ، فلا يغش ولا يخدع، ولا يزور ولا يغرر بحال من الأحوال .

صدق الأمانة . فإذا اؤتمن المسلم على سر من الأسرار ، لا يبيح به لأحد ، وإذا اؤتمن على شىء صانه عنده ، ثم ردَّه لصاحبه حين طلبه .

صدق العزم . فإذا عزم المسلم على فعل ما ينبغى عمله ، لا يتردد فى ذلك ، بل يمضى فى عمله غير ملتفت إلى شىء أو مبال بآخر حتى ينجز عمله .

صدق الوعد . فإذا واعد المسلم آخر، أنجز ما وعده به ، إذ إن خلف الوعد من آيات النفاق .

صدق الحال . فإذا ظهر المسلم أمام الناس ، فإنه لا يظهر فى غير مظهره ، ولا يظهر خلاف ما يبطنه ، فلا يرائى ، ولا يتكلف .

فعن الرسول ﷺ أنه قال : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان» [رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد]. فالصدق مظهر من مظاهر قوة الشخصية فى الفرد ، ودليل على رجولته وشجاعته وإخلاصه .

أما الأمانة فهى خُلُق من أخلاق المسلم الأصيلة التى تنبع من عقيدته وإيمانه بالله تعالى ، وتدل على صدق اتجاهه وشرف غايته ، ولهذا كانت الأمانة من لوازم الإيمان ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له» [رواه أحمد فى سنده]. والأمانة لها عدَّة معانٍ فمنها : (1) الأمانة بمعنى الحفظ للوديعة وهى ما يحفظ عند الغير كعهدة لحين طلبها ؛ (2) الأمانة بمعنى الوفاء بالعهد وهى أداء الحقوق لأصحابها ؛ والنهوض بالواجب على خير وجه ممكن ، والإقرار بوجود الله تعالى ووحدانيته ؛ (3) الأمانة بمعنى الأداء فى المعاملة وهى وجوب أداء الحقوق وقضائها .

سمة الكرم والسخاء فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتحلى بخُلُق الكرم والسخاء ، فهو بإيمانه الصادق وعمله الصالح ، وعبادته المشروعة ، يقيه الله تعالى شرَّ الدنيا، ويهيئه للفوز الأخروى؛ لذلك فالإسلام يقرن دائمًا بين حق الله تعالى فى الصلاة وبين حق الله تعالى فى الزكاة . فيدرك المسلم الأساس الذى تقوم عليه فريضة الزكاة ، ويعرف ثمراتها للفرد والمجتمع . فالزكاة من جانب المزكِّى طهرة لماله، وسمو بنفسه ، وعلاج له من الشح والبخل . والتخلق بخلق الكرم والسخاء فى نفس المسلم ، يوجبه أن يعكف قلبه متأملاً ومتدبرًا قول الله تعالى فى سورة الليل (5 - 11) :

«فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ»

والكرم له مظاهر عديدة نذكر منها : (1) إعطاء المسلم العطاء فى غير منٍّ ولا أذى؛ (2) سرور المعطى بالسائل الذى سأله وفرح لعطائه ؛ (3) إنفاق المنفق فى غير إسراف ولا تقتير ؛ (4) إعطاء المُكثِر من كثيره ، والمقل من قليله فى رضا نفسى ، وانبساط وجه ، وطيب قول .

فالسخاء خلق المسلم ، والكرم شيمته ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا» [رواه البخارى ومسلم وأحمد].

سمة العدل والاعتدال فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بخُلُق العدل والاعتدال ، فهو يلتزم بالعدل فى قوله وحكمه ، ويتحرَّى العدل فى كل شئونه ، ويبعد عن الحيف والظلم والجور ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (58) :

«... وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ...»

والعدل له مظاهر عديدة يتجلَّى فيها ، نذكر منها (1) العدل مع الله تعالى بأن لا يشرك معه أحد فى عبادته ؛ (2) العدل فى الحكم بين الناس بإعطاء كل ذى حق حقه وما يستحقه ؛ (3) العدل بين الأبناء فلا يفضل أحدهم على الآخرين ؛ (4) العدل فى القول فلا يشهد زورًا ، ولا يقول كذبًا أو باطلاً ؛ (5) العدل فى المعتقدات فلا يعتقد غير الحق والصدق .

أما الاعتدال، فهو أهم من العدل إذ إنه التزام الوسط بين الإفراط والتفريط، فالاعتدال فى العبادات يعتبر وسطًا بين الغلو والإهمال ، والاعتدال فى النفقات

هو بين الإسراف والتقتير ، والاعتدال فى المشى يعتبر بين الاختيال والمسكنة والاعتدال في اللباس فهو بين المباهاة والبهدلة .

سمة الحياء والرحمة فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بخُلق الحياء والرحمة ، فهو بذلك يكون عفيفًا حييًا ، فالحياء من الإيمان ، والإيمان عقيدة المسلم وقوام حياته ، وسر كون الحياء من الإيمان أن كلاً منهما داع إلى الخير ، صارف عن الشر. فالإيمان يبعث المؤمن على فعل الطاعات ، وترك المعاصى ، والحياء يمنع صاحبه من التقصير فى الشكر للمنعم، ومن التفريط فى حق ذى الحق ، كما يمنع الحى من فعل القبيح. ومن هنا كان الحياء خيرًا ، ولا يأتى إلا بالخير ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «الحياء والإيمان قرناء جميعًا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» ، وقال : «الحياء لا يأتى إلا بخير» [أخرجه البخارى ومسلم وأحمد] .

فالمسلم يستحى من الله تعالى ، لا يقصِّر فى طاعته ، ولا فى شكر نعمته . كما يستحى من الناس، فلا يكشف لهم عورة ، ولا يقصِّر فى حق وجب لهم عليه، ولا ينكر معروفًا أسدوه إليه ، ولا يخاطبهم بسوء ، ولا يجابههم بمكروه ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «فالله أحقُّ أن يُستحيا منه من الناس» [رواه البخارى والترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد].

أما الرحمة فمنشؤها صفاء النفس وطهارة الروح ، وهى فى حقيقتها رقة القلب ، وانعطاف النفس المقتضى للمغفرة والإحسان ، وهى ذات آثار خارجية ، كالعفو على ذى الزلَّة ، والمغفرة لصاحب الخطيئة وإغاثة الملهوف ، ومساعدة الضعيف ، وإطعام الجائع ، وكسوة العارى ، ومداواة المريض ، ومواساة الحزين، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البلد (17 و 18) :

«ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ»

والتواصى بالصبر ، والتواصى بالمرحمة من سمات طهارة السر .

سمة الصبر والتحمل فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بخُلُق الصبر واحتمال الأذى فى ذات الله تعالى، والصبر هو حبس النفس على ما تكره ، أو احتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم. فهو مطالب من الله تعالى ورسوله بالصبر حتى يرقى إلى أعلى مراتب الإيمان ، وأسمى درجات العبادة . فالصبر هو النفحة الروحية التى يُتسم بها المؤمن فتخفف من بأسائه وتدخل إلى قلبه السكينة والاطمئنان ، وتكون بلسمًا لجراحاته التى يتألم منها . وقد عنى القرآن الكريم بالصبر وأثنى على المتحلِّين به لأنه يربى ملكات الخير فى النفس .

فالصبر على مكاره الجهاد هو الشجاعة ، والصبر على الشهوات هو العفاف ، والصبر على المثيرات هو الحِلْم، والصبر على إذاعة الأسرار هو الكتمان، فما من فضيلة إلا وهى محتاجة إلى الصبر . وقد دعا الله تعالى إلى الصبر فى عدَّة مواطن ، منها الصبر على الطاعات التى تحتاج لصدق النية والإخلاص فى العبادة بعيدًا عن الرياء والغرور ، وألا ينهمك فى ملذات وملهيات الدنيا .

والصبر على البلاء يحتاج إلى تقبل الأحداث ، ومواجهة الواقع بتسليم ورضا ، فإن ذلك خير له فى الدنيا والآخرة ، أما الجزع والسخط ، فإنه يحرمه راحة الدنيا، وثواب الآخرة ، يقول الله تعالى فى سورة البقرة (155 - 157) :

«وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»

والصبر على المعاصى الذى يحتاج ــ إذا هَمَّ بعمل سيئة ــ إلى تدارك نفسه، واعتصام بالطهر والصبر عن ارتكاب تلك المعصية . وهكذا فالصبر على المعاصى والصبر على الجهاد فى سبيل الله تعالى ، والصبر على أذى الناس ، أنواع من الطهارة يرتفع بصاحبها إلى درجة إيمانية رفيعة بين التقاة والصابرين .

أما التحمل فهو الصبر ولكنه أشق، وهو بضاعة الصديقين، وشعا الصالحين. وحقيقة أن يؤذى المسلم فى ذات الله تعالى فيصبر ويتحمل، فلا يرد السيئة بغير الحسنة، ولا ينتقم لذاته، ولا يتأثر لشخصيته ما دام ذلك فى سبيل الله تعالى . ومؤديًا إلى مرضاة الله تعالى، وعلى ضوء ذلك، فالمسلم يعيش صابرًا محتسبًا محتملاً، لا يشكو ولا يتسخط، ولا يدفع المكروه، ولكن يدفع السيئة بالحسنة، ويعفو ويغفر.

سمة الإيثار والحب فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بخُلُق الإيثار على النفس وحب الخير للغير، فهو متى رأى محلاً للإيثار آثر غيره على نفسه. فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروى سواه. فالإيثار له أكبر الأثر فى توثيق المحبة بين الناس، إذ يجعلهم متعاطفين متعاونين. وهذا بعكس خُلُق الأثرة وهى حب الذات التى تجعل الإنسان مكروهًا منبوذًا من المجتمع. وقد دعا القرآن الكريم إلى الإيثار، مادحًا قومًا تخلقوا به، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحشر (9) :

« ... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

فلا غرابة لمسلم تشبعت روحه بالرغبة فى الإيثار على النفس، أن ينهج نهج الصالحين السابقين.

أما الحب فهو الخُلُق الحسن الذى يكتسب المسلم من تعاليم دينه، ومحاسن إسلامه. إن حب الغير وتفضيل الغير على النفس فى الخير، مستوحاة من فيوضات الرحمة الإلهية، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة المزمل (20) :

« ... وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ...»

ومستقاة من ينابيع الحكمة المحمدية.

سمة التواضع والتسامح فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتحلَّى بخُلُق التواضع فى غير مذلَّة ، والتسامح من غير مهانة ، فهو الذى يتواضع ليرتفع ، ولا يتكبَّر لئلا ينخفض ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الشعراء (215) :

« وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»

وعن الرسول ﷺ أنه قال : «ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» ، وقال : «حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه» . فالله تعالى ورسوله يُكثر من الثناء على المتواضعين ، والذَّم فى المتكبرين ، والأمر بالتواضع ، والنهى عن الكِبْر .

والتواضع له عدَّة مظاهر نذكر منها : (1) التأخر عن أمثاله أثناء السير فى الطريق ؛ (2) القيام من مجلسه لذى علم وفضل ؛ (3) القيام للرجل العادى ومقابلته ببشر وطلاقة ، (4) التلطف مع الشخص العادى فى السؤال وإجابة الدعوة ؛ (5) الجلوس إلى الفقراء والمساكين وأصحاب العاهات ، والاستجابة إلى مطالبهم ؛ (6) التناول للطعام والشراب فى غير إسراف ولا فى مخيلة .

أما التسامح فهو السماحة والحِلْم والعفو ، فصلة المسلم بالناس يجب أن يشملها السماحة ، ويظللها الحِلْم ، ويحيط بها العفو ، ويشملها التجاوز وضبط النفس . فالمسلم يعلم أن الحلم والعفو والسَّماحة منزلة من منازل الإيمان ، وليس علامة ضعف ولا أمارة جبن ، إنه أمارة اليقين بأن الله تعالى صاحب الحساب والجزاء ، وبأن ثوابه الذى أُعِدَّ للعافين عن الناس ، خير من لذة الانتقام . ولهذا ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة التغابن (14) :

«وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»

والمسلم يرقى إلى تلك الدرجة العليا ، وذلك الثواب العظيم ، فالإسلام يجعل العفو

والصفح والتسامح سبيلاً إلى التهذيب الخلقى ، يطهر القلب من مشاعر الحقد ، ويثبت إيمانه ، ويبلغ كماله ، فتعلو منزلته عند الله تعالى ، ويعظم ثوابه .

رذائل الأخلاق الإنسانية

الخُلق ، كما ذكر من قبلُ ، هيئة راسخة فى نفس الإنسان ، تصدر عنها الأفعال الإرادية والاختيارية ، وهى قابلة بطبعها لتأثير التربية فى مجالاتها المختلفة التى من أغراضها صياغة الفرد ، بحيث يكون لبنة سليمة ، صالحة فى بنيان مجتمعه . فإذا أهملت هذه الهيئة الراسخة فى النفس ولم تهذب التهذيب اللائق بها، ولم يعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها ، أو ربِّيت تربية سيئة، حتى أصبح القبيح محبوبًا لها ، والجميل مكروهًا عنها ، وصارت الرذائل والنقائص من الأقوال والأفعال تصدر عنها بدون تكلُّف ، وهى الأخلاق المرذولة. ونستعرض سمات هذه النماذج وهى على النحو التالى :

سمة الظلم والكذب فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتخلَّى عن رذيلة الظلم والكذب .، فالعبد فى مراقبته لله تعالى فى أقواله وأفعاله ، لا يحب أن يُظْلَمَ ، ولا يَظْلِمَ . والظلم بأنواعه الثلاثة محرم فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (229) :

« . . . ومَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»

والظلم أنواع هى : (1) ظلم العبد لغيره من عباد الله تعالى ، وذلك بأذيتهم فى أعراضهم أو أبدانهم أو أموالهم بغير حق ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه» [رواه مسلم وابن ماجه واحمد]؛ (2) ظلم العبد لربه، وذلك بالكفر بألوهيته ووحدانيته ، لقول الله تعالى فى سورة البقرة (254) : «..والْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» ويكون أيضًا، بالشرك فى عبادته ، لقول الله تعالى

فى سورة لقمان (13) : «... إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيمٌ» ؛ (3) ظلم العبد لنفسه ، وذلك بتدنيسها وتلويثها بآثار وأنواع الذنوب والجرائم ، والسيئات من معاصى الله تعالى ورسوله ﷺ ، لقول الله تعالى فى سورة النحل (118): «... وما ظلمناهُمْ ولَكِن كانُوا أنفُسهم يظلمون» ، فمرتكب الكبيرة من الإثم والفواحش هو ظالم لنفسه ، إذ عرَّضها لما يؤثر فيها من الخبث والظلمة ، فتصبح به أهلا للعنة الله تعالى والبعد منه .

أما الكذب فهو رذيلة من رذائل الأخلاق الإنسانية ، إذ إنه يعنى خلف الوعد، ونقص العهد ، وشهادة الزور ، والمَلَق والرياء ، والغش والدهاء ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، ولبس الحق بالباطل . فكل هذه الرذائل تمت إلى الكذب بأقوى سبب ، وتقضى إلى الفسق والفجور ، ثم إلى النار وسوء المصير ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «إن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذابًا» [رواه البخارى ومثله عند مسلم والترمذى وغيرهم] . وعاقبة الكاذبين هى فساد الأمر فى الدنيا ، وعذاب النار فى الآخرة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الزمر (60) :

«ويَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا علَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْس في جهَنَّم مثوى لِّلمُتَكَبِّرِينَ»

والكذب ، دون شك ، يحط من قدر صاحبه عند نفسه ، وعند غيره ، وقد قيل : إن الكذاب لص ، لأن اللص يسرق مال الغير ، والكذاب يسرق عقل الغير .

سمة الغش والخيانة في الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتخلَّى عن رذيلة الغش والخيانة ، فهو يدين الله تعالى بالنصيحة لكل مسلم ، ويعيش عليها ، فليس له أن يغش أحدًا ، أو يغدر أو يخون، إذ إن الغدر والغش والخيانة صفات ذميمة فى المرء ، وإن طهارة نفس المرء المكتسبة من الإيمان والعمل الصالح تتنافى مع هذه الخلائق الذميمة . فالمسلم

فى تجنبه للغش هو مطيع لله تعالى ورسوله ﷺ ، إذ إنه مُحرَّم فى القرآن الكريم والسنة الشريفة ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الفتح (10) :

«... فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ...»

وقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «.... من غش فليس منى» [رواه مسلم]. ومظاهر الغش عديدة نذكر منها : (1) أنه يزين المرء لأخيه الشر أو الفساد ليقع فيه ؛ (2) أنه يريه ظاهر الشيء ، وهو الطيب الصالح ، ويخفى عليه باطنه وهو الخبيث الفاسد ؛ (3) أنه يظهر لأخيه خلاف ما يضمره ؛ (4) أنه يعمد إلى إفساد مال أخيه بالوقيعة فيه والنميمة .

أما الخيانة فهى من الصفات القبيحة ، والقبح لا يكون خلقًا للمسلم ولا وصفًا له بحال من الأحوال . فالمسلم فى تجنبه للخيانة فهو مطيع لله تعالى ورسوله ﷺ، إذ إنه مُحرَّم بكتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة فاطر (43) :

«... وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ...»

وعن الرسول ﷺ أنه قال : «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» [رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى].

سمة البخل والشح فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتخلَّى عن رذيلة البخل والشح ، فهما خُلُقَان ذميمان منشؤهما خبث النفس وظلمة القلب ، فالبخيل يتعلق بماله ، كما يفهم من قول اللهتعالى فى سورة الليل (8 - 11) :

«وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ * وما يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ»

وقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : «اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا» [أخرجه البخارى ومسلم وأحمد] .

أما الشُّح فهو مرض قلبى عام ، لا يسلم منه البشر إلا المسلم بإيمانه وعمله الصالح كالعبادات والطاعات التى تقيه شرَّ هذا الداء الوبيل ليعدَّه للفلاح ، ويهيئه للفوز الأخروى ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحشر (9) :

« ... وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »

وعن الرسول ﷺ أنه قال : «اتقوا الشُّح فإن الشُّح أهلَكَ من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم» [رواه مسلم وأحمد].

سمة الرياء والنفاق فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتخلَّى عن رذيلة الرياء والنفاق ، فهو الذى يعمل عملاً على غير إخلاص ليراه الناس ، الله تعالى سيجازيه على ذلك بأن يشهِّر به ويفضحه ويظهر ما كان فى باطنه . ويكره القرآن الكريم المرائى ، كما يفهم من قول الله تعالى متوعدًا المرائين بالعذاب فى سورة الماعون (4 - 7) :

« فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ »

ومن مظاهر الرياء أنه يزيد فى الطاعات إذا أثنى عليه الناس ، وينقص منها أو يتركها إذا لم يمدحه أحد ، وأن ينشط فى العبادة أمام الناس ، ويكسل عنها إذا كان وحده ؛ وأن يتصدق بالمال إذا رآه الناس ، ويمتنع عن الإنفاق فى سبيل الله تعالى فى الخفاء .

أما النفاق فهو رذيلة من رذائل الأخلاق الإنسانية ، إذ إنه يعنى الكذب والخيانة والإخلال بالعهد ، والمخاصمة بالباطل ، فقد روى عن الرسول ﷺ أنه

قال عن صفات المنافقين : «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» [أخرجه البخارى] . ولقد حذر الرسول ﷺ من النفاق بقوله : «تجدون شر الناس ذا الوجهين : الذى يأتى هؤلاء بوجه ، ويأتى هؤلاء بوجه» [أخرجه البخارى ومسلم وأحمد]. ومن المؤسف حقًّا ، أن النفاق استشرى فى كل مرافق الحياة ، فأصبح الإنسان يخادع غيره ، ويَعِدُ ولا يفى ، ويستقرض ولا يسدِّد ، ويتظاهر بالصدق وقلبه مملوء بالحقد والضغينة . وفي قيامه بهذه الأفعال الذميمة ، يعتقد أنها اللباقة .

سمة الحسد والحقد فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتخلَّى عن رذيلة الحسد والحقد . فهما خلقان ذميمان، والمسلم يبغض خُلُق الحسد ويمقت عليه ، لأن الحسد اعتراض على قسمة الله تعالى فضله بين خلقه ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النساء (54) :

«أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ . . . .»

وقد نهى الرسول ﷺ عن الحسد قائلاً : «إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب» [رواه أبو داود فى كتاب الأدب].

والمسلم إن خطر له خاطر الحسد بحكم بشريته ، ونظر إلى من هو أحسن منه حظا ، عليه أن ينظر إلى من هو دونه ليدرك فضل الله تعالى عليه . وفى ذلك يقول الرسول ﷺ : «إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه فى المال والخُلُق ، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممَّن فُضِّل عليه» [رواه البخارى ومسلم وأحمد واللفظ لمسلم] . فإن أعجبه شيء عند غيره قال : «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» ، وبذلك فإنه يسلم من الخُلُق البغيض .

أما الحقد فهو إما أن يتمنى المرء زوال النعمة من مال أو علم أو جاه أو سلطان عن غيره لتحصل له ؛ أو يتمنى زوال النعمة عن غيره ولو لم تحصل له ولم

يظفر بها ، فالحاقد خُلُقه اللؤم ، ولذَّته الوشاية بين الناس ، وغايته الوقيعة بالعباد ، فهو قد فقد الثقة بنفسه ، واستشعر العجز عن تحقيق غاياته ، فلا ينفكُّ أن يدسَّ للمرء الناجح حتى ينجح فى تشويه سمعته ، كما أن الحاقد خُلُقه البُغض، وتمنياته زوال النعمة من مال أو علم أو جاه أو سلطان عن الشخص الناجح، حتى ينجح فى أن يجعله فاشلاً مثله ، متمنيًا زوال النعمة عنه ولو لم يظفر بها ، فهذا الحقد محرَّم تحريمًا قاطعًا ، فلا يحل لأحد أن يحقد على أحد على نعمائه .

سمة البطر والكبر فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتخلَّى عن رذيلة البَطَر والكِبْر، فهو لا يطغى عند النعمة، وعاقبة ذلك هو الكفران بهذه النعمة . فمن مظاهر البطر الكافر بنعم الله تعالى ، فهو : الذى ينكر أن للكون خالقًا أنعم عليه بنعمة الوجود ، والذى يجحد فضل الله تعالى على نعمه ، والذى يعصى الله تعالى متخذًا من نعمه سبيلاً للانغماس فى الملذات، والذى يتصرف فى نعم الله تعالى بالإسراف فى ملذاته الشخصية حارمًا الفقراء ، والذى يحتكر أرزاق العباد فى سبيل تضخم ثروته تاركًا العامة يقاسون الحرمان .

وقد نهى الإسلام عن الإسراف والتبذير لأنه يؤدى إلى الكفر بنعم الخالق البارئ ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الأعراف (31) :

« ... وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ»

وهو فى الأصل مال الله تعالى ، أعطاه للإنسان وديعة لكى ينفق منه على نفسه، وعلى أفراد مجتمعه المحتاجين فى سبيل الله تعالى .

أما الكِبْر فهو رذيلة من رذائل الأخلاق الإنسانية ، إذ إن الإنسان الذى قد يعجب بوفرة علمه ، أو وفرة ماله ، أو زيادة قوته ، أو طهارة شرفه ؛ ويغتر بكثرة معارفه ، أو كثرة جاهه ، أو عزة سلطانه ، أو أصل نسبه ؛ فإنه يحتقر ويستصغر

غيره من أهل العلم ، أو يسرف ويبذر على غيره من الخلق ، أو يعتدى ويظلم غيره من الناس ، أو يتعالى ويحتقر غيره من العباد .

والكِبْر والكبرياء والعُجْبُ والغرور والاختيال كلها تغرس الفرقة والعداوة بين الناس ، فكم من نعمة انقلبت إلى نقمة ، وكم من عز صار ذلاً ، وكم من قوة أصبحت ضعفًا . وقد حذَّر القرآن الكريم من الكِبْر ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة غافر (35) :

« . . . كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ»

أى يختم الله تعالى على كل قلب متكبر ، فلا يعى خيرًا . فالإنسان إذا عرف قدره حق المعرفة ، وعرف مبلغ هوانه ، كان ذلك حافزًا على نزع هذا الداء من نفسه .

سمة العجز والكسل فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتخلًى عن رذيلة العجز والكسل ، فهما خُلُقان ذميمان استعاذ منهما الرسول ﷺ بقوله فى دعائه : «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل» [متفق عليه]. فالمسلم لا يكون الكسل والعجز خُلُقا له ولا وصفًا فيه ، ما دام يعمل فى عمارة الأرض ، وينشط فى عبادة الله تعالى، ويحرص على ما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، ويؤمن بنظام الأسباب وقانون السنن الكونية .

وللعجز والكسل مظاهر عديدة منها : (1) تشاغل الإنسان عن الإجابة إلى نداء المؤذن للصلاة عند سماعه ؛ (2) قضاء الإنسان أوقاتًا طويلة فى المقاهى أو متجولاً فى الشوارع والأسواق ولديه أعمال تتطلب إنجازها ؛ (3) ضياع الإنسان لفرص العمل النافع فى دنياه أو أخراه بحجة كبر السن ؛ (4) تكاسل الإنسان عن اغتنام فرص فى باب البر والخير كفرصة الحج وهو قادر عليه ، وفرص شهر رمضان ولم يغتنم لياليه بالقيام .

* * *

الباب السادس

طهارة السر

الفصل الأول : سمات التواصى بالحق

الفصل الثانى : سمات التواصى بالمرحمة

الفصل الثالث : سمات التواصى بالصبر

الباب السادس

طهارة السر

طهارة السر هى أعلى مراتب الطهارة الباطنة التى تكون بسمو النفس البشرية فى أمور الدنيا ، وارتقاء بالوجدان والأحاسيس إلى أعلى درجات الإيمان، ورفع الروح المعنوية فى التعامل مع الخالق ، حتى أن المسلم الذى يلزم نفسه بهذا السلوك ، لا يرى شيئًا سوى وجه الله تعالى فى كل عمل من أعماله ، وفى كل حركة من حركاته ، ولا يسلك سلوكًا يقصد به مرضاة غير الله تعالى ، ولا يحمد على نعمة يصيبها غير الله تعالى ؛ وينحصر كل إدراكه فى كونه عبدًا ربانيًا خالصًا بكل كيانه لله تعالى .

وقد تحدث القرآن الكريم عن النفس البشرية بأنها الذات الإنسانية التى هى لب الإنسان وجوهره ، وهى متنزلة من الملأ الأعلى ، ثم هى راجعة إليه بعد أن تدور دورتها مع الإنسان فى حياته على هذه الأرض ، أى أنها تبقى فى كيان الإنسان من المهد إلى اللحد . ويخلص من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، أن النفس هى الكيان الإنسانى الذى يعى ويعقل فى الإنسان ، والذى به يكون صلاح الإنسان أو فساده ، وهداه أو ضلاله ، واستقامته أو اعوجاجه ، ونعيمه أو شقاؤه .

وقبل الحديث عن طبيعة النفس البشرية ، فمن المفيد أن نطلع على التحليل النفسى لجهاز النفس الذى قدمه كل من الأستاذ أمين محمد عثمان فى كتابه «تراثنا العربى فى ضوء العلم الحديث» ، والذى من خلال تحليله ، نجد أن

القرآن الكريم قد سبق علم النفس إلى ما انتهى إليه بعد أربعة عشر قرنًا ؛ وكذا العالم النمساوى فرويد فى مؤلفاته العديدة ، الذى شبّه فيها جهاز النفس بمسكن من غرفتين بينهما ممرٌّ، وقد ذكر كل من عثمان وفرويد أن جهاز النفس البشرية يتكون من الشعور ، واللاشعور ، والرقيب ، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى:

مفهوم الشعور فى النفس. هو الجزء الشعورى من النفس ، وهو الذى يعمل ويفكر ويدرك الواقع فى العالم الخارجى ، وهو منطقى خلقى يحترم التقاليد ، ويتصل بالعالم عن طريق الحواس ، ويمارس تجاربه فى إدراك لها واستفادة منها . والشعور يسمَّى بكلمة «الأنا» أو النفس المطمئنة التى ذكرت فى القرآن الكريم . ويقول فرويد أن الشعور سر الحياة النفسية المرتبة المنظمة كالغرفة المعدَّة لاستقبال الزائرين من الخارج .

مفهوم اللاشعور فى النفس. هو الجزء اللاشعورى من النفس ، وهو الذى يسكن فى قرارة النفس وقاعها، ويحتوى على مجموعة الغرائز والنزعات الفطرية، بشكل لاشعورى وبصورة بدائية غير منطقية ، ولا صلة لها بعالم الأخلاق ، وهى دائمة النشاط والسعى لكى تبرز على الشعور ، وترمى من وراء ذلك إلى الإشباع واللذة لايقيدها فى ذلك قيد ما . واللاشعور يسمى بالعقل الباطن ، أو النفس الأمارة ، وهى التى تأمر بالسوء . وما ورد فى القرآن الكريم من ذم النفس ووجوب عصيانها ، فالمراد به اللاشعور . ويذكر فرويد أن اللاشعور ـــ وهو الحياة التى تختلط فيها الغرائز والميول ـــ كالغرفة الواسعة من هاتين الغرفتين توضع فيها الأشياء المهملة ، وتكثر فيها الحشرات الضارة التى تعمل دائمًا على التسلل إلى الغرفة النظيفة المرتبة .

مفهوم الرقيب فى النفس. هو السلطة الضابطة ، وهو الناقد الأعلى للشعور، وصاحب القدرة فى الحكم عليه، ويتكون من العادات والتقاليد والأوامر والنواهى

التى يتلقاها الإنسان من والديه فى مرحلة الطفولة . والرقيب يسمَّى بالضمير ، وقد سمَّاه القرآن الكريم بالنفس اللوامة . ويقول فرويد أن الرقيب أو الضمير يقف فى الممر بين الغرفتين ، ولا يسمح للغرائز المنحرفة ، والنزعات الجامحة أن تخرج من غرفة اللاشعور إلى حجرة الشعور ، وإنما يسمح لما لا يسبب ألمًا أو عقابًا للشعور، فيمنحه جواز المرور . غير أن هذا الرقيب أو الضمير قد يضعف فى حالات الغفلة أو الندم أو الاستسلام لأحلام اليقظة أو المرض النفسى ، فتبدو الميول والنزعات والرغبات المكبوتة فى صور لا تؤذى الشعور ، وتتسلل إليه فى أشكال رمزية تتستَّر فيها ، لأن الرقيب أو الضمير لا يفقد كل سلطانه عليها ؛ وإنما يظل محتفظًا ببعضه فلا تظهر متوقحة .

طبيعة النفس البشرية :

النفس البشرية هى الكائن الذى يتلخص فيه وجود الإنسان كله ، ويقيم ميزان الإنسان عليها ، هدى وضلالاً ، وحسابًا وجزاء ، فهى لها سلطانها على الإنسان وتأثيرها فيه .. فكل نفس خلقها الله تعالى ، جعل عليها ملاكًا يكتب كل عمل تقوم به هذه النفس فى الدنيا ، إن كان خيرًا فخير ، وإن كان شرًا فشر ، يقول الله تعالى فى سورة الطارق (4) :

« إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ»

فالنفس البشرية هى الجعبة التى يختزن فيها الإنسان عمله إلى يوم الحساب ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره .

والنفس البشرية تمر خلال الحياة الدنيا بمرحلة الاختبار فى الالتزام بمنهج الله تعالى فى الأرض من عدمه . فمن اتبع طريق الإيمان فى حياته الدنيا، أعد الله تعالى له فى الحياة الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وهى حياة الخلود والنعيم . ومن اتبع طريق الكفر فى حياته الدنيا ، أعد الله تعالى له فى الحياة

الآخرة الجزاء والعقاب ، وأدخله جهنم وبئس المصير . فإلى النفس ينسب كل عمل يعمله الإنسان من خير أو شر ، وإلى النفس يتوجه الثواب والعقاب الذى يستحقه الإنسان ، ولهذا كان للنفس حضور يوم الحساب والجزاء يوم أن يبعث الإنسان .

والنفس البشرية فى سلامتها وصفائها ونقائها ، معرَّضة لقبول الخير والشر عند احتكاكها بالحياة الدنيا ، وملابستها لشئون صاحبها مع الناس لقبول الخير والشر . لذلك فهى أشبه بالبذرة السليمة التى تشتمل فى كيانها على أزهار ثمار، فإذا تعهدها الإنسان ، أخرجت له من كل زوج كريم . أما إذا أهملت ، فإنها تتداعى عليها عوامل الفناء .

فالإنسان الذى يزكى نفسه ، هو الذى يطهرها من الأدناس ، ويسمو بها من النقائص ، ويرتفع قدرها لتأخذ عند الله تعالى حظها من الرضوان ، وبين الناس نصيبها من الكرامة . ولا يتأتى هذا إلا بالإيمان بالله تعالى ، والامتثال إلى أوامره ، والانتهاء عن نواهيه . أما الإنسان الذى يدنس نفسه ، هو الذى يخفيها ، ويطمس عليها ، حتى تغيب فى الظلمات . ولا يتأتى هذا إلا حين تحجب النفس عن الإيمان بالله تعالى، فتنقطع عنها موارد الأعمال الصالحة ، ويملؤها الهوى ، ويستبد بها الضلال ، وفى هذا يكون الشقاء .

ومن الآفات النفسية التى تعوق الإنسان وتعترض طريقه ، ما أشار إليه القرآن الكريم ، على النحو التالى :

ولع النفس بالعاجل . فالإنسان عجول بطبعه ، مصداقًا لقول الله تعالى : «خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ» ، كأنه المادة التى خلق منها الإنسان ، فإذا تأخر على الإنسان ما يريده نفد صبره ، وضاق صدره ، ناسيًا أن لكل شىء أجلاً مسمى . فمثلاً لكل ثمرة أوان تنضج فيه، ويحسن عندئذ قطافها . أما الاستعجال فى قطفها، فلن ينضجها قبل وقتها، فقد خاطب الله تعالى رسوله فى سورة الأحقاف (35) :

«فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ...»

أى لا تستعجل العذاب للكفار ، فإن له يومًا موعودًا .

استفزاز النفس بالغضب . فالإنسان يُستفز بالغضب من إعراض الناس عنه، ونفورهم منه ، فيدفعه الغضب إلى النأى عنهم وتجنبهم ومخاصمتهم . فقد خاطب الله تعالى رسوله ﷺ ، بقوله فى سورة القلم (48 - 50) :

«فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَّوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ»

فيقول الله تعالى للرسول ﷺ أن يصبر على من يدعوهم للهداية ، ويعاود دعوته مرات ، عسى أن تتفتح قلوبهم للإيمان .

تعرض النفس للضيق . فالإنسان يبلغ به الضيق والحزن ، عندما يستعصى الناس عنه ، فضلاً عن المكر به ، والإيذاء له، والافتراء عليه، والافتنان فى إعناته، فيقول الله تعالى لرسوله ﷺ فى سورة النحل (127) :

«وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ»

وقد بلغ الضيق والحزن بالرسول ﷺ من إعراض القوم وتعنتهم وافترائهم عليه.

إصابة النفس باليأس . فالإنسان الذى يغلب على قلبه اليأس ، عندما يفقد الأمل فى نتاج عمله ، لم يصبح عنده بال طويل على استمرار العمل . وقد حرص القرآن الكريم على أن يدفع الوهم عن أنفس المؤمنين ، فبذر الأمل فى صدورهم، فى قول الله تعالى فى سورة محمد (35) :

«فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ»

فاليأس من أعظم المعوقات والآفات النفسية .

مراتب النفس البشرية :

النفس البشرية تبدو من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة كخامة أولية تقبل التشكل والتدرج في سلم خلقى يبدأ بأدنى الدرجات وهى النفس الأمارة بالسوء ، وينتهى بأعلى الدرجات وهى النفس المطمئنة الراضية المرضية ، وبين البدء والمنتهى ، هناك عدة مراتب للنفس الإنسانية بصفات متباينة .

فإذا مالت النفس إلى الشهوة والغضب كانت نفسًا أمارة بالسوء ؛ وإذا مالت إلى الطمأنينة واليقين كانت نفسًا مطمئنة بالرضى . والإنسان يمكن أن ينقل نفسه من منزلة الأمر بالسوء إلى منزلة أخف منها وهى منزلة التسويل بالشر ، أى النفس التى تزين لصاحبها القبيح متعرضة فى صورة الجميل ؛ ثم يعود فينقلها إلى منزلة أخف وهى منزلة الوسوسة بالإثم ، أى النفس التى تهمس إلى صاحبها بالصوت الخفى لتذكره بخواطر الإثم ومشاعر المنكر ؛ ثم يعود فيزكيها إلى منزلة أخف وهى منزلة اللوم على التقصير ، أى النفس التى تلوم صاحبها على ارتكاب الشر أو التقصير فى عمل الخير ؛ ثم تبلغ ذروتها إلى منزلة اليقين وهى منزلة الطمأنينة بالرضى، أى النفس التى يؤمن صاحبها بالله تعالى لا تزلزلها الأهوال ولا الشدائد . ويمكن تعريف مراتب النفس على النحو التالى :

نفس أمارة بالسوء . هى النفس التى تدعو صاحبها إلى ارتكاب الذنوب والسيئات ، وتحرضه على الانحراف والفجور ، وتدفع به إلى مهاوى الضلال ، فيقول الله تعالى فى سورة يوسف (53) :

«وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ»

فالنفس الأمارة بالسوء هى التى يملؤها الهوى ، ويستبد بها الضلال ، فلا يجد صاحبها منها إلا شيطانًا يسكن فيها ، ويوسوس له بكل منكر ، ويغريه بكل سوء فهى تميل إلى الشهوة والغضب . كما أنها هى التى إذا ترك لها الحبل على الغارب، ترعى فى الهمل دون حراسة من عقل ، ودون هداية من دين ، فتكون

وحشًا ضاريًا ، لا تأنس إلى خير ، ولا تأوى إلى أنيس ، فهى نزاعة للشر ، داعية إلى العدوان ، متهجمة على الحرمات .

نفس مسولة للشر. هى النفس التى تزين القبيح فى صورة الجميل، وتسوغ أهواءها بمكر وبراعة، فترسم الشر وكأنه خير، فيقول الله تعالى فى سورة يوسف (18) :

« . . . قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ»

أى زين لكم سوء عملكم . فالتسويل هو تقدير الشىء مع الطمع فى إتمامه ، وكأنه أمنية للنفس تطلبها فيزينها الشيطان لها .

نفس موسوسة بالإثم . هى النفس التى تهمس إلىٰ صاحبها بالصوت الخفى لتذكره بخواطر الإثم ومشاعر المنكر ، فيقول الله تعالى فى سورة ق (16):

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»

وقد أشار القرآن الكريم إلى موقف المتقين إذا وسوس لهم الشيطان .

نفس لوامة على التقصير . هى النفس التى تلوم صاحبها لومًا شديدًا على ارتكاب الشر أو التقصير فى عمل الخير ، وتندم على ما فات وتحاسب عليه ، فيقول الله تعالى فى سورة القيامة (2) :

«وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ»

فالنفس اللوامة هى تلك النفس التى لا تزال على شىء من سلامة الفطرة ، حتى إذا ألمت بما يعكر صفوها من منكر ، أو طاف بها طائف من إثم ، اهتاجت له ، فلا يقر لها قرار ، ولايسكن لها حال ، حتى تتخلص من هذا الغريب الذى عبث بمقتنياتها من مذخورات الحق والخير . فإذا أخطأ صاحبها ، اضطرب كيانه كله، وضاقت بها نفسه ، فلا تطمئن له حال ، حتى يعود إلى مصالحة ربه بالندم

والتوبة الصادقة على ما كان منه ، فلا يستمر على ما اقترف من إثم ، ويقف بين يدى الله تعالى موقف المتهم النادم على ما فعل . وقد اعتادت هذه النفس لوم صاحبها ، كما اعتادت الاستجابة منه بالعمل على ما يخرجه من دائرة اللوم ، وذلك بالإقلاع عما كان منه ، والإكثار من عمل الصالحات حتى يقبل الله تعالى توبته ، ويتجاوز عن سيئاته ، فهى عين ساهرة على صاحبها ، فإذا أغراه الشيطان نبهته ، وإذا خطا خطوة نحو المعصية حذرته ، وإذا تعدى حدود الله تعالى هدَّدته ، وإذا اقترف المعصية قرعته ، فيعود إلى ربه نادمًا تائبًا . والنفس اللوامة نفس متيقظة حذرة خائفة ، تتلفت حولها ، وتتدبر أمرها ، وتسائل ذاتها بين الحين والحين عن الطريق الصحيح ، فهى التى لا تسكن إلا قلب المؤمن بالله تعالى ، المراقب لجلال سلطانه .

نفس مطمئنه بالرضى . هى النفس التى يسكن صاحبها بلا انزعاج ، ويتيقن بلا ارتياب ، ويطمئن بلا قلق ، لأنها نفس آمنت بالخالق البارئ ، واعتصمت بحبل الله تعالى ، فيقول الله تعالى فى سورة الفجر (27 - 30) :

« يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي »

فيناديها ربها بهذا النداء النبيل عند الهول الأكبر ، وفى موقف الكرب العظيم ، ومن ثنايا الرعب المزلزل ، ألا وهو الحساب والجزاء . فالنفس المطمئنة الراضية المرضية هى تلك النفس التى سكنت ريح أهوائها ، وما تسول به لصاحبها من وساوس الشيطان ، ونزعات السوء ، فيأمن معها من أن تضطرب به سفينة حياته، وهو يقطع أيام عمره ، حتى يبلغ عالم البرزخ الذى ينتهى به إلى الدار الآخرة ، دار البقاء والخلود ، حيث تحضر ملائكة الرحمة إلى صاحبها عند الموت ، تحمل إليه البشرى بما له عند ربه من رحمة راحمة ، ورضوان دائم .

والنفس البشرية عامة قد تتحول من نفس أمارة إلى نفس لوامة إلى نفس مطمئنة. فنفس الإنسان الأمارة بالسوء، تأمر صاحبها وتدفعه إلى عمل السيئات، وارتكاب المنكرات، فإذا تغلبت روح الإنسان على غرائزه فيكون قد نجح العبد فى اختبار الله تعالى له وامتحانه إياه، واستحق حسن الجزاء فى الدنيا والآخرة، لأن نفس الإنسان هى حينئذ النفس المطمئنة.

أما إذا تغلبت غرائز الإنسان على روحه، وتمكن الشيطان من تزيين الخطيئة له فارتكبها، فإن نفسه تلومه وتؤنبه على هذا الفعل، وهذا اللوم نتيجة لارتكاب الذنب المؤدِّى إلى جهنم وبئس المصير. فإن تابت هذه النفس اللوامة ورجعت إلى الله تعالى، أصبحت من النفوس المطمئنة، لأنها دخلت فى عباد الله تعالى الصالحين، واستحقت حسن الجزاء.

جهاد النفس البشرية :

النفس البشرية، من خصائصها وطبائعها، أنها جبلت على الميل للراحة، والحب للمدح، والتطلع إلى الشهوات، كما جبلت على حب الذات وكراهية العبادة، وحب التملك، وهروب من الالتزام إلى التحلل والفجور المادى والأخلاقى، فهى تحكمها غرائز ونوازع ومثيرات مختلفة. وهذه الغرائز والنوازع والمثيرات إذا لم تنل التربية الرشيدة والتوجيه السليم، انحرفت بصاحبها عن طريق الحق والخير، وقادته إلى مواطن الشر والضلال. وجهاد النفس يدخل ضمن معنى الجهاد فى سبيل الله تعالى، فيقول الله تعالى فى سورة الحج (78) :

«وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ»

وبالرغم من أن جهاد العدو يتطلب كثيرًا من المعاناة والجهد والمشقة، ومهما تكن شدته وقسوته، فإن أساليبه وفنونه ظاهرة، وأزمنته موقوتة وأمكنته محدودة؛ أما جهاد النفس فقواعده خفيَّة باطنة، ويقاوم نزعات تجرى فى كيان الإنسان وكوامن هواه، لأن شهوة النفس ونزواتها ملازمة لها دائمًا فى كل وقت وفى كل مكان، لا تنفك عنها فى أى مرحلة من مراحل حياتها، وإن كان بعض

هذه النزوات والشهوات تختلف عن بعض باختلاف المراحل التى تمر بها كاللعب فى الطفولة ، والحب فى الشباب ، والطمع فى الرجولة ، والسلطة فى الكهولة . من ذلك يتضح أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر الأشق من جهاد العدو .

ولما كان الإنسان يتعرض فى كثير من الأوقات لكثير من المؤثرات والنوازع والمغريات والمثيرات ، فيمكن أن تنحرف شهواته ونوازعه وتعصف بكل ما يعترضها من قيم الدين ، ومبادئ الأخلاق . فإذا لم يكن قوى النفس ، منيع الجانب ، عظيم الخلق ، مع رقابة واعية ، وتقويم سليم ، وتوجيه رشيد ، وجهاد شاق ، فإنه لا يثبت أمام الأحداث ، ولا يصبر على المكاره ، ولا يصمد أمام عوامل الإغراء ؛ ومن ثَمَّ كان جهاد النفس لازمًا دائمًا ، وشاقًا لتخلص من عوامل الضعف ، وتقوى على الأحداث ، وتكون طاقة دافعة وقوة نافعة فى مجال العمل وميدان القتال . فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال : «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» [رواه الترمذى وابن ماجه وأحمد]، وقال عندما سُئل عن الوهن : «حب الدنيا وكراهية الموت» . [رواه أبو داود وأحمد واللفظ لأبى داود].

والقرآن الكريم يشير إلى أن حياة الإنسان محفوفة بالمتاعب والمشقة ، فيقول الله تعالى فى سورة البلد (4) :

«لقدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ في كَبَدٍ»

كما يشير إلى طبيعة الحياة ودوام تغيرها ، وأنها لا تثبت على حال ، فيوم لك ويوم عليك ، فيقول الله تعالى فى سورة آل عمران (140) :

«إن يَمْسَسْكُم قَرْحٌ فقدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُداوِلُها بين الناس . . . .»

والآيات القرآنية الكريمة تذكر جملة أمور وأساليب تعين الإنسان على نفسه وتهوِّن على النفس متاعب الحياة ومشاقها ، وهى على النحو التالى :

تعرف الإنسان على طبيعة نفسه. يجب على المرء أن يتعرف على نفسه ، فيعلم أنه ملك لله تعالى ، إذ هو الذى خلقه من عدم ، وهو الذى منحه الحس والحركة ،

وهو الذى وهبه العقل والجوارح ، وهو الذى منحه السمع والفؤاد ، وهو الذى أسبغ عليه نعمه الظاهرة والباطنة ، فإن كان لديه صحة وقوة فهى من الله تعالى ، وإن كان لديه مال وأبناء فهى من الله تعالى . فإذا نزل بالمرء نازل سلبه شيئًا مما عنده ، فإنما استرد صاحب الملك بعض ما وهب ، ولا ينبغى للمرء أن يسخط على المالك إذا استرد يومًا وديعته .

تعرف الإنسان على طبيعة الدنيا. يجب على المرء أن يتعرف على طبيعة الحياة الدنيا التى يعيش فيها ، فهى ليست جنة نعيم ولا دار خلود ، إنما هى دار ابتلاء وتكليف يعبر بها إلى دار الآخرة . فقد خلق الله تعالى الدنيا على طبيعة إختلطت فيها اللذائذ بالآلام ، فهيهات أن ترى فيها صحة لا يكدرها سقم ، أو فرحًا لا ينغصه حزن ، أو راحة لا يخالطها تعب ، أو أمانًا لا يلحقه خوف فهذا ينافى طبيعة الحياة الدنيا ودور الإنسان فيها .

اقتداء الإنسان بأهل العزائم. يجب على المرء أن يتأمل مسيرة أهل العزائم من الرسل الكرام والمصطفين الأخيار ، الذين جعل الله تعالى من حياتهم وجهادهم دروسًا بليغة لمن بعدهم ، ليتخذ منها أسوة ، ويتعظ بها عما يصيبه من متاعب الحياة وأذى الناس . وقد سار الرسول ﷺ على منهج القرآن الكريم فى توجيه أصحابه ، بأن ضرب لهم الأمثلة ، بما أصاب المؤمنين من قبلهم من ألوان البلاء، وكيف غلبوه بالصبر ، ليكون فى ذلك لهم عزاء وسلوى وأسوة .

إيمان الإنسان بقدر الله. يجب على المرء أن يؤمن بأن قدر الله تعالى نافذ لا محالة ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه . فالارتكان على الأقدار أمر مشروع لأن المرء لا اختيار له فيه ، من نوائب الدهر ، ونكبات الأيام . وهذا له أثره فى نفس المرء ، حيث يخفف عن النفس لوعة الأسى على ما فاتها ، والحزن على ما أصابها . وإن كانت مقادير الله تعالى نافذة ، رضى المرء أم لم يرض ، صبر أم جزع ، فإن العاقل يجب أن يصبر ويرضى حتى لا يحرم المثوبة ، والتسليم بالواقع هو مقتضى العقل والدين معًا .

يقين الإنسان بقرب الفرج . يجب على المرء أن يكون متيقنًا بأن نصر الله تعالى قريب ، وأن فرجه آت لا ريب فيه ، وأن بعد العسر يسرًا . وهذا اليقين جدير بأن يبدد ظلمة القلق من النفس ، ويطرد شبح اليأس من القلب ، وأن يضيء الثقة بالغد ، وهذا كسب نفسى كبير ، فإن الأمل شحنة دافعة إلى الأمام ، أما اليأس فهو داء وبيل.

استعانة الإنسان بالله تعالى . يجب على المرء أن يستعين بالله تعالى فى كل أعماله ، ويلجأ إليه ليشعر أنه فى رعايته وحمايته ، ومن كان بمعيّة الله تعالى مصحوبًا ، فهو أهل لأن يتحمل المتاعب ويصبر على المكاره . ولعل حاجة المرء إلى الاستعانة بالخالق البارئ والتوكل عليه ، هى بعض أسرار اقتران الصبر بالتوكل على الله تعالى فى آيات قرآنية كثيرة .

يقين الإنسان بحسن الجزاء. يجب على المرء ـــ إذا أصابته مصيبة ـــ أن يتذكر أن مصيره إلى الله تعالى مهما طالت هذه الحياة ، وأن أجره عنده لا يضيع، فإن يقين المرء بحسن الجزاء وعظم الأجر عند الله تعالى ، على البلية يخفف مرارتها على النفس ، ويهون من شدة وقعها على القلب ، فكلما قوى اليقين ، ضعف الإحساس بألم المصيبة .

فالنفس البشرية تكتنفها عوامل الشر والفساد ، كما أنها مكان خصيب لوسوسة الشيطان وإغراءاته، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم». [رواه البخارى ومسلم وغيرهم] فالنفس ، كما أخبر عنها خالقها وبارئها ، أمارة بالسوء نزاعة إلى الشر ، تُطوِّع لصاحبها فعل المنكرات ، واجتراح السيئات ، وتُسول له الظلم والفساد ، لا تنطفئ ولا تخمد نارها ، ومثل هذه الحرب التى لا هوادة فيها ولا مهادنة ، تحتاج إلى قوة أية قوة ، وإلى جهاد أى جهاد .

* * *

ومن مقتضيات طهارة السر إقامة نظام يجمع المسلمين الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ لصلاحهم ونصحهم فيما بينهم ، وهذا ما يطلِق عليه القرآن

مصطلحات التواصى بالحق ، والتواصى بالمرحمة ، والتواصى بالصبر ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة العصر (1 - 3) :

«والْعَصْرِ * إنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إلاَّ الَّذِين آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات وتواصوا بالْحَقِّ وتَواصَوْا بالصَّبْرِ»

وقول الله تعالى فى سورة البلد (17 و 18) :

«ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وتَواصَواْ بالصَّبر وتَواصَواْ بالْمَرْحَمة * أُولَئِك أصحاب الْمَيْمَنَة»

فالله تعالى يحب أن تنشأ بين المسلمين روح النصح ، فلا يعيش المؤمن لصلاح ذاته فحسب ، بل يجب أن يسعى لصلاح وهداية إخوانه المؤمنين الذين يعيش بينهم . فروح العبودية تُحتم على العباد أن يتجمعوا فى وحدة قوية ، وأن يجاهدوا لإصلاح ؛ .سهم .

فالمطلوب لهذا المقتضى أن يجاهد كل مسلم حسب مقدرته وكفاءته لإصلاح وحماية إخوانه المسلمين ، فعن الصحابى جرير بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال : «بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم» [أخرجه البخارى والترمذى والنسائى وغيرهم] وهذا ما وصفه الله تعالى فى الآيات الكريمة الآنفة الذكر : تواصوا بالحق ، وتواصوا بالمرحمة ، وتواصوا بالصبر . فيوصى بعضنا بعضًا بما هو على النحو التالى :

* **تواصى بالثبات على الحق.** وهو الخير كله من الإيمان بالعقيدة الصحيحة، والتحلى بالعلم النافع ، والقيام بالعمل الصالح .

* **تواصى بالتخلق بالمرحمة.** وهو الرحمة كلها من الإيمان بالله تعالى، والأداء للشعائر التعبدية أى العبادة بالشعائر ، والقيام بالأفعال التعبدية أى العبادة بالأفعال .

* **تواصى بالتحلى بالصبر** . وهو المجاهدة كلها من الصبر الجميل فى حبس النفس على الطاعات التى يشق أداؤها ، وحبس النفس على البلاء الذى قد ينزل بها فلا يتركها تجزع ؛ وحبس النفس عن المعاصى التى تشتاق إليها بحكم الطبيعة البشرية .

وقد قيل فى حكمة التواصى بالحق، والتواصى بالمرحمة، والتواصى بالصبر : أن التواصى بالحق عبارة عن رتبة العبادة الشرعية التى تفعل ما يرضى به الله تعالى ؛ والتواصى بالمرحمة عبارة عن رتبة الإيمان الرفيعة التى تعلق بمشيئة الله تعالى ؛ والتواصى بالصبر عبارة عن رتبة العبودية الحقة التى ترضى بما فعل الله تعالى . وسنقدم صورة شاملة عن سمات التواصى بالحق ، وسمات التواصى بالمرحمة ، وسمات التواصى بالصبر فى الفصول القادمة .

* * *

الفصل الأول : سمات التواصى بالحق

طهارة السر عما سوى الله تعالى يكون بسمو النفس البشرية فى العقيدة الصحيحة ، والشعائر التعبدية، والأفعال التعبدية ، أى التواصى بالخير كله اعتقادًا وعبادة سواء كانت بالشعائر أو بالأفعال ، وقد أطلق على الإسلام لفظ الحق ، فيقول الله تعالى فى سورة الفتح (28) :

«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . . .»

كما أطلق على القرآن الكريم لفظ الحق ، فيقول الله تعالى فى سورة الإسراء (105) :

«وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا»

وكان الرسول ﷺ يدعو فى قيام الليل بهذا الدعاء : «اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، فأنت الله لا إله إلا أنت» [أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم وهو متفق عليه]. ويقول الرسول ﷺ فى الذين يجاهدون للدفاع عن الحق : «لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله سبحانه» [أخرجه البخارى ومسلم والترمذى واللفظ له] .

والتواصى بالحق أمر به الخالق البارئ فى كتابه المجيد ، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (213) :

«كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ»

فالحق لا يقوم وحده ، وإنما ينهض بالرجال الذين لهم همم عالية ، عندهم من الشجاعة ما يحملهم على الجهر به ، والإعلام عنه دون خوف أو جبن ، لأنهم منتدبون من قبل الله تعالى لإشاعة هذا النور ، والإعلام به فى العالمين ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة آل عمران (104) :

«وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

ففى «رسالة إلى كل مسلم» لابن القيم ، قال الحسن البصرى : «هذا حبيب الله ، هذا ولى الله ، أسلم لله ، وعمل بطاعة الله ، ودعا الخلق إليه ، فهذا النوع أفضل أنواع الإنسان وأعلاهم درجة عند الله يوم القيامة» .

ودعاة الحق من واجبهم ألا يخشوا إلا الله تعالى، وألا يخافوا أحدًا سواه، لأن الجهر بالحق لا ينقص رزقًا ، ولا يقدم أجلاً ، فإن الآجال بيد الله تعالى، والأرزاق فى قبضته. والجهر بالحق من أعظم الفضائل، لأنه لا قيام للباطل إلا فى غفلة الحق، فما دام الدعاة إلى الله تعالى يجهرون بالحق، ويدعون إليه، ويعملون على نشره، فسوف يتوارى الباطل وينحسر. ولهذا كان الجهر بالحق واجبًا .

فالحق الواجب ضرورة ، إلا أن النهوض به عسير ، والمعوقات عنه كثيرة ، كهوى النفس ، ومنطق المصلحة ، وتصورات البيئة ، وطغيان الطغاة ، وظلم الظلمة ، وجور الجائرين . والتواصى ما هو إلا تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى فى الهدف والغاية والآخرة فى العبء والأمانة .

والتواصى بالحق يشمل عدَّة مظاهر منها العقيدة الصحيحة ، والشعائر التعبدية أى العبادة بالشعائر ، والأفعال التعبدية أى العبادة بالأفعال ، والجدول رقم (18) يوضح بعض سمات هذه المظاهر.

جدول رقم (18) : سمات التواصى بالحق

مظاهر العقيدة الصحيحة	مظاهر الشعائر التعبدية	مظاهر الأفعال التعبدية
* سمة الدعوة إلى التمسك بالعقيدة	* سمة التمسك بالدين فى العبادة	* سمة العلم والمعرفة بالله
* سمة الدعوة إلى العفو عند المقدرة	* سمة التوحيد الإلهى فى العبادة	* سمة الأدب والكياسة مع الله
* سمة الدعوة إلى المروءة والتعاون	* سمة النية والإخلاص فى العبادة	* سمة التقرب بالطاعات إلى الله
* سمة الدعوة إلى الأريحية والعطاء	* سمة الطهارة الشرعية للعبادة	* سمة الاعتماد الكامل على الله
* سمة الدعوة إلى الأمر بالمعروف	* سمة الصلاة الشرعية للعبادة	* سمة الهبة لكيانه الكامل لله
* سمة الدعوة إلى النهى عن المنكر	* سمة الزكاة الشرعية للعبادة	* سمة التعوذ من الشيطان بالله
* سمة الدعوة إلى الزهد فى الدنيا	* سمة الصوم الشرعى للعبادة	* سمة التفانى فى حب الله
* سمة الدعوة إلى التعفف فى كل المجالات	* سمة الحج الشرعى للعبادة	* سمة الثقة الكاملة بالله
		* سمة العدل فى التعامل مع الله
		* سمة التوبة عن الشهوات إلى الله

مظاهر العقيدة الصحيحة

العقيدة الصحيحة هى من صميم فطرة الإنسان الذى يشعر فى كيانه بوجود ذات عليا تهيمن عليه فى جميع تصرفاته ، وهى صاحبة القهر والسلطان على هذا الكون . وقد لا تهتدى هذه الفطرة إلى الصورة الصحيحة للعقيدة تحت ظروف تأثيرات خارجية، فتنحرف بصاحبها إلى كثير من الخرافات ، وقد توقع صاحبها فى الإلحاد بالله أحيانًا .

ولما كان سلوك الإنسان ينبع من عقيدته ، فكل عمل يقوم به لا يكون مقبولاً إلا إذا كان نابعًا من عقيدة صادقة. ولما كانت العقيدة محلها القلب، فلا

يمكن التعرف على صدق عقيدته فى قلبه إلا من واقع تصرفاته . فإذا كانت العقيدة غير صحيحة ، بطل ما يتفرع منها من شعائر وأفعال تعبدية .

والعقيدة الصحيحة تطالب المسلمين بالاقتداء بالرسول ﷺ فى الالتزام بالدعوة إلى الله تعالى على بصيرة من القرآن الكريم ، وفى مختلف الصور ، وهذه الدعوة تشمل كثير من المظاهر التى لها سمات واضحة ، نذكر منها ما هو على النحو التالى :

سمة الدعوة إلى التمسك بالعقيدة:

المسلم طاهر السر يدعو غيره إلى دين الحق، ويوصيه به ، ولا يخشى إلا الله تعالى ولا يخاف أحدا سواه ، فى دعوته إلى الحق، والجهر به ، فيقول الله تعالى فى سورة التحريم (6) :

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحجارة ....»

فالمسلم الحق هو الذى يتمسك بدينه ، ويثبت قلبه عليه ، ويدعو له عن اقتناع وعقيدة . فالحق يتمثل فى هذه العقيدة التى يؤمن بها ، ويدعمها ، ويغذيها بالاقتناع الفكرى القائم على الثقة والاعتزاز ، وتقديمها إلى الناس مدعمة بالدلائل العلمية ، ونقلها إلى الأجيال اللاحقة .

سمة الدعوة إلى العفو عند المقدرة:

المسلم طاهر السر يدعو غيره إلى التحلى بالعفو عند المقدرة ، ويغفر الزلة، فيقول الله تعالى فى سورة النور (22) :

« ... وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»

فهو يعرف أن العفو ليس ضعفًا ، والتسامح ليس صعبًا ، فهو الذى يتصارح ويتسامح ويتصافح مع أصدقاءه وإخوانه وهو ذو همة عالية ، ونفس لا تضل ولا تذل ولا تطغى .

سمة الدعوة إلى المروءة والتعاون:

المسلم طاهر السر يدعو غيره إلى المروءة والتعاون وحب الخير ، فيقول الله تعالى فى سورة المائدة (2) :

«وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ»

فالخير أن يستخدم المال فى إعانة الفقير والمسكين واليتيم ، وأن يستخدم الجاه فى إزالة الظلم وقضاء حوائج الناس ، وأن يفنى عمره فى الصالح من الأعمال .

سمة الدعوة إلى الأريحية والعطاء:

المسلم طاهر السر يدعو غيره إلى التمتع بالأريحية والعطاء ، وينفق مما آتاه الله تعالى من نعم ومال وخيرات على العباد الذين جعل الله تعالى لهم حقًا معلومًا فى مال الخالق البارئ الذى وضعه بين يديه لينفقه دون شح أو بخل على اليتامى والمساكين والفقراء ، فيقول الله تعالى فى سورة الحديد (7) :

« آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ»

فالبر لا يقف عند عبادة من العبادات ، بل يتعداه إلى عمل الصالحات ، والتخلق بمكارم الأخلاق التى يحب الله تعالى من عبده أن يطهر نفسه ويزكيها بها . ويتصدق مما أتاه الله تعالى من خيرات الدنيا على من يستحق من العباد، فالمال مال الله تعالى ، والله يعطيه من يشاء من عباده . والمسلم الطاهر هو الذى يطهر ماله بالصدقة .

سمة الدعوة إلى الأمر بالمعروف:

المسلم طاهر السر يدعو غيره إلى الأمر بالمعروف ، لأنه من أعظم الواجبات الدينية بعد الإيمان بالله تعالى ، فيقول الله تعالى فى سورة آل عمران (104) :

«وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ويأمُرُون بالمعَرُوف وينهون عن المنكر وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

وعن الرسول ﷺ أنه قال : «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم» [رواه أحمد والترمذى].

والداعى إلى المعروف يجب أن يكون عالمًا بحقيقة ما يأمر به من أنه معروف فى الشرع وأنه قد ترك بالفعل ؛ وأن يكون ورعًا يأتى بالذى يأمر به من معروف ؛ وأن يكون حسن الخلق حليمًا يأمر بالرفق ؛ وأن يُعرِّف المرء بالمعروف قبل أن يأمره باتباعه ، إذ قد يكون هذا المرء قد تركه لكونه لم يعرفه أنه من المعروف . والمعروف إذا ترك ولم يؤمر به ساعة تركه ، لا يلبث الناس أن يعتادوا تركه ، ويصبح فعله عندهم من المنكر . من أجل ذلك أوجب الله تعالى والرسول ﷺ الأمر بالمعروف فريضة على المسلمين إبقاء لهم على طهرهم وصلاحهم، ومحافظة لهم على شرف مكانتهم بين إخوانهم .

سمة الدعوة إلى النهى عن المنكر:

المسلم طاهر السر يدعو غيره إلى النهى عن المنكر ، لأنه من أعظم الواجبات الدينية بعد الإيمان بالله تعالى ، فيقول الله تعالى فى سورة آل عمران (110) :

«كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...»

وعن الرسول ﷺ أنه قال : «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » [رواه مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم] .

والمنكر إذا لم يُبَادَرْ إلى تغييره وإزالته ، لم يمض زمن يسير حتى يكثر وينتشر ، ثم يُعتاد عليه ويُؤْلَف ، ثم يصبح فى نظر مرتكبيه غير منكر ، بل يرونه

هو المعروف بعينه . وعندئذ يصبح من غير السهل تغييره أو إزالته ، ويومها يستوجب فاعلوه العقاب من الله تعالى . وإذا أهمل فى جماعة من المؤمنين المنكر فلا يُغَيَّر ، لا يلبثون أن يصبحوا خبثاء الأرواح ، شريرى النفوس ، لا يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكرًا ، ويومئذ يصبحون غير صالحين للحياة ، فيهلكهم الله تعالى بما شاء من أسباب ، وإن بطش الله تعالى لشديد ، والله تعالى عزيز ذو إنتقام .

سمة الدعوة إلى الزهد فى الدنيا:

المسلم طاهر السر يدعو غيره إلى الزهد فى الدنيا وما فيها من متاع ، وسعيه للآخرة وما فيها من استقرار، وهذه الخصلة تكون فى العبد الذى طهر نفسه ظاهرًا وباطنًا ، ثم فرض على نفسه طهارة السر عما سوى الله تعالى ، لأنه يعلم أن الدنيا عرض زائل ، والآخرة دار أمان ، فيقول الله تعالى فى سورة الأعلى (16 و 17) :

«بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ»

فالحياة الدنيا لا قيمة لها ، ولا تقاس بشيء أمام قيمة الحياة الآخرة التى هى دار السعادة الأبدية للمؤمن الذى عمل لها ، وسعى إليها بالتقشف والحرمان، فاستحقها بعد زهده فى الدنيا ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى الكافر منها شربة ماء» [رواه الترمذى فى كتاب الزهد]، وهكذا كانت الدنيا تافهة ، ولا توزن عند خالقها بما يعادل جناح بعوضة، ومن يشترى الدنيا ، يكون قد باع نفسه للشيطان ، وعاشها عبدًا للشهوات ؛ وحين يموت فهو والعياذ بالله يخرج من الدنيا محملاً بالذنوب والآثام التى ترديه إلى جهنم مذمومًا مدحورًا . أما من باع الدنيا وألقى بها وراء ظهره ، فهو قد طهر نفسه من رذائلها واشترى بدلاً منها دار البقاء وهى دار الخلود ، فى نعيم الله ورضوانه.

والمسلم الزاهد فى الحياة الدنيا يعرف يقينًا أن الدنيا أصل كل الخطايا والذنوب التى يحملها فوق كاهله أوزارًا ترديه فى الجحيم ، فهو قد ارتضى أن يطلق الدنيا حتى الممات للأسباب التالية :

* مُحب الدنيا أشد الناس عذابًا ، فهو يعذب فى الدنيا بالسعى فيها ومنازعة أهلها ؛ ويعذب فى البرزخ بالحسرة عليها ، فهو أشد الناس عذابًا فى قبره، إذ يحمل الهم والغم والحسرة فى روحه ، ويحمل هوام الأرض والديدان فى بدنه ؛ ويعذب فى الآخرة يوم لقاء ربه .

* مُحبُّ الدنيا والمتكالب على ملذاتها وشهواتها تبعده عن القيام بواجبات عبوديته من فروض وواجبات شرعية ، فكان يجب عليه أن يتفرغ للقيام بها إكمالاً لدينه ووفاءً لما أمره الله تعالى به على لسان الرسول ﷺ . فالعبد الصالح لا يستطيع أن يجمع بين الدنيا والآخرة .

* مُحبُّ الدنيا يجعلها غايته ، ويتوسل إليها بكل الأعمال الدنيوية التى تقربه منها ، والتى تبعده عن الآخرة بكل ما فيها من أمان واستقرار وحسن جزاء . فعن الرسول ﷺ أنه قال : «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ؛ ومن كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له» [رواه الترمذى والدارمى] .

سمة الدعوة إلى التعفف فى كل المجالات:

المسلم طاهر السرّ يدعو غيره إلى التعفف فى مختلف المجالات ، فهو لا ينافق ، ولا يحاور ، ولا يداور حين يصادق، بل يكون واضحًا صريحًا ، ويرى العزة فى تواضعه للناس ، والعفة فى فعل الخير واجتناب الشر ، وإذا علت مكانته بين الناس فلا يصيبه الغرور . ويمكن سرد التعفف فى عدة مجالات على النحو التالى:

التعفف عن الشهوة الجنسية. يجب على المسلم أن يتعفف عن شهوة الفرج إذا كانت خارجة عن نطاق ما أحله الله تعالى ، .وبذلك يصون الإنسان شهوته الجنسية عن الحرام والرذيلة ، فيقول الله تعالى فى سورة النور (33) :

«وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ...»

أى فليلجأ إلى العفة أولئك الذين لا يجدون وسائل تمكنهم من الزواج . وطلب العفة هنا يكون بضبط النفس وحفظ الحواس عن الاستجابة للشهوات ، وعدم الخوض فيما يثير هذه الشهوات ، ومعالجة النفس بالعبادة من صوم وصلاة وعمل صالح .

التعفف عن النظر الجامح . يجب على المسلم أن يتعفف عن النظر إلى الجنس الآخر بشهوة، فإطالة النظر من الرجل إلى المرأة أو بالعكس هو مفتاح القلب ، والنظر رسول الفتنة ويريد الزنا المحرم ، فيقول الله تعالى فى سورة النور (30 و 31) :

« قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...»

وقد جعل الرسول ﷺ النظرات الشرهة من أحد الجنسين إلى الآخر زنا بالعين ، لأنه ضرب من التلذذ بالغريزة الجنسية بغير الطريق المشروع .

التعفف عن التبرج الفاضح. يجب على المسلم أن يتعفف عن التبرج الفاضح. وللتبرج صور ومظاهر شتى يؤديها النساء لما فيه من لفت أنظار الرجال إليهم، وإثارة خيال ذوى النزعات الشهوانية ، فيقول الله تعالى فى سورة الأحزاب (33) :

«وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ...»

والمرأة التى خُلُقها التبرج ، تتكشف للرجال باظهار مفاتنها، وزينتها، ورائحتها، ومحاسنها ، ورقتها على النحو التالى :

* إظهار مفاتنها عن طريق ارتداء الثياب الرقيقة الشفافة التى تظهر ما تحتها ، أو الثياب الضيقة المبرزة لمفاتن الجسد ، أو الثياب الكاسية العارية المثيرة للغرائز.

* إظهار زينتها عن طريق زينة خَلْقِيَّة كاستعمال المساحيق للخدين والأصباغ للشفتين، والكحل للعينين ، والتسريحات للشعر ، والطلاء للأظافر ، والمحاسن للجسد ؛ أو عن طريق زينة مكتسبة كارتداء الثياب المتبرجة ، والحلى الملفتة للنظر.

* إظهار رائحتها عن طريق استعمال الطيب والعطور ذات الروائح الفائحة لاستثارة الغرائز ، وجذب انتباه الرجال .

* إظهار محاسنها عن طريق التكسُّر فى المشى أمام الرجال ، مما يثير غرائزهم الجنسية ويغريهم بها ، ويطمع العابثين فيها .

* إظهار رقتها عن طريق التكسُّر فى الكلام ، حتى تكون طريَّة فى حديثها، مما يستثير شهوات الرجال ، ويرق لها لعابهم .

التعفف عن القول الجارح . يجب على المسلم أن يتعفف عن القول الفاحش الذى يصبح مدعاة لتغير النفوس البشرية ، وعدوان على الإخوة المسلمين ، ومنافاة للأدب السليم ، واحتقار للذوق الرفيع ، فيقول الله تعالى فى سورة النور (19) :

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ...»

فالمسلم لا يضيع وقته فى الفسق والرفث ، ولا يجعل الناس موضع هزئه وتندره ونكاته ، كما لا ينادى المرء بما يسوء منها ويكره ، والقرآن الكريم يرمز إلى العفة فى القول بترك الألفاظ النابية، والابتعاد عن أحاديث المجون والفجور.

التعفف عن المال الحرام. يجب على المسلم أن يتعفف عن المال الحرام .

فالإنسان لا يأخذ إلا ما كان حقًا حلالاً له ، وأن يصون يده عن أن يأخذ شيئًا فيه شبهة ، ففى التعفف عن أكل مال اليتيم ، يقول الله تعالى فى سورة النساء (6) :

« . . . ومَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ . . . »

وفى التعفف عن سؤال الناس ، يقول الله تعالى فى سورة البقرة (273) :

«لِلْفُقَراء الَّذين أُحْصِرُوا في سبيل الله لا يستطيعون ضربًا في الأرض يحسبهم الجاهلُ أَغْنياء من التَّعفُّف تعرِفُهُم بسيماهُم لا يسألُون الناس إلحافا وما تنفقوا منْ خَيْرٍ فإنَّ الله به عليمٌ»

فيجب التصدق على الفقراء الذين حوصروا فى الجهاد ، ولا يتمكنون من التكسب ويراهم من يجهل حالهم ، فلا يعرف أنهم محتاجون لأنهم يعفون أنفسهم عن ذل السؤال ، ولكن لو تدقق النظر فى أمرهم ، لعُرف دلائل تدل على مدى احتياجهم للمال ، وهم لا يلحون فى السؤال ، فهم أولى من غيرهم بالإعطاء .

مظاهر الشعائر التعبدية

العبادة بالشعائر هى جزء من العبادة الشاملة ، لأن العبادة أوسع وأشمل من أداء الشعائر التعبدية فقط . وعبادة الله تعالى بالشعائر على الوجه الذى يطالب به الدين لاتتحقق إلا باتباع أوامر الخالق واجتناب نواهيه، فمن أوامره: الطهارة الظاهرة التى تزين منظر الإنسان، وتطهر بدنه وثوبه ومكان صلاته من الخبائث، وترفع عنه الأحداث حتى يقف بين يدى الله تعالى خاشعًا. والطهارة الباطنة التى تطهر جوارح الإنسان وقلبه ونفسه من كل ما هو رجس أو دنس، بإقامة الصلاة فى أوقات معينة وعلى هيئات محددة ؛ وإيتاء الزكاة بعد أن يتمكن العبد من كسب وتنمية ما يملك من مال، وما الكسب إلا ثمرة السعى والجد والعمل؛ وصوم رمضان للمكلف القادر بالإمساك عن شهوة البطن ، وشهوة الفرج،

من طلوع الفجر الصادق المستطير فى الأفق حتى غروب قرص الشمس الحقيقى؛ وحج بيت الله الحرام للمستطيع، وناهيك بما فى الحج من نفقات سفر، وأداء نسك، وغيرها من تحمل وصبر منذ أن يخرج الحاج من بيته إلى أن يرجع إلى وطنه وأهله.

والعبادة بالشعائر، أو الشعائر التعبدية تشمل مظاهر عديدة ، يمكن سرد سمات بعض هذه المظاهر على النحو التالى:

سمة التمسك بالدين فى العبادة:

المسلم طاهر السر يتمسك بدين الإسلام، ويثبت عليه مهما كلَّفه من مشاق ومتاعب، ويسأل الله تعالى أن يثبِّت قلبه على الإسلام، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الزخرف (43 و 44) :

«فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ»

فقد كان الرسول ﷺ يقول: «اللهم يا مقلب القلوب ثبِّت قلبى على دينك» [رواه الترمذى وأحمد].

سمة التوحيد الإلهى فى العبادة:

المسلم طاهر السر يخص الله تعالى بكل العبادات التى شرعها لعباده، وتعبدهم بها، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة طه (14):

«إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي»

فإذا سأل سأل الله تعالى، وإذا استعان استعان بالله تعالى، وإذا نذر لاينذر لغير الله تعالى، فلله وحده جميع أعماله الباطنة من خوف ورجاء، وإنابة ومحبة، وتعظيم وتوكل ، وجميع أعماله الظاهرة من طهارة، وصلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وجهاد فى سبيل الله تعالى.

سمة النية والإخلاص فى العبادة:

المسلم طاهر السر يصدق النية، ويخلص فى العبادة بعيدا عن الرياء والغرور، فيقول الله تعالى فى سورة غافر (65) :

«هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ....»

فإذا خالط العبادة غرض غير إرضاء الله تعالى كالرياء وما إليه، لم تكن من الحسن فى شيء، ومن ثَمَّ كان المقياس الذى تُعرف به أقدار الأعمال هو النية.

فالمسلم النقى حين يشهد بكلمة «لا إله إلا الله» بنية خالصة، ويتبعها بكلمة «محمد رسول الله» بصدق خالص، فإنه يعبد الله تعالى بحق ويأتمر بما أمره الله تعالى، وينتهى عما نهى الله تعالى.

سمة الطهارة الشرعية للعبادة:

المسلم طاهر السر يحافظ على نظافة بدنه وثوبه ومكان صلاته طوال اليوم والليلة، ليؤدى صلاته طاهراً، فيقول الله تعالى فى سورة الأنفال (11) :

«... يُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ...»

فعن الرسول ﷺ أنه قال: «الطهور شطر الإيمان» [رواه مسلم وأحمد والدارمى]، وقوله: «لاتقبل صلاة بغير طهور»[رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم]، وقوله: «مفتاح الصلاة الطهور»[رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد]. فالطهارة الظاهرة وهى الوضوء قبل كل صلاة، أو الغسل بعد كل جنابة، ينشط الجهاز العصبى والعضلى. كما أن الدعاء عند غسل كل عضو من أعضاء الوضوء ، يوجه سلوك المتوضئ لما يرضى الله تعالى، ويساعد فى السمو بالنفس البشرية.

سمة الصلاة الشرعية للعبادة:

المسلم طاهر السر يحافظ على صلاته فى مواقيتها، إذ إن من أسرار الصلاة أنها معراج المؤمن إلى ربه عز وجل، وهى خشوع لله الواحد القهار. أما آثار الصلاة فهى تتمثل فيما يحصل للمصلى من إيجابية الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، فيقول الله تعالى فى سورة العنكبوت (45) :

« . . . وأَقِمِ الصَّلاةَ إنِ الصَّلاة تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنكَر . . . »

فعن الرسول ﷺ أنه قال: « . . . فإن الصلوات تُذهب الذنوب كما يذهب الماء الدَّرن» [رواه ابن ماجه وأحمد] . ففى الصلاة تربية للنفوس البشرية .

سمة الزكاة الشرعية للعبادة:

المسلم طاهر السر يحافظ على زكاته، مراعيًا فى ذلك نوعياتها، ومقاديرها، ومواعيد إخراجها. فمن أسرار الزكاة أن فيها من البذل والبر والإحسان والحنان بالمعوزين والبائسين، فيقول الله تعالى فى سورة التوبة (103) :

«خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِم بِهَا . . . »

فعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى قتال مانعى الزكاة قال: «والله لو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليها»، ووافقته الصحابة على ذلك، فكان إجماعًا منهم .

ففى الزكاة تطهير النفس البشرية ووقايتها من رذيلة البخل والشح، والشره والطمع؛ ومواساة الفقراء، وسد حاجات المعوزين والبؤساء والمحرومين، وتجنب طغيان المادة وتوجيهها فى سبيل الخير والصلاح؛ وتحديد تضخم الأموال عند الأغنياء، كيلا تُحصر الأموال فى أيدى طائفة محدودة من الناس.

سمة الصوم الشرعي للعبادة:

المسلم طاهر السر يحافظ على صيامه ، لما يحصل للصائم من الصفاء الروحي، فيقول الله تعالى في سورة البقرة (185) :

«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ....»

فعن الرسول ﷺ أنه قال: «الصيام جُنة من النار، كجُنة أحدكم من القتال»[رواه النسائي وأحمد]، وقوله: «إن للصائم عند فطره دعوة لاتُرد» [رواه ابن ماجه في كتاب الصيام]، وقوله: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه» [متفق عليه]، وقوله عن الصوم أنه: «نصف الصبر» [رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد].

ففي الصوم فوائد روحية منها: أنه يعوِّد الصبر ويقوى عليه، ويُعلِّم ضبط النفس ويساعد عليه، ويُوجد في النفس ملكة التقوى ويربيها، فيقتضي من النفس البشرية قوة الصبر، وشدة الجلد، والتحكم في الغرائز والشهوات ، وفيه من المشقة والجهد مبعثهما المنع والحرمان.

وفي الصوم فوائد اجتماعية منها: أنه يعوِّد الأمة حب النظام والاتحاد، وحب العدل والمساواة، ويخلق في المؤمنين عاطفة الرحمة وخُلق الإحسان، ويصون المجتمع من المفاسد والشرور.

وفي الصوم فوائد صحية منها: أنه يطهر الأمعاء، ويصلح المعدة، وينظف الأمعاء من الفضلات والرواسب، ويخفف من وطأة السمنة .

سمة الحج الشرعي للعبادة:

المسلم طاهر السر يحافظ علي زيارة بيت الله الحرام إن استطاع إليه سبيلاً، ففي الحج أو العمرة وفادة على الله تعالى في بيته المحرم، ومفارقة للحجاج والعمار. يقول للأوطان والديار والأهل والأولاد . يقول الله تعالى في سورة البقرة (196) :

«وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ . . .»

وعن الرسول ﷺ أنه قال: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه» [أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وغيرهم].

ففى الحج أو العمرة. يقف الحجاج والعمار فى موقف خاشع تجمعهم المساواة ، يتذكرون الموقف الرهيب يوم يقوم الناس لرب العالمين. ومن حكمة العمرة والحج : تطهير النفس من آثار الذنوب لتصبح أهلاً لكرامة الله تعالى فى الدار الآخرة، وسمو بالنفس عن أرجاس المادة.

مظاهر الأفعال التعبدية

العبادة بالأفعال هى جزء من العبادة الشاملة ، لأن المسلم لا يتقرب إلى الله تعالى بالتركيز على الشعائر التعبدية فقط ، بل يتعداه إلى فعل الطاعات ، كأن يداوم على ذكر الله تعالى من تسبيح وتكبير وتهليل وتحميد ؛ ويداوم على قراءة القرآن الكريم، مع حفظ كثير من آياته عن ظهر قلب . كما يكثر من الندم والاستغفار والتوبة، ويطلب العفو عن كل ما جنت يداه من المعاصى والذنوب، وينفق ما آتاه من الله تعالى من نعم ومال وخيرات دون شح أو بخل على الفقراء والمساكين ؛ ويوفى بالعهود إذا عاهد حتى يكون واجهة مشرفة للمسلم الحق، وهو فى اعتماده على الله تعالى، يعلم يقينا أن الله تعالى يكفيه بفضله عمن سواه، فلا يجب أن يحمل هَمَّ رزقه، ولا هَمَّ أبنائه، ولا هَمَّ دنياه، لأنه يعلم تمامًا بأنه ليس له إلا ما كتبه الله تعالى له.

يقول ابن القيم فى كتابه «الفوائد»: «إذا أصبح العبد وأمسى وليس همُّه إلا الله وحده تحمَّل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمَّه، وفرَّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همُّه حمَّله

الله (تعالى) همومها وغمومها وأنكارها، ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحش فى خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه، ويعصر أضلاعه فى نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته، بُلِى بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته».

وقد جاء القرآن الكريم بأعظم وأكمل ميزان لأقدار الناس ، فيقول الله تعالى فى سورة الحجرات (13) :

« . . . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . . . »

فالتقوى هى كلمة جامعة لكل فضائل الخير وصالح الأفعال ، فهى الإحساس المرهف برقابة الله تعالى فى كل قول ، وفى كل فعل ، وهى الإحسان للخَلْق نفعًا وسلوكًا ، والإحسان فى الفعل عبادة وإتقانًا .

وبميزان التقوى يصبح هناك إنسان يقوم بواجبه كاملاً فى أداء رسالته، يتحرى الصدق فى كل أفعاله، والحلال فى كل كسبه . وهناك إنسان وضيع لايقوم بواجبه على خير ما يرام، والخيانة فى كل أفعاله، والحرام فى كل كسبه، فالإنسان حين ينحرف عن منهجه الربانى، تنقلب فيه معايير الحياة، فيفضِّل الغنى لماله مهما كان ثراؤه من السحت الحرام، ويعظِّم الحاكم لمنصبه مهما كان سلوكه هو الطغيان والانحراف. فحين تكون أفعال الإنسان عبادة، هناك حقائق يمكن سردها على النحو التالى:

* يطهر من كل ما يخالج نفوس البشر من أطماع وأثرة، ومن كل ما يصيب المجتمعات من خيانة وفساد، ومن كل ما يبتلى به الناس من ظلم وطغيان. ففكرة العبادة فى الأفعال هى الضمان الذى يحول بين الإنسان وبين الانحراف.

* يضمن عدم اعتزال الحياة بحجة التجرد للعبادة بالشعائر. فمن المحظور فى الإسلام أن ينقطع الإنسان للشعائر، ويعتزل الأفعال. فلا رهبانية فى الإسلام.

* تصبح قيمة الأفعال بهذا المفهوم قيمة ربانية، تسمو بالإنسان فى فكره ومشاعره وخلقه وسلوكه، ويصبح المجتمع الذى يفهم العبادة بالأفعال مجتمعًا يبلغ ذروة الرقى، وذروة التطهر، وذروة الإنتاج، لأنه يصبح مجتمعًا يحكمه إيمانه، ويسمو به تصوره، وتطهره عقيدته.

فالعبادة بالأفعال أو الأفعال التعبدية تشمل مظاهر عديدة، ويمكن سرد سمات بعض من هذه المظاهر على النحو التالى :

سمة العلم والمعرفة بالله:

المسلم طاهر السر يعرف الله تعالى حق المعرفة. فالمعرفة الحقة تقتضى من المسلم أن يتجنب مخالفة ربه، لأن موقف العبودية يقتضى من العبد أن يطيع مولاه فيما أمره به، وفيما نهاه عنه، لأن الطاعة هى الدليل على صدق العبد فى سلوك طريق أهل الحق وهم حزب الله تعالى الذين أحبهم وأحبوه، وآثرهم وآثروه، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (152) :

« ... فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ واشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُون ... »

فالمسلم ينظر إلى ما لله عليه من مِنَنٍ لاتحصى ونعم لاتُعد ، اكتنفه من ساعة علوقه نطفة فى رحم أمه، وتسايره إلى أن يلقى ربه، فيشكر الله تعالى بلسانه بحمده والثناء عليه بما هو أهل له وبجوارحه بتسخيرها فى طاعته.

سمة الأدب والكياسة مع الله:

المسلم طاهر السر يتأدب مع الله تعالى فى قوله وسلوكه وعمله وتصرفاته. فعندما ينظر المسلم إلى علم الله تعالى به واطلاعه على جميع أحواله فيمتلئ قلبه منه مهابة وخوفاً، ونفسه له وقاراً وتعظيماً، فيخجل من معصيته، ويستحى من مخالفته والخروج عن طاعته، فيكون هذا أدباً مع الله تعالى، إذ ليس من الأدب فى شىء أن يجاهر العبد سيده بالمعاصى والآثام، أو يقابله بالقبائح والرذائل وهو يشهده وينظر إليه، فيقول الله تعالى فى سورة نوح (13 و 14) :

«مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خلقكُمْ أطْوارا»

فشكر المسلم ربه على نعمه، وحياؤه منه عند الميل إلى معصيته، وصدق الإنابة إليه، والتوكل عليه ورجاء رحمته، والخوف من نقمته، وحسن الظن به فى إنجاز وعده، وإنفاذ وعيده فيمن شاء من عباده، هو أدبه مع الله تعالى. ويقدر تمسكه به ومحافظته عليه تعلو درجته، ويرتفع مقامه، وتسمو مكانته، وتعظم كرامته، فيصبح من أهل ولاية الله تعالى ورعايته، ومحط رحمته، ومنزل نعمته.

سمة التقرب بالطاعات إلى الله:

المسلم طاهر السر يتقرب إلى الله تعالى. فالمقربون إلى الله تعالى هم السابقون إلى الإيمان، والسابقون إلى المساجد، والسابقون إلى الجهاد فى سبيل الله تعالى، فيقول الله تعالى فى سورة الواقعة (10 و 11) :

«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقون * أُولئك المقربون»

فالعبد الذى يتقرب من ربه هو الذى يتصف بصفات يصح أن يوصف بها الله تعالى كالحكمة والعلم والحلم والرحمة، وهو تقرب روحانى.

ففى الحديث القدسى يقول الله تعالى: «من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتانى يمشى جئته مهرولاً» [رواه البخارى ومسلم والترمذى وأحمد واللفظ لأحمد]، وفى حديث قدسى آخر يقول الله تعالى: «من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحبَّ إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه». [رواه البخارى فى كتاب الرقاق] وعن الرسول ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» [رواه مسلم

والنسائى وابو داود]، فالمقربون هم السابقون فى بضع وسبعين صفة كريمة هى أمهات الفضائل.

سمة الاعتماد الكامل على الله:

المسلم طاهر السر يستعين بالله تعالى، ويعتمد عليه فى حياته حتى مماته، فهو يعلم يقينا أن الله تعالى يكفيه بفضله عمَّن سواه، لذلك وجب عليه ألا يحمل هَمَّ رزقه، ولا هَمَّ عمله، ولا هَمَّ ولده، ولا هَمَّ دنياه، لأنه يعلم تمام العلم بأنه ليس له إلا ما كتبه الله تعالى له، فيقول الله تعالى فى سورة المائدة (23) :

«... وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»

فالمسلم الطاهر هو الذى يلجأ إلى الله تعالى، مستعينًا به، معتمدًا عليه.

سمة الهبة لكيانه الكامل لله:

المسلم طاهر السر يهب كل كيانه لله تعالى تجرداً وإخلاصاً، فهو يحب أن يهب جوارحه وقلبه وعقله ونفسه للخالق البارئ، وينظر إلى ألطاف الله تعالى به فى جميع أموره، وإلى رحمته له ولسائر خلقه، فيطمع فى المزيد من ذلك، فيتضرع له بخالص الضراعة والدعاء، ويتوسل إليه بطيب القول، وصالح العمل، فيقول الله تعالى فى سورة الأعراف (156) :

«... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ...»

فالله تعالى هو الخالق البارئ الذى لايرفع العبد يديه إلا له دعاءً، وطلبًا، ورجاءً، واسترحامًا، واسترزاقًا، وتعبدًا، وخضوعًا، وخشوعًا، وتذللاً، واستغفارًا.

سمة التعوذ من الشيطان بالله :

المسلم طاهر السر يتعوذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم، وهذا يعنى الإلتجاء إلى الله تعالى، فالعياذ هو الملجأ، كما يعنى التحصن بالله تعالى،

والاعتماد عليه، اتقاءً لما يخشى مما استعاذ منه من شرور، مما يبعث فى قلبه السكينة، ويملأ نفسه الطمأنينة، فيقول الله تعالى فى سورة الأعراف (200) :

«وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»

فالتعوذ هو عنوان صادق على امتلاء قلب المؤمن بمعنى اللجوء إلى الله تعالى، وقوة عزيمته فى طرد الوساوس والشكوك، واستقبال الهداية بقلب طاهر، وعقل واعٍ، وإيمان ثابت. والمسلم يعوذ بالله تعالى عندما يعانى ضيقا شديدا من سوء خلق، أو انحراف سلوك، فهو يلجأ إلى الله تعالى ليعينه على دفع هذا البلاء.

والاستعاذة بالله تعالى هى طهارة للفم مما كان يتعاطاه الإنسان من اللغو والرفث. وإن فضيلة التعوذ بالله تعالى طهارة وأمان، وثقة واطمئنان، بوعد الله تعالى، وأمل العبد فى فضل الخالق البارئ.

سمة التفانى فى حب الله:

المسلم طاهر السر يتفانى فى حبه لله تعالى إلى أقصى درجات العبودية، فهو يتقى الله تعالى فى معاملة غيره من الناس حباً لله تعالى، وليس طمعاً فى جنته، أو خوفاً من ناره. فهو لايسأل إلا الله تعالى، ولايطلب العون إلا من الله تعالى، ولايبث حزنه إلا بما أفاض عليه من فضل عظيم، وعطف عميم، ونعيم مقيم. فالمسلم بحكم إيمانه بالله تعالى لايحب إذا أحب إلا فى الله تعالى، فيقول الله تعالى فى سورة المائدة (54) :

« ... فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ... »

إذ إن الحب الإلهى هو أعظم أنواع الحب، فمنه ينبع الحنان، وبه يستقر الأمان، وفيه تسكن المودة، وعنه تنبعث الألفة، وإليه يصل القلب إلى السعادة، حيث يكمن الحب الإلهى، والنور الربانى، والفيض الرحمانى.

فالمؤمن يحيا فى حالة حب دائم مع الله تعالى، يحب الحياة ولايخشى الموت لأنه رجوع إلى الله تعالى، وستحين له الفرصة أن يلتقى بالخالق بعد شوق وحنين غامر، فهو يرى الله تعالى فى كل شيء، إذ إن كل شيء ينطق بالله تعالى، ففى تعلق قلبه بالله تعالى، فإنه يسير فى طريقه، ويتبع إرادته، ويطيعه فيما أمره، ويبتعد عما نهى، ويرضى بما حكم الله تعالى، ويعنى ذلك تضحية الإنسان، ونكران الذات.

سمة الثقة الكاملة بالله:

المسلم طاهر السر يثق بالله تعالى ثقة كاملة. ويستلزم ذلك الإيمان بالله تعالى على الوجه الذى بينه القرآن الكريم، ووضحته السنة الشريفة. وهذا منطقى لأن الإنسان العاقل لن يضع ثقته فيمن ينكر وجوده، أو يشك فى قدرته، أو يظن فى عجز إرادته، أو يتوقع قصورًا فى عمله. وثقة الإنسان بالله تعالى تتبع إيمانه به قوة وضعفًا، لأنها ثمرة هذا الإيمان. ومن أجل هذا، عنى القرآن الكريم بما يغذى شجرتها ويقوى عودها. وقد شمل حديثه فى ذلك كل مجال من مجالات الحياة. فالأمور كلها بيد الله تعالى، إذ هو الذى يعطى ويمنع، وهو الذى يعز ويذل، وهو الذى ينفع ويضر، يقول الله تعالى فى سورة الأنعام (17) :

«وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

إن الثقة فى الله تعالى، تجعل الحياة مليئة بالأمل، مفعمة بالرجاء، موصلة إلى رحمة الله تعالى من أقصر طريق.

سمة العدل فى التعامل مع الله:

المسلم طاهر السر يعدل مع الله وبين الناس بالحق، بمعنى أنه يتحرى العدل فى قوله وحكمه، وفى كل شأن من شئونه، فتصدر عنه أقواله وأعماله

عادلة بعيدة من الحيف والظلم والجور، ويصبح بذلك عدلاً لايميل به هوى، ولاتجرفه شهوة أو دنيا، فيقول الله تعالى فى سورة النساء (58) :

«إنَّ اللَّه يأمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأمانات إلىٰ أَهْلِها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعَدْل . . .»

وهذا يستوجب محبة الله تعالى ورضوانه وكرامته وإنعامه. ومن ثمرات العدل فى الحكم إشاعة الطمأنينة فى النفوس.

ومظاهر العدل كثيرة فمنها: (1) العدل مع الله تعالى بألا يشرك معه فى عبادته وأسمائه وصفاته غيره، وأن يُطاع فلا يعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر ؛ (2) العدل بين الناس بإعطاء كل ذى حق حقه ؛ (3) العدل بين الزوجات والأولاد، فلا يفضل أحداً على آخر، ولايؤثر بعضهم على بعض؛ (4) العدل فى القول فلا يشهد زورًا، ولايقول باطلا ؛ (5) العدل فى المعتقد، فلا يعتقد غير الحق والصدق، ولايثنى الصدر على غير ما هو الحقيقة والواقع.

سمة التوبة عن الشهوات إلى الله :

المسلم طاهر السر يتوب إلى الله تعالى، بمعنى التخلى عن سائر الذنوب والمعاصى، والندم على كل ذنب سالف، والعزم على عدم العودة إلى الذنب فى مقتبل العمر، فيقول الله تعالى فى سورة النور (31) :

« . . . وتُوبوا إلى اللَّه جَميعًا أَيُّهَا الْمُؤْمنون لَعَلَّكُمْ تُفْلحُون»

وعن الرسول ﷺ أنه قال: «كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»، فالكمال لله تعالى وحده. والخطأ فى طبيعة الإنسان، والتوبة هى الطريق لعلاج الخطأ، وتصحيح السلوك، وذلك بعد يقظة الضمير والشعور بالذنب والاعتراف بقبحه، والندم على الوقوع فيه والإقلاع عنه والعزم على عدم الرجوع إليه.

فالتوبة من أهم الدعائم الخلقية، وكل تأخير فيها هو انحلال فى الشخصية الإنسانية، وكل اسرار فيها مع صدق النية، هو إصلاح النفس البشرية، وسبب قوى للقضاء على الشر.

الفصل الثانى : سمات التواصى بالمرحمة

طهارة السر عما سوى الله تعالى تكون بسمو النفس البشرية فى الإيمان الراسخ ، والعلم النافع ، والعملِ الصالح ، أى التواصِى بالرحمة فيما بين الناس إيمانًا وعلمًا وعملاً . فالمرحمة أو الرحمة منشؤها صفاء فى النفس ، وطهارة فى الروح ، أما حقيقتها فهى رقة فى القلب ، وحساسية فى الضمير ، وإرهاف فى الشعور ، مستهدفة الرأفة بالآخرين والتألم لهم والعطف عليهم وكفكفة دموع أحزانهم وآلامهم. فهى التى تهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خير وبِر وسلام للناس أجمعين. فعندما تتأصل هذه المعانى فى نفوس المسلمين ، ويترجمها السلوك فى الواقع ، يكون فى ذلك دلالة على رحمة الله تعالى بهم، ويؤكد هذا قول الرسول ﷺ : «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» [رواه الترمذى وأبو داود وأحمد].

والإنسان فى حياته الدنيا لايكون إيمانه راسخاً، إلا إذا نهج المنهج الربانى، الذى يتعامل مع الفطرة برفق، وسلك الطريق المستقيم فى تهذيب النفس من الأهواء، وإعدادها الإعداد السليم، وتوجيهها وجهة الخير العميم، ومجاهدتها عن مرذول العادات، حتى يقضى على نزعاتها الشريرة، ونزغاتها الشيطانية، وبذلك ينحصر كل إدراكه فى كونه عبدا خالصا بكل كيانه وعمق إيمانه. فالشكر والحمد والتكبير والتهليل والتسبيح كلها لله تعالى وحده. فإن مقتضى الإيمان أن يكون المؤمن رحيمًا ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا» [رواه الترمذى وأبو داود وأحمد] .

والإنسان يعتريه من آن لآخر مصاعب فى حياته الدنيا، فإذا كانت نفسه مطمئنة ، فهو ينظر إلى الحياة بنظرة مشرقة آملا فى رحمة الله تعالى. أما إذا

كانت نفسه أمارة ، فإنه ينظر إلى الحياة بنظرة متشائمة مضلاً الطريق ، فيقول الله تعالى فى سورة الحجر (56) :

«قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ»

فرحمة الله تعالى قريبة من عباده إذا سألوه أن يمنحهم إياها وفعلوا ما يستحقون عليه نيلها .

والتواصى بالمرحمة يشمل عدَّة مظاهر منها الإيمان الراسخ، والعلم النافع، والعمل الصالح ، والجدول رقم (19) يبين بعض سمات هذه المظاهر .

جدول رقم (19) : سمات التواصى بالمرحمة

مظاهر الإيمان الراسخ	مظاهر العلم النافع	مظاهر العمل الصالح
* سمة الإيمان بالوجود الإلهى	* سمة التعلم للقراءة والكتابة	* سمة الجهاد فى الأعمال المشروعة
* سمة الإيمان الراسخ بالربوبية	* سمة التعلم بالتأمل والتفكر	* سمة الأمانة فى القول والعمل
* سمة الإيمان الراسخ بالألوهية	* سمة التعلم بالسير فى الأرض	* سمة الصدق فى القول والعمل
* سمة الإيمان بالأسماء الحسنى	* سمة التعلم للغات الأجنبية	* سمة الوقوف بجوار الأصدقاء
* سمة الإيمان بالصفات المثلى	* سمة التعلم بالتطلع إلى المعرفة	* سمة الاستخدام الأمثل للطاقات
* سمة الإيمان الراسخ بالملائكة		* سمة الإشباع للمطالب فى حدود القدرات
* سمة الإيمان الراسخ بالرسل		* سمة الابتعاد عن السلوك المتخاذل
* سمة الإيمان بالكتب السماوية		* سمة التحكم فى الميول والأهواء
* سمة الإيمان بالقضاء والقدر		
* سمة الإيمان باليوم الآخر		
* سمة الإيمان بالحياة الأخروية		

مظاهر الإيمان الراسخ

الإيمان الراسخ هو شعور القلب بالطمأنينة والثقة والسكينة ، ويتحقق معناه حين تحتل العقيدة مكانها فى قرارة النفس والضمير ، ويصحبها الاطمئنان إليها، والحرص عليها، والعمل بمقتضاها ، والسير على هداها. والإيمان هو تصديق وعمل، وعبادة وجهاد، وخلق وسلوك، فهو منهج كامل لكل مجالات الحياة، لا يصبح إيمانًا حتى يكون تطبيقًا عمليًا فى واقع الحياة. فالإيمان هو المنبع الذى تنبع وتصدر منه جميع القيم .

والمسلم لا يرقى إلى أعلى مراتب الإيمان ، إلا إذا قتل دنياه وأحيا آخرته ، فالذى يصل فى طهارة سره إلى هذه الدرجة الإيمانية الرفيعة، لا يكون موصولاً إلا بالله تعالى ، ولا يرى سوى وجه الله تعالى ، ولا يخشى إلا ذات الله تعالى ، ولا يحمد على خير أو نعمة يصيبها سوى الله تعالى ، ولا يعمل عملاً يقصد به مرضاة غير الله تعالى، ولا يبالى عير حق الله تعالى . فالخالق البارئ يراه فى كل حركة وسكنة ، ويطّلع عليه فى كل قول وعمل .

والإيمان بأصوله وأركانه ومقوماته هو نهج حياة ، له أثره العميق فى النفس ، وقوته البالغة فى المجتمع . وأركان الإيمان الذى نزل بها القرآن الكريم، وبعث الله تعالى بها رسوله ﷺ هى : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر خيره وشره. ويتفرع من هذه الأركان كل ما يجب الإيمان به من أمور الغيب، كالإيمان بسؤال الملكين فى القبر، ونعيم القبر وعذابه، والبعث ، والحساب ، والجنة ، والنار ، وباقى الغيبيات . والإيمان الراسخ له مظاهر عديدة ، يمكن سرد سمات بعض هذه المظاهر على النحو التالى :

سمة الإيمان بالوجود الإلهى:

المسلم طاهر السر يؤمن بوجود الله تعالى، بمعنى أنه يقر بأن الله تعالى هو خالق السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، فيقول الله تعالى فى سورة الحشر (22) :

«هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ . . .»

فتواجد مختلف العوالم الكثيرة، وتباين المخلوقات المتنوعة، يشهد بوجود الله تعالى؛ وتواجد نظام دقيق يتمثل فى السنن الكونية فى الخلق والتكوين، والتنشئة والتطوير لسائر الكائنات الحية الخاضعة لهذه السنن، يشهد بوجود الله تعالى؛ وتواجد تشريع يستحيل الإتيان بمثله الذى يمكن قراءته وتدبره وفهم معانيه، يشهد بوجود الله تعالى.

سمة الإيمان الراسخ بالربوبية:

المسلم طاهر السر يؤمن بربوبية الله تعالى لكل شيء فى الوجود، بمعنى أنه يقر بأن الله تعالى لاشريك له فى ربوبيته، فيقول الله تعالى فى سورة الرعد(16) :

«قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ . . .»

فوجود الفطرة البشرية المركوزة فى كيان الإنسان، التى تقر بربوبية الله تعالى لكافة المخلوقات، وتفرد الله تعالى بالخلق لكل شيء، وتفرده بالرزق لجميع المخلوقات، وتفرده بالملك لكل شيء، وتصرفه المطلق لكل شيء، وتدبيره الكامل لكل شيء، يدل دلالة قاطعة على ربوبية الله تعالى لخلقه.

سمة الإيمان الراسخ بالألوهية:

المسلم طاهر السر يؤمن بألوهية الخالق البارئ، بمعنى أنه يقر بأن الله تعالى لا إله غيره وأن لامعبود بحق سواه، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (255) :

«اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ . . .»

فربوبية الله تعالى الثابتة دون جدل، مستلزمة لألوهيته وموجبة لها. فالرب الذى يحيى ويميت، ويعطى ويمنع، هو المستحق لعبادة الخلق، والمستوجب لتأليههم بالطاعة والمحبة، والتعظيم والتقديس.

سمة الإيمان بالأسماء الحسنى:

المسلم طاهر السر يؤمن بأسماء الله الحسنى بمعنى أن يقر بأن الله تعالى له الأسماء التى يحب أن يسمَّى بها، فيقول الله تعالى فى سورة الأعراف (180) :

«وَلِلَّه الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فادْعُوهُ بها وذرُوا الَّذين يُلْحدُونَ في أسمائه . . .»

فوجود هذه الأسماء التى سمَّى الله تعالى بها نفسه، ولم ينه عباده عن تسميته بها، ولم يأمرهم بتأويلها أو حملها على غير ظاهرها، دليل على وجود أسماء لله تعالى.

سمة الإيمان بالصفات المثلى:

المسلم طاهر السر يؤمن بصفات الله المثلى، بمعنى أنه يقر بأن الله تعالى له صفات ليست كصفات المحدثين من خلقه، فيقول الله تعالى فى سورة الشورى (11) :

« . . . لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»

فوجود هذه الصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه، ولم ينه عباده عن وصفه بها، ولم يأمرهم بتأويلها أو حملها على غير ظاهرها، دليل على وجود صفات لله تعالى لاتشبه صفات المخلوقات فى أى معنى من المعانى غير مجرد التسمية.

سمة الإيمان الراسخ بالملائكة.

المسلم طاهر السر يؤمن بملائكة الله تعالى، بمعنى أنه يقر بأن الله تعالى خلق الملائكة من نور، وأنهم خَلْق من أشرف خلقه، وأنهم عباد مكرمون من عباده، كما يفهم من قول الله تعالى فى سوة البقرة (98) :

«من كَانَ عَدُوًّا لِّلَّه وَمَلائِكَتِه وَرُسُلِه وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِين»

فوجود الملائكة وتكليفهم بوظائف معينة، هو دليل على وجودهم، لأن فقد الاستعداد الكامل لرؤية الشيء لاينفى وجوده.

سمة الإيمان الراسخ بالرسل:

المسلم طاهر السر يؤمن برسل الله تعالى وأنبيائه، بمعنى أنه يقر بأن الله تعالى قد اصطفى من الناس رسلاً وأنبياء، وأوحى إليهم بشرعه ومنهجه، وعهد إليهم بإبلاغه لقطع حجة الناس عليه يوم القيامة، وسلحهم بالبينات، وأيدهم بالمعجزات، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة النحل (36):

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ....»

وقد ابتدأهم بنوح عليه السلام، وختمهم بمحمد ﷺ، فقد ختم الله تعالى بنبوته النبوات وبرسالته الرسالات، إذ يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب (40):

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ....»

وفضله الله تعالى على سائر الأنبياء، كما فضل أمته على سائر الأمم، وفرض محبته وأوجب طاعته، وألزم متابعته، وخصَّه بخصائص لم تكن لأحد سواه.

سمة الإيمان بالكتب السماوية:

المسلم طاهر السر يؤمن بجميع ما أنزل الله تعالى من كتب، وما آتى بعض رسله من صحف، بمعنى أن يقر بأن الله تعالى أنزل كلامه وأوحاه إلى رسله فى كتب وصحائف. ليبلغوا عنه شرعه ودينه، فيقول الله تعالى فى سورة النساء (136):

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً».

وإنزال الكتب الإلهية على رسله، متضمنة التشريع والهداية والخير، كان ضروريًّا حتى لايضيع الغرض الأصلى من الوحى والرسالة:

وقد ختم الله تعالى كتبه وصحائفه بالقرآن الكريم، الكتاب الذى أنزله على خير خلقه، وأفضل أنبيائه، وأكرم رسله، محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء.

والقرآن الكريم كتاب شامل لأعظم تشريع رباني، نسخ بأحكامه سائر الأحكام فى الكتب السماوية السابقة، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الإسراء (88) :

« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرآن لا يأتون بمثله وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»

فقد حفظه الله تعالى من التبديل والتغيير، وضمن سلامته من النقص والزيادة.

سمة الإيمان بالقضاء والقدر:

المسلم طاهر السر يؤمن بقضاء الله تعالى وقدره، وحكمته ومشيئته، بمعنى أنه يقر أنه لايقع شيء فى الوجود حتى أفعال العباد الاختيارية إلا بعلم الله تعالى به وتقديره له، وأنه عدل فى قضائه وقدره، حكيم فى تصرفه وتدبيره، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الحديد (22) :

«ما أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أن نبْرأها إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»

فحكمة الله تعالى تابعة لمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. فالإيمان بالله تعالى وبقدرته يستلزم الإيمان بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته.

سمة الإيمان باليوم الآخر:

المسلم طاهر السر يؤمن باليوم الآخر، بمعنى أنه يقر أن لهذه الحياة الدنيا يومًا آخر ليس بعده من يوم، ففى هذا اليوم يُنفخ فى الصور نفخة الفناء والصعق، ثم نفخة البعث والنشور، فيبعث الله تعالى الخلائق بعثاً، ويحشرهم إليه حشرًا، ثم تعطى الكتب فمن أخذ كتابه بيمينه، ومن أخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، ويوضع الميزان، ويجرى الحساب ويُنصب الصراط، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة الرحمن (26 و27) :

«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ»

والعدل الإلهى يقتضى أن اليوم الآخر أتٍ لاريب فيه، حتى لايحرم محسن من ثواب، ولايفلت مسيء من عقاب .

سمة الإيمان بالحياة الأخروية :

المسلم طاهر السر يؤمن بالحياة الأخروية بمعنى أنه يقر بأن الإنسان لم يخلق للفناء، وإنما خلق للبقاء، وأن هذه الحياة الدنيوية ليست هى نهاية المطاف، بل هى مجرد مَعْبَرة إلى الحياة الأخروية التى هى أفضل من هذه الحياة الدنيا لمن ارتقى واهتدى. فيقول الله تعالى فى سورة السجدة (19 و 20) :

«أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ»

وبذلك ينتهى الموقف الأعظم، وهو يوم الحساب، فيجزى الأبرار بالنعيم المقيم فى الجنة، أى يستقر أهل الجنة فى الجنة، ويجزى الفجار بالعذاب المهين فى النار، أى يستقر أهل النار فى النار.

مظاهر العلم النافع

العلم النافع هو سرٌّ إلهى عظيم خص به الله تعالى الإنسان وأودعه فطرته، وجعله سر خلقه ، وسر إنسانيته ، وسر تكريمه ، وسر خلافته. فالعلم عنصر أصيل من عناصر تكوين الإنسان ، فقد أصبح الإنسان بالعلم جديرًا بسجود الملائكة ، وأهلاً لرسالة الخلافة .

فالإنسان مخلوق للحياة على الأرض ، ومقتضى تلك الحياة أن يكون هناك توافق كامل بين تكوين الإنسان وظواهر الحياة . فمثلاً هناك توافق كامل

بين الإبصار والضياء ، وبين أجهزة السمع وذبذبات الصوت ، وبين أجهزة التنفس وتركيبة الهواء ، وبين تصميم الجسم وجاذبية الأرض ، وغيرها من التوافقات التى جعلت الأرض صالحة لحياة الإنسان ، ولو اختلت إحداها ، لتعذرت أو استحالت حياته على الأرض .

كما أن هناك توافقًا كاملاً بين قوة إدراك الإنسان ، وبين سرِّ نواميس الكون ، بحيث يستطيع الإنسان بها أن يعرف سر هذه النواميس متى توافرت له شروط البحث والتفكير والاستقراء . فالإنسان مخلوق ابتداء ، وفى تصميم خلقه تلك القوة العظيمة ، حتى يستطيع أن يحقق رسالته فى الأرض ، ويرقى فيها الحياة. فعظمة الإنسان تكمن فى معرفته لمن خلقه فسواه ، ولمن أعلى قدره ورفع مستواه ، ولمن خلق هذا الكون ومكنه فيه وسخَّره له . فالعلم النافع له مظاهر شتى ، يمكن سرد سمات بعض هذه المظاهر على النحو التالى :

سمة التعلم للقراءة والكتابة:

المسلم طاهر السر يتعلم القراءة والكتابة، حتى يستزيد علمه، ويتسع أفقه، فيقول الله تعالى فى سورة القلم (1) :

«نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ»

فالقلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرًا فى حياة الإنسان . كما كان نزول سورة العلق على الرسول الأمى ﷺ أول صيحه تسمو بقدر القلم ، ودعوة صريحة لتعلم القراءة والكتابة ، وتنوِّه بقيمة العلم ، وتعلن الحرب على الأمية الغافلة، فيقول الله تعالى فى سورة العلق (1 - 5) :

«اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي علم بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»

فهذه الآيات الكريمة تمثل المنهج العلمى ، وهذه أول صيحة تسمو بقدر القلم ، وتنوه بقيمة العلم ، وتجعل اللبنة الأولى فى بناء الإنسان أن يقرأ ، وأن يكتب .

سمة التعلم بالتأمل والتفكر:

المسلم طاهر السر يتعلم بالتأمل والتفكر فى ملكوت الله تعالى وفى خلقه. فالتأمل والتفكر ضروريان لتنمية العقل البشرى ، واستقلاله بالفهم والإدراك ، فيقول الله تعالى فى سورة يونس (101) :

«قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ....»

فآيات القرآن الكريم يسَّرت للإنسان الكشوف الجليلة لأسرار الوجود ، أما التفكير المتأنى والنظر الثاقب فهما يؤديان إلى معرفة صحيحة لموجودات هذا الكون، وخالق هذا الوجود ، ومخلوقات هذا الخالق .

سمة التعلم بالسير فى الأرض:

المسلم طاهر السر يتعلم بالتنقل فى الأرض ، مرتحلاً من مكان إلى مكان. فالله تعالى حثَّ المسلم أن يضرب فى الأرض ، ويبتغى من فضله ، ويأخذ العبرة والدروس من خلال ما يشاهده من تجارب الأمم السابقة والحالية . فالانتقال من مكان إلى مكان فى أقصى مشارق ومغارب الأرض ، يفيد علمًا جديدًا ، ومعرفةصحيحة ؛ فيقول الله تعالى فى سورة الحج (46) :

«أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُون بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُون بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»

فالسير فى الأرض يفتح العين والقلب على المشاهد الحديثة التى لم تألفها العين، ولم يملَّه القلب ، فيستيقظ حسُّه ومشاعره إلى كل مشهد من هذه المشاهد.

سمة التعلم للغات الأجنبية:

المسلم طاهر السر يتعلم اللغات الأجنبية حتى يستفيد من تجارب الأمم والشعوب المختلفة ، فيقول الله تعالى فى سورة الروم (22) :

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ» ،

فتعلم اللغات الأجنبية من سنن الإسلام ، لأن رسالة هذا الدين رسالة عالمية ، وجَمْع الناس كلهم على لسان واحد أمر مستحيل ، فاختلاف الألسنة آية من آيات الله تعالى .

سمة التعلم بالتطلع إلى المعرفة:

المسلم طاهر السر يتطلع إلى المعرفة ، والاستزادة بالعلم ، وذلك عن طريق السفر ، والسؤال ، والبحث ، والتقصى حتى يعرف اليقين ، فيقول الله تعالى فى سورة الأنعام (97 و 98) :

«وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ»

فمن فضل الله تعالى الذى علم الإنسان ما لم يعلم ، أن وسائل النشر والإعلام أصبحت تأتى إليه فى منزله عن طريق وسائل الاتصال السمعية والمرئية ، بالإضافة إلى شبكة «الإنترنت» عن طريق الحواسب الإلكترونية ، فى حين أن السلف الصالح كانوا يلاقون الصعاب ، ويعانون المشقة فى سبيل الحصول على المعرفة ، والاستزادة من العلم .

فالعلم للإسلام كالحياة للإنسان ، ولن يجد هذا الدين مستقرًا له إلا عند أصحاب المعارف الناضجة ، والألباب الحصيفة . وقد نوَّه القرآن الكريم بالعلماء، وأنهم هم الذين يعرفون الله تعالى حق المعرفة ، ويقدرونه حق قدره .

مظاهر العمل الصالح

العمل الصالح هو الأعمال النافعة التي تعود على المسلمين بالخير الكثير، والنفع الكبير . والحياة الإسلامية الصحيحة تتطلب إيمانًا راسخًا يملأ القلب مهابة وخوفًا من خالق هذا الكون ، وعملاً صالحًا يملأ الحياة تعاونًا ورخاءً يملأ النفوس راحة . وقد أمر الله تعالى عباده بتعمير الأرض ، ومعرفة أسرارها ، واستخراج كنوزها ، وجعل ذلك جزءًا من العبادة التي خلقوا من أجلها. فالمؤمنون يجب عليهم أن ينقبوا الأرض ، ويسخروا السماء ، ويستخدموا البحار.

فالمسلم الذي يزكي نفسه ، هو الذي ينميها ، ويستثمر الخير الذي فيها ، ولا يكون ذلك إلا بالإيمان بالله تعالى ، إذ إن هذا الإيمان هو مغرسها الطيب الذي يحفظ عليها وجودها ، ثم مع الإيمان يكون العمل الصالح ، بامتثال ما أمر الله تعالى به والانتهاء عما نهى عنه . وهذا العمل الصالح هو الماء الذي يغذيها وينميها ، حتى تكون شجرة مباركة أصلها في الأرض وفرعها في السماء . تلك هي تزكية النفس ونماؤها ، وبهذا يكون الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

والمسلم يجب أن يتشوق إلى العمل الصالح ، لأن الإسلام رفع مكانة العمل والعاملين إلى مرتبة العبادة والعابدين ، فيقول الله تعالى في سورة النحل (97) :

«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

والعمل الصالح له مظاهر عديدة يمكن سرد سمات هذه المظاهر على النحو التالي:

سمة الجهاد بالأعمال المشروعة :

المسلم ظاهر السر يعمل عملاً صالحًا ، لأنه يعتبر من أبواب القربات إلى الخالق البارئ، فيقول الله تعالى في سورة النور (55) :

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ . . .»

فالمسلم يستطيع أن يجعل من عمله جهادًا فى سبيل الله تعالى ، وطهارة لجوارحه ، ونقاءً لقلبه ، وتزكية لنفسه ، إذا لزم عدَّة شروط منها : (1) أن يكون العمل مشروعًا فى نظر الإسلام ، فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ؛ (2) أن يكون العمل مصحوبًا بالنية الخالصة ، إعفافًا لنفسه ، وإغناءً لأسرته ، ونفعًا لأمته ، وعمارة لأرضه ؛ (3) أن يكون العمل مؤدًّى بإتقان ، وملتزم فيه حدود اللهتعالى ، فلا ظلم ولا خيانة ولا غش ولا جور على حق غيره ؛ (4) أن يكون العمل غير شاغل عن واجبات العبادة .

سمة الأمانة فى القول والعمل:

المسلم طاهر السر يؤدى الأمانة إذا اؤتمن، ويتقن العمل إذا عمل ، ويراقب ربه أينما حلّ وأنَّى وُجد ، ويعتذر إذا بدرت منه إساءة ، ويرفع الظلم عن الناس إذا أحس به ، ويتواضع فى غير ذلة ، ويدفع عن النقائص والمحرمات ، ويبتعد عن الخبائث والمنكرات ، فيقول الله تعالى فى سورة النحل (91) :

«وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ . . .»

فالوفاء بالعهد يترتب عليه ثقة متبادلة بين الناس ، وما يثمر عن ذلك من طمأنينة وأمن وسلام .

سمة الصدق فى القول والعمل:

المسلم طاهر السر يصدق فى قوله وعمله ، ويكون تقيا نقيا مع إخوانه وأصحابه ومعارفه ، يدفعهم إلى الخير ، ويباعد بينهم وبين الشر ، فيقول الله تعالى فى سورة التوبة (119) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»

فالمسلم يعمل ما وسع جهده فى أن يقرب بين إخوانه وبين ربهم ، ويأخذ بيدهم فى إخلاص ومحبة نحو طريق طاعة الله تعالى خالقهم ورازقهم ، ويقرب بينهم

وبين شريعتهم الإسلامية . فخير الأصدقاء من يصدق صديقه بالحق ، ويحضه على فعل الخير ، وينهاه عن الشر قولاً وفعلاً ، ويزرع الأمل في القلوب ، ويضمد جراح المنكوب ، ويمسح الدموع ، ويطعمه من جوع ، ويضيء القلوب .

سمة الوقوف بجوار الأصدقاء:

المسلم طاهر السر يقف بجوار صديق يلجأ إليه ، يناصره بالحق وللحق ، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب غيره ، ويتحلى بمكارم الأخلاق ، ولا يطعن أحدًا في الخلف ، ولا يشهر سلاحه في وجه من جردته الأيام من سلاحه ، فيقول الله تعالى في سورة آل عمران (133) :

«وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»

فالمسلم الحق يتسامح ويتصارح ويتصافح مع أصدقائه .

سمة الاستخدام الأمثل للطاقات:

المسلم طاهر السر ينظر إلى نفسه أنه قوة فاعلة موجهة ومريدة ، ويوظف طاقاته كلها ، ويعمل على ربطها بحيث يجعلها طاقة منتجة ومتسقة وفعالة ، فيقول الله تعالى في سورة الجاثية (13):

«وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ...»

فقد وهب الله تعالى الإنسان مجموعة من القدرات ، ومن خلال توظيفه لهذه القدرات يرقى بنفسه وفق منهج رباني يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

سمة الإشباع للمطالب في حدود القدرات:

المسلم طاهر السر يشبع مطالبه في حدود قدراته ، فالله تعالى يجعل مسؤوليات التكليف في حدود طاقات الإنسان الممكنة ، ويبعد عنه كل ما من شأنه أن ينوء بكاهله ، ويعجز عن أدائه ، فيقول الله تعالى في سورة البقرة (286):

«لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ...»

فالله تعالى لا يحمل الإنسان ما لا يستطيع تحمله ، أو لا يمكنه الوفاء به .

سمة الابتعاد عن السلوك المتخاذل:

المسلم طاهر السر يبتعد عن السلوك المتخاذل الذى يجعله ضعيفًا أمام مواجهة رغباته السلبية ، ودوافعه الغريزية ، وشهواته المادية ، فيقول الله تعالى فى سورة آل عمران (14) :

«زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . . .»

هذا وصف الله تعالى عن ضعف الإنسان وتخاذله أمام المغريات والشهوات .

سمة التحكم فى الميول والأهواء:

المسلم طاهر السر يتحكم فى ميوله وأهوائه، ويتغلب عادة على نفسه، ويحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، فيقول الله تعالى فى سورة الأحزاب (70 و 71) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً»

فعن الرسول ﷺ أنه قال : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [متفق عليه] ، فحب الخير للغير يغسل القلوب ، ويريح النفوس ، ويزيل الهموم ، وينجّى صاحبه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله تعالى بقلب سليم .

* * *

الفصل الثالث : سمات التواصى بالصبر

طهارة السر عما سوى الله تعالى تكون بسمو النفس البشرية فى الصبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها ، والصبر على المناهى والمعاصى حتى لا يقع فيها ، والصبر على الأقضية والأقدار حتى لا يتسخطها، وذلك حتى يستطيع الإنسان أن يكبح جماح نفسه ، ويكون جديرًا بحب الله تعالى ورضاه . فالتواصى بالصبر على جهاد النفس هو قمة الفضائل والسلوك ، ولذا كان الصبر من خلق الأنبياء والمرسلين ، وقد تكرر ذكر الصبر فى القرآن الكريم لأهميته وأجره العظيم ، كما أظهرت السنَّة المشرفة مكانة الصبر وحسن ثواب الصابرين من الله تعالى الذى يوفيهم أجورهم بغير حساب ، فالصبر هو ملكة الثبات والاحتمال التى تهوِّن على صاحبها ما يلاقيه فى سبيل تأييد الحق ، وإزالة الباطل ، واحتمال الأذى ، وملاقاة المصاعب.

يقول ابن القيم فى «رسالة إلى كل مسلم» : «فالبصير واليقين تنال الإمامة فى الدين . قيل : بالصبر عن الدنيا ، وقيل : بالصبر عن الملاهى . والصواب أنه الصبر فى ذلك كله ، بالصبر على أداء فرائض الله ، والصبر على محارمه ، والصبر على أقداره . وجمع سبحانه بين الصبر واليقين إذ هما سعادة العبد ، وفقدهما يفقده سعادته. فإن القلب تطرقه طوارق الشهوات المخالفة لأمر الله ، وطوارق الشبهات المخالفة لخيره ، فبالصبر يدفع الشهوات ، وباليقين يدفع الشبهات . فإن الشهوة والشبهة كمضادتين للدين من كل وجه ، فلا ينجو من عذاب الله إلا من دفع شهواته بالصبر ، وشبهاته باليقين» .

وما من فضيلة من الفضائل حث عليها الإسلام إلا وهى محتاجة إلى فضيلة الصبر، فالشجاعة هى الصبر على مكاره الجهاد ، والحلم هو الصبر على

متابعة المثيرات ، والزهد هو الصبر عن فضول العيش ، والقناعة هى الصبر على قدر من الحظوظ ، والعفاف هو الصبر على مغريات الشهوات ، والكتمان هو الصبر عل إذاعة الأسرار ، وسعة الصدر هى الصبر على نوائب الزمان ، وضبط النفس هو الصبر على احتمال الأذى؛ لهذا أحب الله تعالى الصابرين ، ومنحهم جزاءه وفضله بغير حساب .

ومن آثار الصبر الملفتة هى ، القدرة على كبح جماح النفس فى مواطن الإغراءات الدنيوية الكثيرة التى تدفع الإنسان المتطلع لمباهج الدنيا إلى الهلاك والخسران . ومن فوائد الصبر الظاهرة هى التغلب على الغضب وما يصاحبه من اضطراب فى التفكير ، واختلاف فى التصرفات ، مما يدفع بالإنسان إلى سوء العواقب . ومن صفات الصابرين فى الدنيا هى كظم الغيظ ، والحلم ، والعفو والقناعة ، والعزيمة ، والتضحية . كما يتصف أهل الصبر الجميل بسلامة القلب التى تحميهم من الاضطرابات النفسية المؤداة إلى كثير من الأمراض .

والتواصى بالصبر فى القرآن الكريم يفصل بين أحد أمرين هما : إما حبس النفس عما يحب المرء ، أو حبس النفس عما يكره المرء . ولن يتأتى ذلك إلا بعدة مظاهر منها الصبر على الطاعات ، والصبر على البلاء ، والصبر عن المعاصى. والجدول رقم (20) يوضح سمات هذه المظاهر .

جدول رقم (20) : سمات التواصى بالصبر

مظاهر الصبر على الطاعات	مظاهر الصبر على البلاء	مظاهر الصبر عن المعاصى
* سمة الصبر على التكاسل فى العبادة	* سمة الصبر على مصائب الناس	* سمة الصبر عن الاستجابة للابتلاء
* سمة الصبر على الغفلة عن العبادة	* سمة الصبر على مشاكل الحياة	* سمة الصبر عن التطلع إلى الآخرين
* سمة الصبر على وسوسة الشيطان	* سمة الصبر على احتمال الأذى	* سمة الصبر عن الاستجابة للغرائز
* سمة الصبر على مغريات الدنيا		* سمة الصبر عن الاستجابة للغضب
* سمة الصبر على شهوات البدن		* سمة الصبر عن العداوة والبغضاء
* سمة الصبر على عطاء الله		* سمة الصبر عن البخل والشح
		* سمة الصبر عن السُكر والقمار
		* سمة الصبر عن الإسراف والتبذير

مظاهر الصبر على الطاعات

الصبر على الطاعات والتكاليف والعبادات هو حبس النفس على ما تكرهه . والتواصى بالصبر على عبادة الله تعالى شديد ، لأن ذلك يحتاج إلى جهد ومثابرة وخاصة فى بادئ الأمر ، وأن النفس بطبعها تنفر من العبودية عامة لأنها شاقة على النفس ، فيقول الله تعالى فى سورة مريم (65) :

«رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ»

وكلمة «اصطبر» وردت فى هذه الآية الكريمة للدلالة على المبالغة فى الفعل .

فالطهارة وتحمل مشاق الوضوء أو الغسل يحتاج إلى مجاهدة النفس لمقاومة الكسل والمعاناة ؛ والصلاة وتحمل القيام والركوع والسجود يحتاج إلى مجاهدة النفس لمقاومة الكسل والتلاهى ؛ والزكاة وتحمل المشقة الكبيرة على العطاء يحتاج إلى مجاهدة النفس لمقاومة الشح وحب المال الطاغى على كثير من البشر ؛ والحج وتحمل المتاعب والنفقات فى السفر يحتاج إلى مجاهدة النفس لمقاومة الكسل والبخل.

ومن مظاهر الصبر على الطاعات هو الاستعانة به على ما تحتاجه العبادات من مجهود شاق ، وسمات هذه المظاهر هى على النحو التالى :

سمة الصبر على التكاسل في العبادة:

المسلم طاهر السر يصبر على الكسل والتراخى الذى قد ينتابه عند أداء العبادة لله تعالى، فيركن إلى الراحة والخمول ، ويضيع عليه فرص العبادة فى مواقيتها ، فيقول الله تعالى فى سورة طه (132) :

«وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى»

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الصبر والمصابرة يقترنان بمعظم المواقف والمشاهد التى شرعها الله تعالى من طاعات وعبادات .

سمة الصبر على الغفلة عن العبادة:

المسلم طاهر السر يصبر على الغفلة أو النوم الذى قد ينتابه ، حتى لا يغلبه الشيطان ، وتضيع عليه فرصة قيام الليل ويصل فى ذكر الله تعالى ، الذى يصله بربه ، وليس وراء ذلك سوى عين دامعة ، ونفس صادقة ، وروح وادعة ، وقلب مرهف ، فيقول الله تعالى فى سورة آل عمران (200) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»

فالمؤمن يقوم الليل بالأسحار ، يستغفر ربه ، ويذكره ويسبحه ، ولا يغمض له جفن ، ولا تطرف له عين .

سمة الصبر على وسوسة الشيطان:

المسلم طاهر السر يصبر عن وسوسة الشيطان الرجيم فى العبادات ، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (153) :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ»

فالعبادات على مختلف نوعياتها تحتاج إلى الصبر حتى يحتملها المسلم، ولا يركن إلى الكسل أو النوم أو التقاعس أو البخل أو الشح ، وكلها عوامل لو تحكمت فى النفس البشرية ، واستأصلت منها الصبر ، لبعدت هذه النفس التعيسة عن طريق الإيمان بالله تعالى .

سمة الصبر على مغريات الدنيا:

المسلم طاهر السر يصبر عن مغريات الدنيا وتلاهيها من مال وبنين وعافية وغيرها ، فيقول الله تعالى فى سورة المنافقون (9) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»

فالمؤمن لا يغتر بمال ، ولا يستعز بولد ، ولا يتباهى بصحة ، ولا يتجبَّر بقوة ، وهو فى ذلك يكون من الصابرين الفائزين برضاء الله تعالى ورضوانه .

سمة الصبر على شهوات البدن:

المسلم طاهر السر يصبر عن شهوتى البطن والفرج . فهو لا يلقى فى بطنه من الطعام والشراب إلا ما أحل الله تعالى له من الطيبات والنعم ؛ ولا يلقى فى بطنه من مال اليتيم ، فينبت لحمه من الحرام؛ ولا يلقى فى بطنه أكلاً كثيرًا حتى لا يصاب بالتخمة ويكسل عن العبادة ؛ وأن يستطيب طعامه وشرابه بأن يلقى فى بطنه من الحلال الطيب الخالى من شوائب الحرام ، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (172) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم ...»

والصبر على الجوع والعطش خلال صيام نهاره ، فلا تذهب نفسه إلى شهوة طعام مهما لذ وطاب .

والمسلم مطالب بالحفاظ على طهارة فرجه ، تزكية لصاحبه من عذاب النار ؛ والمطالبة بألا يضع نطفته فى غير ما أحل الله تعالى له حتى لا يقع فى جريمة زنا ، مما يغضب الله تعالى ، ويُعاقب أشد العقاب ، إذ يقول الله تعالى فى سورة النور (30 و 31) :

«قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»

والصبر على شهوة الفرج من جراء الجماع مع امرأته خلال صيام نهاره ، حتى لا يفسد صومه ، ويشمت فيه الشيطان اللعين .

سمة الصبر على عطاء الله:

المسلم طاهر السر يصبر على عطاء الله تعالى كالصحة ، والمال ، والبنين، والجاه ، وطلب العلم والمحافظة عليه ، وهذا صبر الشاكرين الذين يحمدون الله تعالى كثيرًا على هذه العطاءات الإلهية ولا يفتنون بها فيطغون ويعيثون فى الأرض فسادًا ، فهذا ابتلاء ، وعليهم أن يحسنوا الصبر عليه بالطاعة للخالق البارئ ، والإنفاق فى أوجه الخير ، وعدم تبديد الصحة ، وعدم استخدامها فى إلحاق الضرر بالآخرين ، ولزوم التواضع والانكسار .

مظاهر الصبر على البلاء

الصبر على البلاء هو حبس النفس على بلاء الدنيا ونكبات الأيام . والتواصى بالصبر على المكاره والشدائد من الأمور الضرورية فى الدنيا ، لأنه لا يخلو إنسان ، سواء كان مؤمنًا أو كافرًا ، أو سيدًا أو مسودًا ، أو برًا و فاجرًا ، من مواجهتها ، وهذا راجع طبعًا إلى طبيعة الحياة الدنيا ، وطبيعة الإنسان نفسه . فإذا نزل بالإنسان شدة ، فلا يجزع ولا يسخط ، فالجزع والسخط على الأقدار معاتبة لله تعالى . ومن أشد المكاره التى تحتاج إلى الصبر الإصابة بالأمراض.

فالصبر على البلاء هو صبر المؤمنين الذين يرضون بقضاء الله تعالى وقدره ، والذين يقابلون مصائب الدنيا بالرضا والتسليم ، والذين يتحملون الهموم دون أن يقنطوا من رحمة الله تعالى . فالمسلم لا يسلم من آلام النفس ، وأسقام البدن ، وفقدان الأحبة ، وخسران المال ، وإيذاء الناس ، ومتاعب العيش، ومفاجآت الدهر ، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البقرة (155-157) :

«وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمرات وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»

وهذا النوع من الصبر يمثله صبر أيوب على فقد أهله ومرضه ، وصبر يعقوب على فراق ولديه يوسف وأخيه نتيجة كيد أبنائه الآخرين .

فمن يمارس الصبر على البلاء ، يرتفع إلى مرتبة سامية رفيعة ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى الحديث القدسى : «إذا وجهت إلى عبدٍ من عبادى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ، ثم استقبل ذلك بصبر جميل ، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانًا ، أو أنشر له ديوانًا» [فى الاتحافات برقم 47 ورواه الديلمى] .

وقد روى عن على بن أبى طالب كرَّم الله تعالى وجهه أنه قال : «من إجلال الله ومعرفة حقه ألا تشكو وجعك ، ولا تذكر مصيبتك» . وروى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال: سألت رسول الله ﷺ : أى الناس أشد بلاء ؟ فأجاب: «الأنبياء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل من الناس ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلابة زِيدَ فى بلائه ، وإن كان فى دينه رقَّة خُفِّف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وليس عليه خطيئة» [رواه الإمام أحمد]. كما قال السلف الصالح من المسلمين : «الجزع لا يَرُدُّ الغائب ولكن يَسُرُّ الشامت» .

ومن مظاهر الصبر على البلاء الاستعانة به على ما يحتاجه البلاء من قوة الاحتمال على الشدائد ، ومن سمات هذه المظاهر ما هى على النحو التالى :

سمة الصبر على مصائب الإنسان:

المسلم طاهر السر يصبر عما قد يصيبه فى بدنه أو ولده أو ماله ، وذلك عن قناعة ورضا بقضاء الله تعالى وقدره ، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (156 و 157) :

«الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»

فالمؤمن يحتاج إلى تقوية إيمانه بالله تعالى ، وصلابة الاحتساب مع الصبر الجميل ، والإعتقاد فى أنه لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى .

سمة الصبر على مشاكل الحياة:

المسلم طاهر السر يصبر على مشاكل الحياة، من نقص فى الأنفس والأموال والثمرات والأولاد وغيرها من فتن الحياة الدنيوية ، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (155) :

«وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»

فالصبر يرقى بالصابرين إلى أعلى مراتب الإيمان ، وأسمى درجات العبادة فالمؤمن يستعين بالصبر على ما يصيبه من بلاء الدنيا ونكبات الأيام .

سمة الصبر على احتمال الأذى:

المسلم طاهر السر يصبر على احتمال أذى الناس ، فيعيش المؤمن صابرًا محتسبًا متحملاً ، لا يشكو ولا يتسخط ولا يدفع المكروه بالمكروه ، ولكن يدفع السيئة بالحسنة ، ويعفو ويصبر ويغفر ، فيقول الله تعالى فى سورة إبراهيم (12):

«وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ»

فاحتمال الأذى هو الصبر ولكنه أشق ، وهو بضاعة الصديقين ، وشعار الصالحين، وأسوة المؤمن فى ذلك المرسلون الصالحون إذ يندر من لم يؤذ ذات الله تعالى ، ولم يبتل فى طريقه إلى الوصول إلى الله تعالى .

مظاهر الصبر عن المعاصى

الصبر عن المعاصى هو حبس النفس عن إغراءات الشيطان . والتواصى بالصبر عن الاستجابة لدواعى الشهوة الجنسية ، والنزوات المحرمة ، والملذات المنكرة ، وغيرها ، لأن النفس غالبًا ما تشتاق إلى المعصية .

والصبر عن ترك الملذات هو صبر المتقين الذين يخشون ربهم ، فيتركون كل ما يشتهونه من الرغبات الفاسدة لعلمهم بأن جهنم قد حفت بالشهوات ، وهم الذين يحرصون على صيانة جوارحهم مهما كلفهم ذلك من عنت ومشقة .

فالمسلم الذى يَهمُّ على ارتكاب معصية من المعاصى يزينها الشيطان له ، ثم يتدارك نفسه ، ويعتصم بالصبر عن ارتكاب تلك المعصية ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك ، فمن هَمَّ بحسنة لم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هو هَمَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هَمَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة» [رواه البخارى ومسلم وأحمد]. وهكذا فالصبر عن ارتكاب المعاصى نوع من الطهارة الباطنة ، يرتفع بصاحبه إلى درجة إيمانية رفيعة بين التقاة والصابرين .

ومن مظاهر الصبر على المعاصى ، هو الإستعانة به على ما تحتاجه مشتهيات النفس من مجهود شاق ، ومن سمات هذه المظاهر ما هو على النحو التالى :

سمة الصبر عن الاستجابة للابتلاء:

المسلم طاهر السر يصبر عن الاستجابة لمتاع الحياة الدنيا وملذاتها وزينتها إذا أقبلت عليه ، وهو ابتلاء بالسراء . والصبر على السراء أشد لأنه مقرون

بالقدرة ومن العصمة ألا تقدر . فالجائع عند غيبة الطعام ، أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة ، وقدر عليها ، فلهذا عظمت فتنة السراء . ولهذا حذَّر الله تعالى من فتنة النساء والأولاد والأموال، فيقول الله تعالى في سورة المنافقون (9) :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ومن يفعل ذلك فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»

فالمؤمن لا ينهمك في اللذة واللهو والنعم واللعب ، ويرعى حقوق الله تعالى في ماله بالإنفاق ، وفي بدنه ببذل المعونة ، وفي لسانه بالصدق ، وفي سائر ما أنعم الله به عليه .

سمة الصبر عن التطلع إلى الآخرين:

المسلم طاهر السر يصبر عن الإغترار بما ينعم به الآخرون من مال وبنين، وبخاصة الطغاة المغرورين منهم ، إذ أن ما بأيديهم إنما ظاهره نعمة وباطنه نقمة ، فيقول الله تعالى في سورة القصص (79) :

« . . . يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»

فالمؤمن لا يبالي بمظاهر الأبهة والزينة التي يتمتع بها أصحاب الثروة والسلطان ، وهذا ما وصف به القرآن الكريم أهل البصيرة من قوم موسى ، الذين خرج عليهم قارون في زينته وفخامة موكبه ، فقال مريدو الحياة الدنيا هذه الآية في تمنٍّ وتحسُّر .

سمة الصبر عن الاستجابة للغرائز:

المسلم طاهر السر يصبر عن الاستجابة لداعي الشهوة ، وبخاصة الشهوة الجنسية العاتية التي اعترف الإسلام بقوتها ، وضعف الإنسان أمامها ، فيقول الله تعالى في سورة النور (33) :

«وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ . . .»

فالمؤمن يكون فى صبره حتمًا لازمًا ، وفى استعفافه فرضًا قاطعًا . وخير من يمثل هذا النوع من الصبر فى القرآن الكريم هو قصة يوسف عليه السلام الذى راودته امرأة العزيز عن نفسه .

سمة الصبر عن الاستجابة للغضب :

المسلم طاهر السر يصبر عن الاستجابة لداعى الغضب ، ومقابلة السيئة بمثلها أو بأكثر منها ، بأن يكيل للمعتدى الصاع صاعين ، ويرد له اللطمة لطمتين ، فيقول الله تعالى فى سورة النحل (126) :

«وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ»

فالمؤمن يحتاج إلى الصبر على اعتداءات المعتدى . وخير من يمثل هذا النوع من الصبر فى القرآن الكريم هو قصة قابيل الذى هدَّد أخوه هابيل بالقتل.

سمة الصبر عن العداوة والبغضاء:

المسلم طاهر السر يصبر عن إغراء الشيطان له بالعداوة والبغضاء ، والإفساد بين طوائف الأمة وبين أفراد الأسرة ، فيقول الله تعالى فى سورة الإسراء (53) :

«وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا»

فالشيطان يفسد الفطرة الإنسانية التى هى أساس الإيمان .

سمة الصبر عن البخل والشح:

المسلم طاهر السر يصبر عن إغراء الشيطان له بالبخل والشح ، ويأمره بالإمساك عن إيتاء الزكاة ، وعدم الإنفاق فى سبيل الله تعالى ، والحرص على المال خوفًا من الفقر ، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (268) :

«الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ...»

فالشيطان ليس له عقيدة ولا دين ولا ضمير ، ولا يرشد إلى خير أبدًا .

- سمة الصبر عن السكر والقمار:

المسلم طاهر السر يصبر عن إغراء الشيطان له بشرب الخمر ولعب الميسر ، فهى من أدوات المعصية ، والعداوة بين الناس ، والإعراض عن ذكر الله تعالى ، فيقول الله تعالى في سورة المائدة (91) :

«إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ...»

فالشيطان من طبعه الفسق والفجور والمعصية ، والتحلل من كل فضيلة .

سمة الصبر عن الإسراف والتبذير:

المسلم طاهر السر يصبر عن إغراء الشيطان له بالإسراف والتبذير الذى يؤدى إلى كفران النعمة ، فيقول الله تعالى فى سورة الإسراء (27) :

«إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ...»

فالشيطان من دعاة الفساد والضلال فى الأرض ، ومصدر الشر والفسق فى الوجود .

تم بحمد الله تعالى

المراجع الفقهية

01 – الله تبارك وتعالى	القرآن الكريم .
02 – محمد عليه الصلاة والسلام	الأحاديث النبوية .
03 – الإمام أبى حامد الغزالى	إحياء علوم الدين (4 أجزاء)، دار الفكر العربى، القاهرة
04 – الشيخ عبدالرحمن الجزيرى	كتاب الفقه على المذاهب الأربعة (5 أجزاء)، دار إحياء التراث العربى
05 – ابن حجر العسقلانى	فتح البارى شرح صحيح البخارى
06 – الإمام النووى	شرح صحيح مسلم
07 – المنذرى	الترغيب والترهيب
08 – ابن كثير	تفسير القرآن الكريم
09 – ابن كثير	البداية والنهاية
10 – الإمام القرطبى	الجامع لأحكام القرآن
11 – الشيخ سيد سابق	فقه السنة
12 – وزارة الأوقاف	الدين والحياة، نشرات التوعية الدينية (4 أجزاء)
13 – الدكتور يوسف القرضاوى	العبادة فى الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت
14 – الدكتور يوسف القرضاوى	الحلال والحرام فى الإسلام، الشركة المتحدة للتوزيع، القاهرة
15 – الدكتور شعبان محمد إسماعيل	من الأخلاق النبوية
16 – الدكتور شعبان محمد إسماعيل	العبادة فى الإسلام – مفهومها وخصائصها، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة
17 – الشيخ محمود شلتوت	الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق
18 – الشيخ محمود شلتوت	من توجيهات الإسلام
19 – محمد حسن هيكل	حياة محمد، دار المعارف، القاهرة
20 – الدكتور محمد البهى	الإسلام فى حياة المسلم، دار الفكر العربى
21 – محمد عطية الإبراشى	روح الإسلام
22 – محى الدين النواوى	رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار التراث العربى، القاهرة
23 – سيد قطب	فى ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة
24 – دكتور نجاشى على إبراهيم	خصال الفطرة فى الفقه الإسلامى
25 – رغداء بكور الياقتى	طهارتك – أختى المسلمة
26 – رغداء بكور الياقتى	عدتك – أختى المسلمة
27 – عبدالقادر الرحباوى	كتاب الصلاة على المذاهب الأربعة مع أدلة أحكامها
28 – عفيف عبدالفتاح طبارة	روح الصلاة فى الإسلام
29 – حسن أيوب	تعليم الطهارة والصلاة
30 – ياسين رشدى	الإسلام وأركانه
31 – محمد رجب عبدالعزيز الأسود	الطهارة للمسلم من المهد إلى اللحد
32 – محمد عبدالله الخطيب	وقفة مع النفس البشرية
33 – الإمام محمد متولى الشعراوى	التوبة
34 – الإمام محمد متولى الشعراوى	الاستعانة بالله
35 – دكتور أحمد إبراهيم مهنا	التربية فى الإسلام
36 – دكتور على عبدالواحد وافى	حماية الإسلام للأنفس والأعراض
37 – محمد شديد	قيم الحياة فى القرآن الكريم
38 – عبدالرحيم فودة	الدين عند الله
39 – دكتور محمد أحمد على سحلول	الإنسان فى مرآة القرآن

السيرة الذاتية

* ولد فى مدينة المنصورة ، حيث أتم دراسته بمراحل الروضة والابتدائى والثانوى، وحصل على شهادة الثانوية العامة عام 1951.

* حصل على أعلى الدرجات العلمية من جامعات ألمانيا وأمريكا، حيث منح درجة البكالوريوس فى الهندسة الميكانيكية من جامعة ميونخ بألمانيا عام 1955, ودرجة الماجستير فى الهندسة الصناعية من جامعة مينيسوتا بأمريكا عام 1964, ودرجة الدكتوراة فى الهندسة الصناعية والإدارية من جامعة أيوا بأمريكا عام 1967.

* يعمل أستاذا فى الهندسة الصناعية والإدارية بكلية الهندسة بجامعة المنصورة منذ العام الدراسى78 / 1977.

* تقلد منصب عمادة كلية الهندسة بجامعة المنصورة 3 فترات بالانتخاب أى ما يقرب من 9 سنوات منذ بدء العام الدراسى 84 / 1983 وحتى نهاية العام الدراسى 91 / 1990.

* انتدب أستاذًا زائرًا بقسم الهندسة بالجامعة الأمريكية فى القاهرة للعامين الدراسيين 94 / 1993 و 95 / 1994.

* أسس مكتب الاستشارات الهندسية والإدارية بالقاهرة، وأشرف عليه منذ عودته من أمريكا عام 1975.

* عين أستاذًا بقسم الهندسة الصناعية بجامعة كانساس بأمريكا منذ بدء العام الدراسى 68 / 1967 وحتى نهاية العام الدراسى 73 / 1972.

* عين نائب رئيس مجلس إدارة شركة الاستشارات الدولية فى فيلادلفيا بأمريكا منذ العام 1973 ولمدة عامين .

* سافر إلى أكثر من 73 دولة فى زيارات عمل فى المجالات الصناعية والأكاديمية والاستشارية، وقضى ست سنوات فى أوروبا للدراسة منذ عام 1951, وثلاث عشرة عامًا فى أمريكا للدراسة والعمل منذ عام 1962.

* نظم وشارك فى كثير من المؤتمرات العلمية الدولية والإقليمية والمحلية التى عقدت فى أمريكا واليابان وأوروبا وبعض الدول العربية، وقدم البحوث العلمية فى مجال الهندسة الصناعية، والإدارة العلمية، وبحوث العمليات.

* اكتسب خبرة محلية ودولية لفترة تقرب من 10 سنوات فى المجال الصناعي، حيث عمل مع شركة ديماج الألمانية فى بناء مصانع شركة الحديد والصلب المصرية فى حلوان، ثم فى إدارة الورش وإدارة الصيانة وإدارة التفتيش بالشركة، وبشركة راكويل الأمريكية فى مجال بحوث جدولة تصنيع أجزاء المنتجات، وبشركة كونوكو الأمريكية فى مجال بحوث جدولة توزيع مشتقات البترول، وغيرها من الأنشطة الصناعية، والبحوث التطبيقية.

* اكتسب خبرة دولية ومحلية لفترة تزيد عن 30 عامًا فى المجال الأكاديمى، حيث عمل فى جامعات أمريكية وأوروبية ومصرية، أستاذًا عاملاً، وأستاذًا زائرًا فى الهندسة الصناعية والإدارية وبحوث العمليات. وتقلد مناصب إدارية فى عدة جامعات أمريكية ومصرية.

* ساهم بخبرته الدولية فى إعداد وتقويم نظم التعليم الهندسى فى أمريكا وألمانيا ومصر والسودان، حيث شارك فى إعداد البرامج التعليمية بكليات الهندسة فى جامعات كانساس وأيوا بأمريكا، وجامعة المنصورة. كما شارك فى تقويم برامج كليات الهندسة التعليمية فى جامعة كولن بألمانيا، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، وجامعات مصر من قبل المجلس الأعلى للجامعات وذلك للاعتماد أو الاعتراف، وكلف لتقويم البرامج التعليمية فى كليات الهندسة بجامعات السودان. وقدم أبحاثاً عديدة فى مجال التعليم الجامعى عامة، والتعليم الهندسى خاصة.

* اكتسب خبرة دولية ومحلية لفترة تزيد عن 25 عاما فى المجال الاستشارى، حيث عمل نائبًا لرئيس مجلس إدارة الهيئة الأمريكية لتنمية الموارد العربية، وصمم ونفذ مشروعات هندسية وتخطيطية وإدارية فى كل من أمريكا وإيطاليا وفنلندا والكويت وليبيا والسودان ومصر.

* ألف كتبًا علمية وأوراقًا بحثية فى مجال العلوم الهندسية، حيث صدر له ثلاثة كتب علمية باللغة الإنجليزية فى دور النشر الأمريكية وكتابين باللغة العربية فى دور النشر المصرية، بالإضافة إلى نشر 83 ورقة بحثية فى الدوريات العلمية الدولية، فى مجال الهندسة الصناعية وبحوث العمليات.

* عمل رئيسا للتحرير ومحررًا لعدد من الدوريات العلمية بالخارج، ومقيمًا لكثير من الأوراق البحثية المقدمة للنشر، ومشرفًا ومحكمًا على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه بالخارج والوطن، ومحاضرًا وزائرًا فى أكثر من 37 جامعة أجنبية.

* اشترك فى عضوية الجمعيات العلمية الدولية والمحلية فى مجال بحوث العمليات والهندسة الصناعية، والحاسبات الآلية، والعلوم الإدارية .

* ألَّف كتبا دينية، فقد صدر له كتاب «الإنسان فى القرآن الكريم»، وكتاب «شعيرة الطهارة»، ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام»، وجارى نشر كتاب «شعيرة الصلاة»، وكتاب «شعيرة الزكاة»، وكتاب «شعيرة الصوم»، وكتاب «شعيرة الحج»، ضمن نفس الموسوعة.

* كُرِّم من مؤسسات دولية ووطنية لإنجازاته ومساهماته العلمية المتميزة. فقد حصل على منحة دراسية من مؤسسة فولبرايت الأمريكية، ومنحة سفير الصداقة من مؤسسة ماكالستار الأمريكية، ومنحةً علمية من مؤسسة كولز الأمريكية.

* حصل على عضوية شرفية فى جمعية الممتازين فى الهندسة الصناعية، وجمعية الممتازين فى العلوم. واختير لحمل لقب المواطن المميز فى الموسوعة الأمريكية للعلماء. وحصل على جائزة رواد الحاسبات الآلية على المستوى القومى.

* منح جائزة الجامعة التقديرية فى العلوم الهندسية من جامعة المنصورة فى عام 1993, تقديرًا لإنجازاته العلمية على المستوى القومى والدولى.

* سميت قاعة الندوات العلمية فى كلية الهندسة بجامعة المنصورة باسمه فى عام 1993 تقديرًا لإنجازاته الكبيرة في تطوير التعليم الهندسى، وتنفيذ

الإنشاءات الهندسية، وتدعيم الأنشطة الطلابية فى جامعة المنصورة عامة، وكلية انهندسة خاصة.

* اختير أحد العلماء الرواد فى موسوعة "WHO'S WHO IN THE WORLD" أى «من هو فى العالم» فى الطبعة الرابعة عشرة للعام 1997 من مؤسسة «ماركيز الأمريكية».

* عُين عضوًا فى المجالس القومية المتخصصة، برياسة الجمهورية، شعبة الصناعة.

* عين عضوا فى اللجنة القومية للمعلوماتية، بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا منذ أنشئت.

* رشح لنيل جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الهندسية للعام الحالى، تقديرا لإنجازاته العلمية على المستوى القومى والدولى.

الإصدارات للمؤلف

كتب المؤلف العلمية :

01. • **Sequencing Theory,** Springer Verlag, 1972
02. • **Computer Simulation in Design Applications,** Simulation Councils Proceedings Series, Vol. 3, N. 1, June 1973
03. • **Simulation Systems for Manufacturing Industries,** Simulation Councils Pruncils Proceedings Series, Vol. 3, No. 2, December 1973.

04. «ثورة الإدارة العلمية والمعلوماتية» ، دار الشروق ، القاهرة ، 2000 .
05. «دراسة وتحليل النظم» ، دار الشروق، القاهرة ، 2000 .

كتب المؤلف الدينية :

06. «الإنسان فى القرآن الكريم» ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998 .
07. «أدعية ومناسك الحج والعمرة والزيارة» ، المركز الألمانى المصرى للطباعة ، المنصورة، 1999.
08. «شعيرة الطهارة» ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام» ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 .
09. «شعيرة الصلاة» ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام» ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 .
10. «شعيرة الزكاة» ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام» ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 .
11. «شعيرة الصوم» ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام» ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 .
12. «شعيرة الحج» ضمن موسوعة «شعائر العبادة فى الإسلام» ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 .

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

هذا الكتاب

* يهتم بطهارة المسلم من المهد إلى اللحد، ويقدم هذه الشعيرة فى جزءين رئيسين هما على النحو التالى:

الجـزء الأول : يستعرض طهارة الفضلات، وطهارة الأخباث، وطهارة الأحداث.

الجزء الثانى : يستعرض طهارة الجوارح، وطهارة القلب، وطهارة السر.

ويستقى المادة الدينية من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمذاهب الفقهية، ويعتمد على أحكام الشريعة الإسلامية، ومراجع الفقه الإسلامى.

* يصحح للمسلم مفهوم الطهارة ومشروعيتها وأحكامها، حتى يؤديها على وجهها الصحيح لعبادة الله تعالى؛ ويوضح له حكمتها وأثرها الروحى حتى يقوم بها خير قيام فى حياته الدنيا، ويبصره بعواقب تركها أو التقصير فى أدائها من جزاء فى حياته الآخرة.

* يتصف بالإعداد المنطقى والأسلوب الميسر، ويتجنب الإيجاز المخل والتفصيل الممل، فأصبح المحتوى سريع الفهم والاستيعاب، متفق مع روح العصر دون الإخلال بالمضمون.

* يتضمن 271 عملاً من أعمال الطهارة الظاهرة (طهارة الفضلات، والأخباث، والأحداث)، والطهارة الباطنة (طهارة الجوارح، والقلب، والسر)، وهى موضحة على النحو التالى:

الطهارة الظاهرة	طهارة الفضلات: 15 عملاً من أعمال طهارة الفضلات
	طهارة الأخباث: 15 عملاً من أعمال طهارة الأخباث
	طهارة الأحداث: 5 أعمال من أعمال طهارة الأحداث
الطهارة الباطنة	طهارة الجوارح: 96 عملاً منها 48 فعلاً مباحًا + 48 فعلاً محرمًا
	طهارة القلب: 74 خلقًا منها 42 خلقًا محمودًا + 32 خلقًا مذمومًا
	طهارة السر: 66 فعلاً واجبًا

وهى عبارة عن 35 عملاً من أعمال الطهارة الظاهرة، و236 عملاً وخلقًا وفعلاً من أعمال وأخلاق وأفعال الطهارة الباطنة.

* يتميز بتقديم المعلومة فى [illegible] جدولاً يساعد القارئ على المعرفة بسهولة ويسر منها [illegible] جدولاً بها معلومات كاملة للأحكام الفقهية التى تخص طهارة الفضلات والأخباث والأحداث، و[illegible] جداول بها [illegible] كاملة لأعمال طهارة الجوارح المباحة والمحرمة، وخلق طهارة القلب المحمودة والمذمومة، و[illegible] طهارة السر الواجبة.

هو بين الإسراف والتقتير ، والاعتدال فى المشى يعتبر بين الاختيال والمسكنة ، والاعتدال فى اللباس فهو بين المباهاة والبهدلة .

سمة الحياء والرحمة فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتحلّى بخُلُق الحياء والرحمة ، فهو بذلك يكون عفيفًا حييًا ، فالحياء من الإيمان ، والإيمان عقيدة المسلم وقوام حياته ، وسر كون الحياء من الإيمان أن كلاً منهما داعٍ إلى الخير ، صارف عن الشر. فالإيمان يبعث المؤمن على فعل الطاعات ، وترك المعاصى ، والحياء يمنع صاحبه من التقصير فى الشكر للمنعم، ومن التفريط فى حق ذى الحق ، كما يمنع الحى من فعل القبيح، ومن هنا كان الحياء خيرًا ، ولا يأتى إلا بالخير ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «الحياء والإيمان قرناء جميعًا ، فإذا رفع أحدهمارفع الآخر» ، وقال : «الحياء لا يأتى إلا بخير» [أخرجه البخارى ومسلم وأحمد] .

فالمسلم يستحى من الله تعالى ، لا يقصّر فى طاعته ، ولا فى شكر نعمته . كما يستحى من الناس، فلا يكشف لهم عورة ، ولا يقصّر فى حق وجب لهم عليه، ولا ينكر معروفًا أسدوه إليه ، ولا يخاطبهم بسوء ، ولا يجابههم بمكروه ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «فالله أحقُّ أن يُستحيا منه من الناس» [رواه البخارى والترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد].

أما الرحمة فمنشؤها صفاء النفس وطهارة الروح ، وهى فى حقيقتها رقة القلب ، وانعطاف النفس المقتضى للمغفرة والإحسان ، وهى ذات آثار خارجية ، كالعفو على ذى الزلّة ، والمغفرة لصاحب الخطيئة وإغاثة الملهوف ، ومساعدة الضعيف ، وإطعام الجائع ، وكسوة العارى ، ومداواة المريض ، ومواساة الحزين، كما يفهم من قول الله تعالى فى سورة البلد (17 و 18) :

«ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ»

والصفح والتسامح سبيلاً إلى التهذيب الخلقى ، يطهر القلب من مشاعر الحقد ، ويثبت إيمانه ، ويبلغ كماله ، فتعلو منزلته عند الله تعالى ، ويعظم ثوابه .

رذائل الأخلاق الإنسانية

الخُلق ، كما ذكر من قبل ، هيئة راسخة فى نفس الإنسان ، تصدر عنها الأفعال الإرادية والاختيارية ، وهى قابلة بطبعها لتأثير التربية فى مجالاتها المختلفة التى من أغراضها صياغة الفرد ، بحيث يكون لبنة سليمة ، صالحة فى بنيان مجتمعه . فإذا أهملت هذه الهيئة الراسخة فى النفس ولم تهذب التهذيب اللائق بها، ولم يعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها ، أو ربِّيت تربية سيئة، حتى أصبح القبيح محبوبًا لها ، والجميل مكروهًا عنها ، وصارت الرذائل والنقائص من الأقوال والأفعال تصدر عنها بدون تكلُّف ، وهى الأخلاق المرذولة. ونستعرض سمات هذه النماذج وهى على النحو التالى :

سمة الظلم والكذب فى الإنسان :

المسلم طاهر القلب يتخلَّى عن رذيلة الظلم والكذب . فالعبد فى مراقبته لله تعالى فى أقواله وأفعاله ، لا يحب أن يُظْلَمَ ، ولا يَظْلِمَ . والظلم بأنواعه الثلاثة محرم فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، فيقول الله تعالى فى سورة البقرة (229) :

« . . . وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»

والظلم أنواع هى : (1) ظلم العبد لغيره من عباد الله تعالى ، وذلك بأذيتهم فى أعراضهم أو أبدانهم أو أموالهم بغير حق ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : «كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه» [رواه مسلم وابن ماجه واحمد]؛ (2) ظلم العبد لربه، وذلك بالكفر بألوهيته ووحدانيته ، لقول الله تعالى فى سورة البقرة (254) : «..وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» ويكون أيضًا، بالشرك فى عبادته ، لقول الله تعالى